الرحلة الطنجوية

الممزوجة بالمناسك المالكية

تأليف

الحسن بن محمد الغسال

تحقيق

د. محمد علي فهيم بيومي

جامعة الأزهر بالقاهرة

الناشر



١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
تليفاكس : ٢٣٩١٣٣٥٤ (٠٠٢٠٢)



الرحلة الطنجوية

الممزوجة بالمناسك المالكية

تأليف

الحسن بن محمد الغسال

تحقيق

د/ محمد علي فهيم بيومي

جامعة الأزهر - بالقاهرة

زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

تليفون وفاكس: ٢٣٩١٣٣٥٤

بطاقة فهرسة

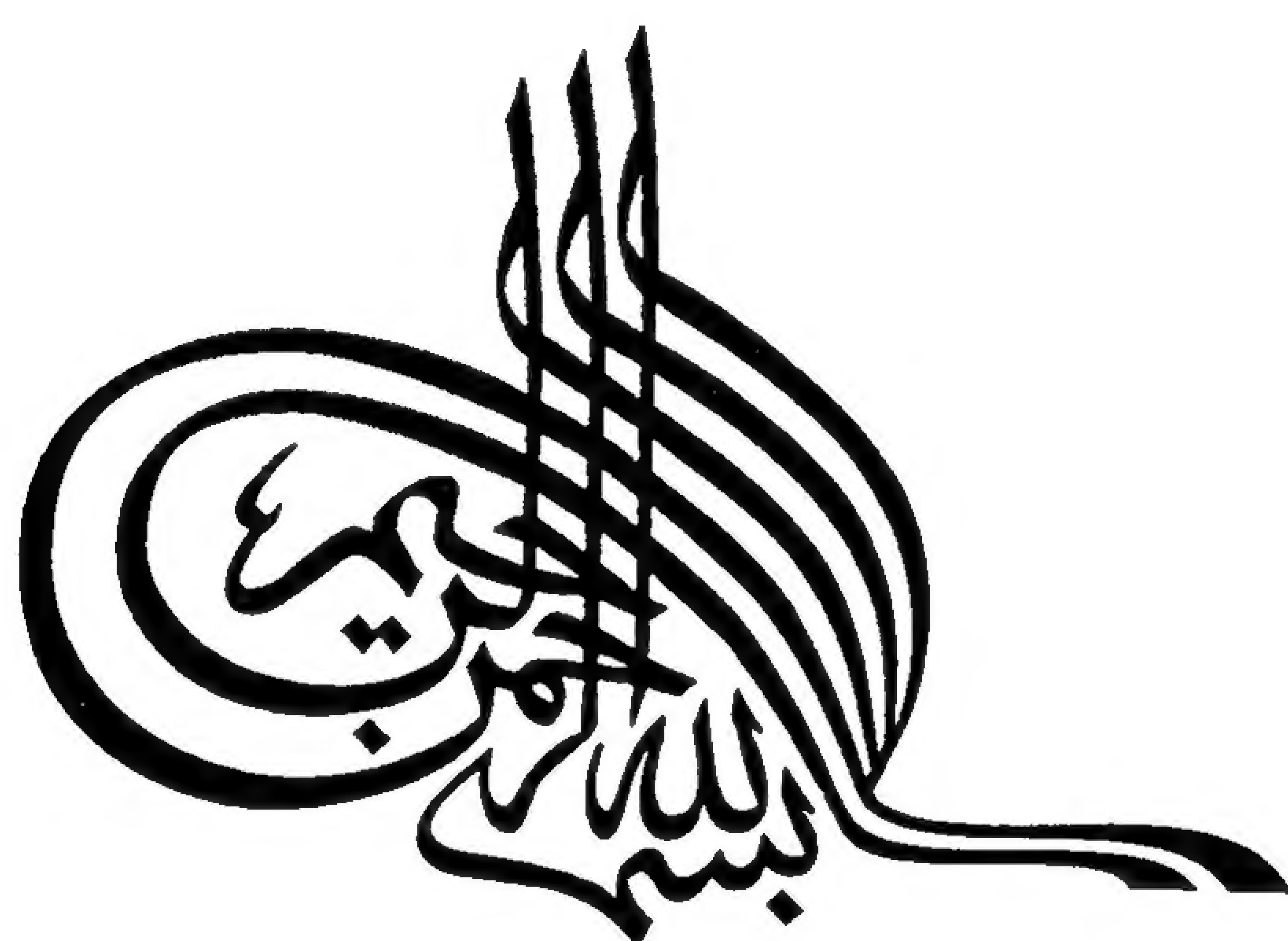
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية

إدارة الشئون الفنية

الغسال، الحسن بن محمد.
الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك
المالكية/ تأليف الحسن بن محمد الغسال؛
تحقيق محمد فهيم بيومي.- القاهرة :
زهراء الشرق، ٢٠٠٨.
٢٣٢ ص ؛ ٢٤ سم.
تدمك ٠ ٣٢٦ ٣١٤ ٩٧٧
١- طنجة - تاريخ.
٢- المغرب - تاريخ - العصر العثماني.
٣- المسجد الحرام.
أ- بيومي، محمد علي فهيم (محقق).
ب - العنوان

٩٦٤,٢٤

اسم الكتاب	:	الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية
ترجمه وعلق عليه	:	الدكتور / محمد علي فهيم بيومي
رقم الطبعة	:	الأولى
السنة	:	٢٠٠٩
رقم الإيداع	:	٢٦٨٥
الترقيم الدولي	:	I.S.B.N 977 – 314 – 326 – 0
اسم الناشر	:	زهراء الشرق
العنوان	:	١١٦ شارع محمد فريد
البلد	:	جمهورية مصر العربية
المحافظة	:	القاهرة
التليفون	:	٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٨٥٩
فاكس	:	٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٣٥٤
المحمول	:	٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠
الإيميل للمراسلة والاقتراحات	:	sell_hagag@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد

ستظل الرحلة إلى الحرمين الشريفين أملاً تهفو إليه نفوس المسلمين، وعملاً شائقًا إلى أن تقوم الساعة، فهي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالكعبة في نفوس المسلمين البيت الحرام والرسول الكريم ﷺ، من هنا كان اهتمام السابقين بالحرمين الشريفين فدونوا كل ما يخصهما من عبادات وعادات، ومآثر وآثار، ومنازل ومناهل، وغير ذلك من الموضوعات التاريخية والدينية، وفاق المغاربة في هذا الوصف الدقيق بصورة لافتة، فهم الذين يغدون ضيوفًا للرحمن سبحانه فيخرجون قبل عدة أشهر متشوقين إلى رؤية الكعبة وزيارة قبر الحبيب محمد ﷺ، فأقدموا على وصف دقيق وتسجيل رائع لكل شيء حتى فاقوا أقرانهم من أصحاب الرحلات من المصريين، والشوام، واليمنيين والهنود إلا في أحوال نادرة، ومن هنا كان اهتمامنا برحلات المغاربة ومنهم شيخنا الحسن الغسال.

ونجد لزامًا علينا لما سبق أن نتعرض للرحلات المغاربية في العصر العثماني ثم الرحلات المعاصرة للرحلة الطنجوية، ثم نتعرض لقضايا المخطوط بالدراسة قبل أن نقوم بتحقيق النص الذي بين أيدينا، وذلك حتى نعطي صورة لهذه الرحلات الرائعة التي لم تنل اهتمام الباحثين المشرقيين بعد كما ينبغي، ولعلها دعوة إلى الاهتمام بعشرات الرحلات لتخرج من تحت أكداس التراب؛ لينتفع بها المسلمون، ولنبرز جزءًا مهمًا من تاريخنا الحضاري نحن في أشد الحاجة لإبرازه من أجل إرضاء الجانب الروحي قبل أن نفقد الثقة في تاريخنا وحضارتنا.

والله من وراء القصد هو حسبي ونعم الوكيل.

المؤلف

أولاً : الدراسة :

١- المؤلف.

٢- أبرز الرحلات المغربية.

٣- دراسة المخطوط.

ثانيًا : النص :

ثالثًا : الفهارس :

أولاً: الدراسة

١- المؤلف:

الحسن بن محمد الغسال المغربي الطنجي ينسب إلى ثغر طنجة المدينة المغربية المشهورة، أقام مدة قصيرة في لندن كاتبًا في إحدى السفارات المغربية في عهد المولى عبد العزيز سنة ١٣٢٠هـ / ١٩٠١م وأنشأ عدة مؤلفات مهمة سنتحدث عنها.

فارق طنجة قبل وفاته بعشرين يومًا فنزل مراكش وتوفي بها وقد ناهز الثمانين عامًا سنة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م[١].

مؤلفاته:

ترك مؤرخنا مصنفات في غاية الأهمية في التاريخ والجغرافيا والعلوم الشرعية والعربية وغيرها منها:

١) إيضاح البرهان والحجة في تفضيل ثغر طنجة[٢].

٢) التعريف بالحضرة المراكشية وبمن وقفت عليه من الأولياء والعلماء الأجلة في الرباط مجموع رقم (١٤٩٦د).

٣) مجموع الشيخ الغسال: وقع في يد الباحث مجموع مهم للغاية، يوجد فيه معظم مؤلفاته تكاد تظهر للمرة الأولى في مصر، ساعدني في الحصول عليه الأستاذ الصديق العزيز (مصطفى الزكاف) المغربي؛ إذ استأذن فضيلة الشيخ علامة تطوان الشيخ (محمد بوخبزة) في تصويره من مكتبته الخاصة، والذي تكرم بالموافقة، وهذا المجموع زاخر بمصنفات شيخنا الحسن بن

---

(١) الزركلي: الأعلام، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ط١، ١٩٨٦، جـ٢ ص٢٢٢.

(٢) رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، جـ٣ ص٣٨٨.

محمد الغسال، ومن خلاله يمكننا تصور جهوده العلمية الجادة، وهو يؤلف ويفتي في صنوف العلم، ويحتوي هذا المجموع على ما يلي:

أ) تقييد لطيف ومختصر شريف في كيفية ذكر اسمه تعالى اللطيف وما يتعلق بهذا الاسم الشريف.

وهذا المخطوط تاريخه سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٤م، ويقع في ٢٤ صفحة من القطع المتوسط، وهو بعض التعليقات على كتاب للشيخ محمد العربي بن محمد الهاشمي الزرهوني[(١)] اسمه: «المنزع اللطيف»، وعاد في هذا الكتاب إلى بعض المصادر مثل: مصنفات الشيخ أبو بكر الكتاني[(٢)] قدس الله روحه المسمى: «المنهج الحنيف»، وتحدث فيه عن استعمالات اللفظ، والشيخ علي القاري[(٣)] في شرحه على شمس المعارف

---

(١) الزرهوني: هو الشيخ محمد العربي بن محمد الهاشمي الزرهوني العزوزي له مؤلفات منها: «روضة المنى وبلوغ المرام» بجمع شواهد المكودي وابن هشام في النحو.

إلياس سركيس: معجم المطبوعات، منشورات مكتبة آية الله العظمى، المرعشي، النجفي، ١٩٢٨م، جـ١ ص٦٦٩.

(٢) أبو بكر الكتاني: هو أبو بكر بن صالح الكتاني الشافعي المصري توفي ١٠٥١هـ له من المصنفات المنهج الحنيف في معنى اسمه اللطيف.

البغدادي (إسماعيل باشا): هدية العارفين في أسماء المؤلفين، دار الفكر، بيروت لبنان ١٩٩٢م، جـ١ ص١٢٨.

(٣) علي القاري: هو الشيخ علي بن سلطان محمد القاري الهروي نور الدين الفقيه الحنفي نزيل مكة المكرمة المتوفى سنة ١٠١٤هـ له ما يزيد على المائة مؤلف في كافة العلوم الإسلامية والعربية والعقلية.

حاجي خليفة: كشف الظنون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، حـ٢ ص١٣٣١،=

الكبرى[١]، وتحدث فيه عن ما يسمى بالإعجاز العددي للفظ اللطيف كما ورد في الآثار، واستخرج بعض النتائج التي يمكن الاتفاق أو الاختلاف حولها.

والكتاب قائم على عرض أفكار وروايات السابقين ومناقشتها، وأما تاريخ كتابته كما جاء في آخر المخطوط، وفي أوائل صفر الخير عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف على يد جامعه الفقير الوجل الحسن بن محمد الغسَّال[٢].

ب) كتاب في البلاغة: دراسة لبعض أبيات الشيخ الأديب المرتضى محمد الطيب ابن أبي مرجان سيدي مسعود المريني[٣] – حفظه الله – يخاطب بها الشيخ عبد الخالق الرويس[٤] أدام الله سعادته، يقول في مقدمة الكتاب: لما أمعنت النظر في برابعها الرابغة، وما اشتملت عليه من المحاسن الفائقة وجدتها حسنة المسارة بديعة الاتسار ... مثل:

يا شامخ الغرر الجليل المجيد يا أبا الفخر الأثيل السعيد

والأبيات المذكورة من هذا النمط لأنها تنشد على خمس قوافي، ثم يقول: «ثم لم أجد ما ينشد على أربع قوافي القصور الباع».

= والبغدادي: هدية العارفين، حـ١ ص٤٠٢.

(١) كتاب السهروردي وعليه شروح كثيرة لابن عربي وغيره.
حاجي خليفة: كشف الظنون، حـ٢ ص١٠٦٢.

(٢) الحسن الغسال: تقييد لطيف ومختصر شريف في كيفية ذكر اسمه تعالى اللطيف وما يتعلق بهذا الاسم الشريف، مخطوط بمكتبة فضيلة الشيخ محمد بوخبرة، تطوان.

(٣) محمد الطيب بن أبي مرجان سيدي مسعود المريني أبو عبد الله من فضلاء المغرب من آثار، مقامة في مدح أبي العباس أحمد بن عبد الله بن معن صاحب زاوية المخفية بفاس.

(٤) كحالة: معجم المؤلفين، حـ١٠ ص١١١.

فتحدث عن بلاغة هذه الأبيات، وتحدث عن البديع الذي ورد في تلك الأبيات مثل: التصريع والموازنة والتشريع، وعرف كل نوع بديعي من هذه النكات البلاغية.

والكتاب مهم في بابه حيث المؤلف يعتب على معاصريه التقصي في هذا الميدان[١].

جـ) كتاب ألفه بناء على سؤال ورد إليه عن موقف الإسلام من لعب الكرة، وقد أجاب عليه في ثنتي عشرة صفحة كاملة، أكد فيها على أن الأمم الراقية أخذت تسلك هذا المسلك ولا عيب في ذلك فهو مباح إن لم يترتب على ذلك حرام، وقد ضَمَّنه أراء كبار فقهاء العالم الإسلامي في العصور السابقة كالشيخ العراقي وغيره وأكد على أن المباح يصير مكرمة بالنية والأعمال وهو بخطه – رحمه الله –[٢].

د) وصية المؤلف الحسن الغسال: وقد كتبها سنة ١٣٣٣هـ، وقد ذكر عنوانها: «وصية الفقير الوجل عند ربه – عز وجل – الحسن بن محمد الغسال ختم الله له بالجنة عند حلول الآجال».

وقد بدأ في عرض وصيته بعد فصل الخطاب فقال: فمما يتعين على الإنسان في هذا الزمان أن ينظر لنفسه في حال حياته قبل موته لمن يقوم بشئون تجهيزه بعد أن يلقى الله ما يحتاج إليه من الأحكام المحتاج إليها «وعرض لأحاديث الوصية في صحيح البخاري وغيره من كتب الصحيح، وناقش فيه بعض القضايا المتعلقة بعصره وموقف الإسلام منها في أربع عشرة

---

(١) الحسن الغسال: دراسة لبعض أبيات الشيخ الأديب المرتضى محمد الطيب بن أبي مرجان، مخطوط من مكتبة الشيخ محمد بوخبزة، تطوان، المغرب.

(٢) الحسن الغسال: استفتاء ورد إلى الشيخ عن لعب الكرة، ضمن مجموع الشيخ الغسال في مكتبة فضيلة الشيخ بوخبزة، تطوان، المغرب.

صحيفة، وكان الفراغ من كتابتها في ربيع الأول سنة ١٣٣٣هـ»[١].

هـ) نصيحة في حق الأيتام: قدمها في ضوء قول الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، وقول النبي ﷺ: «الدين النصيحة»، وقد أورد فيها آيات من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وآراء كبار العلماء كالإمام النووي [٢] في الأربعين النووية والبخاري ومسلم وغير ذلك، وتقع في صفحات من ٣٣ حتى ٤٤ أي إحدى عشرة صحيفة.

وقد ضمنها عدة موضوعات منها: ما كان في تأديب اليتيم والاعتناء به وتأكيد حق الأيتام، وفي أحكام الوصي على الأيتام ومخالطته، والوعيد الشديد في أكل مال اليتيم، وخاتمة فيما ينبغي مراعاته عند مخالطة اليتيم[٣].

و) كتاب في الطب، وعنوانه: «علاج الحمى (أعاذنا الله منها) بالطب النبوي».

وقد أورد في ذلك الموضوع بعض الأحاديث الشريفة وشروح ابن حجر

---

(١) الحسن الغسال: وصية الفقير الوجل عند ربه عز وجل مخطوط بمكتبة الشيخ محمد بوخبزة تطوان، المغرب.

(٢) الحسن الغسال: نصيحة في حق الأيتام، ضمن مجموع بمكتبة الشيخ محمد بوخبزة، تطوان، المغرب.

(٣) النووي: هو الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مر بن جمعة بن حزام النووي المحدث الفقيه الشافعي الشهير بالنووي نسبة إلى نوى من بلاد حوران مولده سنة ٦٣١هـ ووفاته ٦٧٦هـ، له مؤلفات عديدة منها: شرح النووي، ومنهاج الطالبين والأصول، والضوابط في المذهب، والإيضاح في مناسك الحاج، والتبيان في آداب حملة القرآن، والتحرير في شرح التنبيه وغيرها. البغدادي: هدية العارفين، حـ٢ ص

العسقلاني[١]، وابن القيم[٢]، والزرقاني[٣]، وكانت كتابته في حجة الحرام ثم عام ١٣١٧هـ[٤].

ز) إجابة عن سؤال عن إيمان المسلم: وقد عالج فيه قضية الإيمان ومعرفة الإنسان بنفسه وهل يصح أن يقول: أنا مؤمن، أو أنا مؤمن إن شاء الله، وتقع في أربع صفحات فقط، وكانت إجابة عن سؤال ورد إليه[٥].

ح) المقامات الأفرعية: كتبها ١٣١٩هـ وتقع في صفحات ١٣ - ٢٨ صفحة ضمن المجموع المذكور، ومعظمها نصائح إسلامية وما ينبغي أن يكون

---

(١) ابن حجر العسقلاني: هو الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المصري الشافعي شيخ الإسلام والمحدث الكبير، شغل وظائف منها: الحسبة، وقاضي القضاة، ودخل في منافسات علمية مع الشيخ الهروي، والشيخ بدر الدين العيني، ورحل إلى أكثر من مكان أهمها: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، واستقر في مصر وتوفي ٨٥٢هـ/ م. ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ٦ أجزاء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، جـ١ ص٢، والبغدادي: هدية العارفين جـ١ ص٣٨٥.

(٢) ابن القيم: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية الحنبلي الإمام المجيد المتوفى سنة ٧٥١هـ.
حاجي خليفة: كشف الظنون، جـ١ ص٨١، ١٥٢، ١٦٨.

(٣) الزرقاني: هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي المتوفى سنة ١١٢٢هـ، كان خاتمة المالكية بمصر من كبار العلماء وحلتهم.
الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، د. ت، جـ١ ص١٢٢.

(٤) الحسن الغسال: نصيحة في حق الأيتام، ورقة.

(٥) الحسن الغسال: إجابة عن سؤال عن إيمان المسلم. مخطوط بمكتبة الشيخ محمد بوخبزة، تطوان، المغرب.

عليه المسلم، والتحذير من الشيطان ، وقد روى فيه بعض الروايات لجالينوس الحكيم(١)، فضلاً عن الحديث الصحيح، وبعض آي القرآن الكريم، وبعض الأشعار لابن عطاء الله السكندري(٢) وغيره.

ط) سلسلة الذهب في الأمن من العذاب(٣): وهي رسالة في فحوى لا إله إلا الله، وما روى فيها وإن لم تروبه بالستة الصحاح(٤) كما يأتي فيه إن شاء الله بناء على استفسار لبعض السائلين، وهي تقع في صفحات ثلاث عشرة صفحة، تحدث فيها عن بعض المرفوع من الحديث، وجمع أحاديث لا إله إلا الله وشرحها بناء على كتب السابقين، وحذر فيها من أعمال إبليس الملعون،

---

(١) جالينوس: أحد الحكماء الذين اشتغلوا بالطب والفلسفة في العهد اليوناني نقل عنهم المسلمون وترجموا العديد من أعماله.
ابن النديم (محمد بن إسحاق أبو الفرج): الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٥٤.

(٢) ابن عطاء الله السكندري: هو الشيخ المتصوف أحمد بن محمد المعروف بابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة ٧٠٩هـ، له كتاب: الحكم والتنوير في إسقاط التدبير وغير ذلك.
حاجي خليفة: كشف الظنون، جـ١ ص٥٠٢، جـ٢ ص١٥٥٤.

(٣) الحسن الغسال: سلسلة الذهب في الأمن من العذاب، مخطوط، بمكتبة الشيخ محمد بو خبزة، تطوان، المغرب، ص ص١٠٣ - ١١٦.

(٤) الصحاح الستة: هي الجامع الصحيح للبخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود السجستاني، وكتاب الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وعدوا منها بدلاً من الأخير موطأ مالك.
القنوجي: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، ثلاثة أجزاء، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، جـ٢ ص٢٢٨.

كتبها أوائل شهر القعدة ١٣١٧هـ.

ى) إثبات الخوارق بما ورد في الرعد والصواعق: كتبه سنة ١٣٣١هـ، وتعرض فيه لموضوع الرعد والصواعق والظواهر الطبيعية في ضوء القرآن والسنة، ويقع في عدة صفحات، وهي بصورة مختصرة[١].

ك) تقييد في طاعة الإمام والخدمة مع ذاك المقام: تاريخه ١٣٢٨هـ، وهو إجابة عن سؤال ورد إليه، وقد ضمنه آيات القرآن الكريم التي تشير إلى طاعة الإمام منها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[٢]، وتحدث عن مراتب الطاعة، وموقف الرعية منها، وكذا موقف الإمام من الخارجين والمخالفين، وتحدث عن الولاية[٣]، وقد أورد على ذلك العديد من آراء الفقهاء المالكية كالشيخ إبراهيم اللقاني[٤]، فضلاً عن تعليقه على بعض شروح البخاري ومسلم في الصحيح.

ل) انعقاد الإجماع على حلية أكل الصيد برمي البارود: يقع في ثماني ورقات،

---

(١) الحسن العسَّال: إثبات الخوارق بما ورد في الرعد والصواعق، مخطوط بمكتبة الشيخ بوخبزة، تطوان، المغرب، ص ص١١٧ – ١٢١.

(٢) النساء آية رقم ٥٩.

(٣) الحسن الغسَّال: تقييد طاعة الإمام، مخطوط بمكتبة الشيخ بوخبزة، تطوان، المغرب، ص ص١٢٢ – ١٣٦.

(٤) إبراهيم اللقاني: هو الشيخ برهان الدين إبراهيم اللقاني المصري المالكي من لقانة بمصر المتوفى سنة ١٠٤١هـ. له مؤلفات كثيرة منها شرح الجوهرة وغيرها. حاجي خليفة: كشف الظنون، جـ١ ص٦٢٠، جـ٢ ص١١٣٩، ١٦٢٨، ١٩٣٦، والبغدادي: هدية العارفين، جـ١ ص١٦.

تحدث فيه عن قضية في غاية الأهمية وهي الإجماع والفرق بين الإجماع بوجه عام، والإجماع في عصر واحد، فتحدث عن الإجماع بعد عهد الرسول ﷺ عند الصحابة، والعصور التي تليها وظروف كل عصر، وحتى ينعقد الإجماع، ثم عالج قضية حل أكل الصيد برمي البارود، وهو قضية الكتاب الأساسية، وعرض رأي الفقهاء بقدر ما احتاج إليه[١].

م) الخاطر في حياة الخضر عليه السلام:

هذا الكتاب يعالج فيه قضية درج عليها الكثير من الصوفية، وهي: هل الخضر ما يزال حيًّا أم لا؟، وهل هو من نبي أم رجل صالح؟ ولقبه وكنيته، وقدَّ فيه على الكثير من الخرافات مثل الذي زعمه البعض: أنه من الملائكة، وتعرض لنسبه بالتفصيل، وشكك في الكثير من القضايا حوله، ورجع إلى رأي المحققين، وتعرض لاختلاف العلماء حول هذه القضية الشائكة، وتقع الرسالة في عدة صفحات[٢].

ن) رسالة في الهجرة من دار الهوان والخسرة: وقد أقر فيها الهجرة من بلاد النواقيس والصلبان والكفر وغير ذلك إلى دار الإيمان، وهنا لا بد من وقفة فأهل المغرب هم الذين اصطلوا بنار التعذيب والطرد من الأندلس، وهم الذين آووا معظم الفارين، فكان لا بد من سماع رؤيتهم، وأخذ موقفهم بعين الاعتبار، وهو ما سلكه الغسَّال في هذه الرسالة، والتي كتبها سنة

---

(١) الحسن الغسَّال: انعقاد الإجماع على حلية أكل الصيد برمي البارود، ضمن مجموعة بمكتبة الشيخ بوخبزة، تطوان، المغرب، ص ص١٩٢ – ١٩٩.

(٢) الحسن الغسَّال: الخاطر في حياة الخضر عليه السلام، مخطوط ضمن مجموعة الشيخ بوخبزة، تطوان، المغرب، ص ص٨٤ – ٩٥.

١٣٣٤هـ[١].

س) مفتاح التيسير في أحكام التسعير: كتبه سنة ١٣٢٨هـ، من (١٣٨ – ١٩٣) وهو كتاب يعد من أبرز مصنفاته وهو في ميدان النظم الإسلامية حيث تعرض فيه لقضية الحسبة[٢] ودورها في ضبط حياة المجتمع الإسلامي، وهي من أبرز علوم السياسة الشرعية وما يتعلق بها من الأحكام، والتصرفات فعرج على تعريف الحسبة وشروطها وأحكامها ورأي الفقهاء حولها[٣].

واهتم برأي ابن خلدون[٤] وناقشه فيها مناقشة جادة، وكذا السبكي، وابن القيم، وابن السماع، والتاودي بن سودة، وعرج إلى الحديث عن المحتسب ودوره في ضبط المجتمع المسلم، وأهميته كأحد العاملين في سلك القضاء، وكذلك دوره في السوق وضبط الأسعار والعقوبات التي ينبغي أن يفرضها عليه.

وتتعرض فيه كذلك إلى الظلم وشؤمه والجور وسوء عاقبته، ومراتب

---

(١) الحسن الغسّال: رسالة في الهجرة من دار الهوان والخسرة، مخطوط بمكتبة الشيخ بوخبزة، تطوان، المغرب، ص ص٩٦ – ١٠٢.

(٢) الحسبة: هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذ فشا فعله. للمزيد: السبكي: معيدالنعم ومبيد النقم، تحقيق محمد أبو العيون ومحمد علي النجار وأبو زيد شلبي، الخانجي، القاهرة، ١٩٩٥، ص٦٥.

(٣) الحسن الغسال: مفتاح التيسير في أحكام التسعير، مخطوط بمكتبة الشيخ بوخبزة، تطون، المغرب، ص ص ١٣٨ – ١٣٩.

(٤) ابن خلدون: هو الإمام ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن الأشبيلي الحضرمي، القاضي ابن خلدون، المؤرخ، مولده ٧٣٢هـ، ووفاته بالقاهرة ٨٠٨هـ له مصنفات أهمها: العبر والمقدمة، وتولى وظائف أهمها الوزارة.
البغدادي: هدية العارفين، جـ١ ص٢٧٤.

العقوبة، وأخذ الرشوة، وتلحقها الهدية، ودخول الحمَّام وآدابه، بما يجعل هذا الكتاب من أبرز مصنفاته، فضلاً عن أهميته في علم التربية الإسلامية الذي نحتاج إلى المزيد من الاهتمام به، وانتهى من تأليفه في ١٥ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ[(١)].

ع) كناشة الحسن الغسال: وقد ذكر فيها بعض مشايخه ومنهم: حمزة أبو محمد حمدون الفاسي[(٢)]، وسيدي عبد الوهاب بن سيدي عبد الله بن حمزة، وعبد القادر الفاسي[(٣)]، وغير هؤلاء، وقد ذكر فيها الكثير من المشايخ فمن لا يعرفهم عادة إلا من كان من أهل المغرب، وقد ذكر أسماء الكثير من العلماء في مختلف الأراجيز التي أوردها من نظمه هو، وهي تستحق أن تطبع حتى يقف الباحثون على الأوضاع العلمية التقليدية في العصور

---

(١) الحسن الغسال: مفتاح التيسير، ورقة.

(٢) أبو محمد حمدون الفاسي: هو الشيخ أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون الشهير بابن الحاج انتهت إليه رياسة جميع العلوم واستكمل أدوات الاجتهاد على الخصوص والعموم، له تآليف منها الحاشية على تفسير أبي السعود، وعلى مختصر السعد، وتفسير سورة الفرقان، ومنظومة في السيرة على نهج البردة، وأرجوزة في المنطق، وأخرى في علم الكلام، ونظم الحكم العطائية، وغيرها، ظل يفتي ويدرس حتى توفي ١٢٣٢هـ.
محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، د. ت، ص ص٣٧٩ – ٣٨٠.

(٣) عبد القادر الفاسي: هو أبو محمد عبد القادر بن أبي جيدة بن أحمد الفاسي الشيخ حجة الإسلام، أخذ عن عبد الكريم اليازغي، والشيخ العربي الدرقاوي، ومحمد بن الطيب القادري، وله مؤلفات منها: أرجوزة في سلسلة أشياخه إلى النبي ﷺ، وتخميس على عينية الجبلي وغير ذلك مولده ١١٧١هـ ووفاته ١٢١٣هـ.
السابق: ص٣٧٣.

الحديثة المتأخرة في عهود ظهرت فيها الطباعة، لاسيما وأن الكثير من علماء المغرب لا يزالون يرون تقدير المخطوط على المطبوع.

٤) تقييد الرحلة التتويجية لعاصمة البلاد الإنجليزية: وصف فيها الرحلة التي رافق فيها قائد طنجة وكان ذهب سفيرًا عن السلطان العزيز إلى عاهل بريطانيا إدوارد السابع لحضور حفلات تتويجه سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م.

وعن هذا المخطوط كان نشر الرحلة بمبادرة د/ عبد الهادي التازي (مجلة البحث العلمي، بالعدد ٢٩ – ٣٠ مزدوج ١٣٩٩هـ / ١٨٧٩م، ص ص١٩١ – ٢٠٨)[(١)].

٥) رحلة إلى جبل طارق: وهي تقييد وجيز سجل فيه مسار الرحلة التي رشح لها القائد ابن عبد الصادق لينوب عن السلطان العزيز في تحية العاهل البريطاني إدوار السابع بمناسبة زيارته لجبل طارق في محرم ١٣٢١هـ/ أبريل ١٩٠٣م، وكان المؤلف عضوًا في هذه السفارة، نشرت هذه الرحلة مجلة دار النيابة، بطنجة، عدد ١١، خريف ١٩٨٦م، ص ص٤٩ – ٥٠[(٢)].

٢- أبرز الرحلات الحجازية في العصر العثماني:

رحلة أبو قنفوذ:

وهذه الرحلة تسمى «رحلة أبو قنفوذ في القرى والأمصار وبلاد العرب»، وليس لدينا عنها معلومات كافية لعرضها، غير أن صاحبها كان حيًّا سنة ١٠٠١هـ/١٥٩٢م[(٣)].

---

(١) محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب الفترة المعاصرة ١٧٩٠ – ١٩٣٠م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ص٢٤١.

(٢) محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، ص٢٤٢.

(٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، (القسم التاسع)، ترجمة محمود فهمي حجازي، =

رحلة السجلماسي[١]:

وهذه الرحلة تسمى: «عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر، وقادة العصر» أو «إصليت الخرِّيت في قطع بلعوم العفريت النفريت»، يتناول فيها حجته الثانية، وفيه اهتمام عميق بتعاليم وأحكام المالكية والشافعية والصوفية[٢].

رحلة ابن السراج:

أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب: هذه الرحلة كانت سنة ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٠ - ١٦٣٣م، ومؤلفها أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي الشهير بابن السراج[٣]، ولعل من أسباب أهمية تلك الرحلة أن صاحبها اتجه إلى الحجاز مجتازاً لصحراء درعة[٤]،

= الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م، ق٩ ص٥٣.

(١) السجلماسي: أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله العباسي السجلماسي، ولد سنة ٩٦٧هـ/١٥٥٩م، ظهر بوصفه المهدي في السوس الأقصى، وبعد أن ساح في البلدان بين سجلماسة ودرعة ومراكش، كانت وفاته سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م، ومن مؤلفاته الكتاب الذي تعرضنا له في المتن.

محمد بشير الأزهري: اليواقيت الثمينة في مذهب عالم المدينة المعروف بطبقات المالكية، دار الآفاق، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٢) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩ ص٥٣٧.

(٣) السراج (أبو عبد الله محمد بن أحمد القيس): أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب (١٠٤٠ - ١٠٤٢هـ) (١٦٣٠ - ١٦٣٣م)، حققه محمد الفاسي، فاس، ١٣٨٣هـ/١٩٦٨م، ص أ - ب.

(٤) درعة: مدينة صغيرة بالمغرب من جنوب الغرب بينها وبين سجلماسة أربعة =

وتوات[(١)] داخل الصحراء، وصاحب الرحلة كما يقول مقدمها لا يعرف عنه شيء؛ لأنه لم يرد اسمه ولا الحديث عنه ولا عن رحلته في مرجع واحد من المراجع القديمة، ولولا أن مخطوط هذه الرحلة الفريدة كابر الزمان حتى وصل إلينا لما كنا نعلم بوجوده ولا بوجود صاحبه، وهو غير مُؤَرَّخ وإنما عليه تملك شخص غير معروف [(٢)].

وأما الرحلة فقد بدأها بالحديث عما ينبغي عمله والاتصاف به لمزمع الرحلة لأداء الفريضة، وبداية الخروج من مراكش، وذكر مآثرها ورجالها[(٣)]، وفوائد السفر[(٤)]، وخروج الركب إلى أغمات وغيرها من البلدان، والرجال والعلماء، وأصحاب المزارات بها[(٥)]، ثم تحدث عن البلدان في الطريق الصحراوي حيث وصوله غرب مصر[(٦)]، ثم النيل ومصر القاهرة[(٧)]، ومساجدها ومآثرها واحتفالاتها بالمحمل، وخروج المحمل والقافلة والمنازل والمناهل[(٨)]، ثم عرج إلى

= فراسخ وأكثر تجارها من اليهود كما يذكر ياقوت.
ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، حـ٢ ص٤٥١.

(١) توات:
(٢) السابق ص أ – ب.
(٣) السابق: ص ص ٢ – ٤.
(٤) السابق: ص٧.
(٥) السابق ص ص١٣ – ٢٥.
(٦) السابق: ص٣٧.
(٧) السابق: ص٤٣.
(٨) السابق: ص٧٠.

الحديث عن المناسك[١] حتى وصوله مكة المكرمة يوم الجمعة السابع من ذي الحجة السنة المذكورة[٢]، ولم يغفل الحديث عن الكعبة وفرائض الحج وشروطه، ووصف البيت والطواف[٣]، ثم تحدث عن الرحيل إلى المدينة المنورة، والمساجد فيها، وهدية السلطان المغربي إليها وما حولها من الآثار[٤]، ثم تحدث عن العودة بالتفصيل من نفس الطريق الذي جاء منه، والرحلة شائقة ممتعة، وتعطي على إيجازها معلومات فريدة تستحق الدراسة.

ماء الموائد:

وهي رحلة لأبي سالم العياشي[٥]، والرحلة يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر الهجري حيث دون فيها ملاحظات أعوام ١٠٥٩هـ، ١٠٦٤هـ، ١٠٧٢هـ، وعن الحجة الثالثة ألَّف رحلته، وقصد أن تكون إلى جانبها الموضوعي ديوان علم، وبذلك طالت حتى استوعبت سفرين ذيلهما المؤلف بالنص الكامل لفهرسة الثاني إتحاف الأخلاء بإجازات الأجلاء.

والرحلة منشورة بالمطبعة الحجرية سنة ١٣١٦هـ في مجلدين حجم وسط

---

(١) السابق: ص٧٤.

(٢) السابق: ص٧٦.

(٣) السابق: ص٨٣.

(٤) السابق: ص ص١٠٦ – ١٠٨.

(٥) أبو سالم العياشي: هو أبو سالم عبد الله محمد بن أبي بكر سالم العياشي المغربي، المتونى سنة ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م، ومن مصنفاته: «مسالك الهداية إلى معالم الرواية» أو اقتضاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، «وإتحاف الأخلاء بإجازات الأجلاء» أثبت فيه نصوص الإجازات التي كتبها المشايخ المشارقة والمغاربة. محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، جـ١ ص ص١٧١ – ١٧٢.

ص٤٢٢، ٤٥٦ عدا الفهرس فيهما.

وقد استهوت الرحلة اهتمام أستاذ فرنسي هو بارنر[١] وجاء فترجم قسمًا منها إلى الفرنسية نشر في مجلة جزائرية.

وأما عن الرحلة فتعد أهم الآثار المغربية في ميدان الرحلات الحجازية إذ سار على نهجها غالب من جاء بعده من الرحالة المغاربة مثل: الورثيلاني، والزياني، وغيرهما.

وتحدث في الرحلة عن وصف دقيق للطريق بين المغرب والحرمين، وتحدث عن مصر وما فيها وعما التقى فيها من العلماء والآثار، ثم عرج للحديث عن الحرمين الشريفين، ووصف ما فيهما من الآثار.

فتحدث عن الكعبة، والكسوة، والبيت الحرام، والموالد وغير ذلك، والمعلا، والأسواق، والشوارع، ثم تحدث عن المدينة، وعلمائها، ومسجدها، وأحد وما فيها من الشهداء، بما يجعل من رحلته هذه موسوعة علمية تنطق بأحداث القرن الحادي عشر في مكة والمدينة المنورتين والمشرفتين، فضلاً عن وصف دقيق للأغوات والإدارة والأشراف وغير ذلك[٢].

يضاف إلى ذلك رحلة أخرى لنفس المؤلف سميت الرحلة الصغرى، وهي رسالة مطولة كتبها لتمليذه أحمد بن سعيد المجيليدي، وهو في بدء طريقه للحج عام ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م، وقد زود العياشي تلميذه عن الأمتعة التي يصحبها معه

---

(١) السابق: جـ١ ص١٧٨.

(٢) راجع: أبو سالم العياشي: ماء الموائد، (المعروف بالرحلة العياشية)، تعليق عبدالكريم الفيلالي، الرباط، المغرب.

وعن طريق الحج، ومنازله، ومناهله، وبالمشتريات النافعة مع الأعلام الذين يأخذ عنهم والمزارات التي يقصدها، ولأهمية هذه الرحلة في موضوعها مع اختصارها، يسميها البعض: التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز(١).

رحلة ابن المرابط(٢):

وهي لابن المرابط الدلائي، وهي رحلة وجيزة منظومة في بحر الكامل على روي الدال، نظمها في (١٣٦) بيتًا مزدوجًا، ورتبها على منازل الحاج الفاسي إلى المدينة المنورة، وقد أدرجها الناظم ضمن ديوانه الذي ينتظم مع ديوان والده في جزء مخطوط حيث وردت به الرحلة من ورقة (٥٩أ) إلى (٦٣ب).

رحلة الرافعي(٣): ١٠٩٧هـ

وهي: المعارج المرقية في الرحلة المشرقية، وهي رحلة قام بها صاحبها ابتداءً من ثامن جمادى الأولى سنة ١٠٩٦هـ، وانتهى منها عاشر رجب عام ١٠٩٧هـ، والرحلة وصف لمراحها في البحر والبر، وللمدن التي حل بها ركبه ونزل بها، وما شاهده فيها من آثار وعادات وأعراف، وأفرد الحرمين الشريفين؛ مكة المكرمة ومشاعرها الطيبة، وطِيبَة ومزاراتها بأوصاف تفيض بالمشاعر والعواطف، كما ضمنها أخبارًا عمن لقي من الشيوخ والعلماء في مختلف المدن

---

(١) محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، جـ١ ص١٨٧.

(٢) ابن المرابط الدلائي: محمد بن محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر الصنهاجي، نزيل فاس المتوفى بها عام ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م.

(٣) الرافعي: أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي الرافعي التطواني.

هذا إلى ما أودعها من إشارات تتعلق بالقرصنة في البحر المتوسط وأخرى عن ركب الحاج المغربي وأبرز أعضائه، والرحلة على ما يذكر الدكتور حسن الوركلي بالنظر إلى محتوياتها من الأوصاف والأخبار والإشارات المذكورة ذات أهمية تاريخية وقيمة وثيقة بالنسبة للمدة التي استغرقتها منذ خروجه من تطوان، ونزوله مرسى جرتيل إلى عودته حلق الوادي جمرتيل، كما أنها على اجتهاد صاحبها في صوغها صياغة أدبية وتوشيتها بأشعاره وأشعار غيره ليست ترقى في جانبها الأدبي رقيها في الجانب الأول، وقد أدرك الرافعي شيئًا من ضعفها الأدبي فألمح إلى ما يشبه الاعتذار عنه وغاب عنه فيما يبدو ما لرحلته من قيمة في جانبها التاريخي(١).

رحلة اليوسي(٢):

وهي رحلة عن حجته عام ١١٠١هـ، جمعها مرافقه في وجهته ولده محمد العياشي بفتح أوله، وكان حيًا عام ١١١٩هـ/ ١٧٠٨م، وتغفل المصادر أية

---

(١) د/ حسن الوركلي: شذرات تطوانية، الطبعة الأولى، جمعية تطوان أسمير، تطوان، المغرب، ٢٠٠٢م، ص ص٨٢ – ٨٣.

(٢) اليوسي: الحسن بن مسعود بن محمد المتوفى بآيت يوسى عام ١١٠٢هـ/ ١٦٩١م، وترك مصنفات مهمة منها أجوبة في التوحيد وجواب عن سؤال العطار المراكشي، واشية على شرح كبرى السنوسي، والرد على القرافي في التفريق بين القديم والحديث في كلام الله، وشرح صغرى السنوسي، وعقيدة صغرى، وفقهية منظومة، وقواعد الإسلام وأكثر من ستين مؤلفًا، محمد المنوني: المصادر المغربية، جـ١ ص١٧٣، ود/ محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب ١٩٨٨م، ص ص١٠٨ – ١١٥.

إشارة عن مضمون هذه الرحلة.

الرحلة الناصرية:

وهي رحلة لأبي العباس الدرعي[١] وتعتبر هذه الرحلة من أوفى الرحلات إلى الحج وأوفاها وأمتعها، وقد اعتمد فيها مؤلفها على رحلة شيخه أبي سالم العياشي الذي وصفه بأنه شيخ الرحالين، وقد تعددت أسفار الدرعي إلى الحجاز حتى وصلت أربع رحلات إحداها التي دونها وسجل فيها ارتساماته عن الحجاز، والتي كانت سنة ١١٢١هـ/١٧٠٩م، وطبعت الرحلة طبعة حجرية بحروف مغربية في مدينة فاس سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، في جزءين[٢]، بينما لخصها علامة الجزيرة حمد الجاسر ونشرها في مجلة العرب[٣].

نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس:

جامعها هو أحمد بن عبد القادر بن علي الحسني الفاسي المتوفى سنة ١١٣٣هـ/ ١٧٢١م، وقد حج للمرة الثانية عام ١١٠٠هـ، برفقة شيخه أبي العباس أحمد بن محمد بن معن، فألف هذه الرحلة، وتوجد منها ثلاث نسخ مخطوطة بخط مغربي في ٨٠ ورقة من حجم صغير[٤].

---

(١) هو أبو العباس الدرعي: أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الدرعي، المتوفى سنة ١١٢٨هـ/ ١٧١٦م.

(٢) أوليا شلبي: الرحلة الحجازية، ترجمها عن التركية وقدم لها د/ الصفصافي المرسى، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٦.

(٣) حمد الجاسر: ملخص رحلتي الدرعي والناصري. مجلة العرب، جـ ص

(٤) محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، جـ١ ص١٨٩.

رحلة محمد بن الطيب الشركي:

ألفها عن رحلته التي حج فيها عام ١١٣٩هـ، منها نسخة وحيدة في خزانة جامعة لايبسك بألمانيا رقم (٧٤٦) من فهرس فوارس، حيث قام بتحليلها الأستاذ الكبير محمد الفاسي الفهري خلال دراسة عن مؤلفها منشورة في مجلة المناهل بالعدد ٦ ص٨٩ – ٩٨[١].

رحلة القاصدين ورغبة الزائرين:

وهي رحلة من تأليف الغنامي عبد الرحمن بن أبي القاسم الشاوي الزمزمي، تاريخ وفاته غير مضبوط، ووقعت حجته عام ١١٤١هـ/ ١٧٢٩م، والرحلة في ٢٤ صفحة بآخرها بتر[٢].

رحلة الإسحاقي:

لصاحبها محمد الشرقي بن محمد تاريخ وفاته غير مضبوط، كانت حجته سنة ١١٤٣هـ في رفقة خناثة أم السلطان العلوي عبد الله إسماعيل يقع الموجود منها في مجلد يشتمل على (٣٨٩ص) في قطع متوسط.

وقد نشر منها الجزء الخاص بليبيا مع تعاليق ومقدمة ضافيتين بعنوان أمير مغربي في طرابلس أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي تقديم وتحقيق الدكتور عبد الهادي التازي، مطبعة فضالة دون تاريخ في قطع متوسط (١٧١ص) عدا فهرس الموضوعات والصور[٣]، وهذه الرحلة من الرحلات ذات الأهمية

---

(١) المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، حـ١ ص١٩٠.

(٢) محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، حـ١ ص١٨٩.

(٣) السابق: حـ١ ص١٨٩.

لاسيما وأن صاحبها من رجال السلطان في المغرب وحجت والدته السيدة خناثة وبدأها بنسب العلويين وخروج السيدة خناثة، وخروج الركب من فاس، والوصول إلى تازة، ثم تحدث عن رجال الزاوية الدلائية، وقد توفي أحدهم وبعد ذلك تحدث عن الطريق وعن بعض الأشخاص الذين وردت بذكرهم آثار ضعيفة على أنهم من الأنبياء[١]، ثم تحدث عن بعض المنازل والمدن كتوزر[٢]، وجربه[٣]، ومن التقاه بها من العلماء، وطرابلس وما فيها من تحصينات[٤]، وآثار[٥]، ولم يغفل رأي العبدري[٦]، وجهوده التاريخية، ووصفه للطريق ثم مر على برقة[٧]، وتحدث عن مصر وما أنزل الله في شأنها من قرآن كريم وأحاديث النبي ﷺ[٨]، ووصف الأهرام والمقطم[٩]، وجبل يشكر[١٠]، وزار ضريح ومسجد

(١) الوزير الإسحاقي: الرحلة الحجازية، ورقة ٥٥.

(٢) السابق: ورقة ٦٦ - ٦٧.

(٣) السابق: ورقة ٧٦.

(٤) السابق: ورقة ٨٥.

(٥) السابق: ورقة ٩٢.

(٦) العبدري: هو أبو العباس أحمد بن علي بن أبي بكر الميروقي الأندلسي المعروف بالعبدري المتوفى سنة ٦٦٥هـ من مصنفاته غير الرحلة، بهجة المهج في الطائف ووج.
البغدادي: هدية العارفين، حـ١.

(٧) الإسحاقي: الرحلة الحجازية، ورقة ١٠٩.

(٨) السابق: ص١٢٨.

(٩) السابق: ص١٣٤.

(١٠) جبل يشكر: هو الجبل الذي عليه مسجد أحمد بن طولون، ودفن به العديد من الصحابة. الرحلة: ورقة ١٣٧.

الشافعي[١]، وبعض أضرحة الصالحين والأزهر الشريف[٢]، والنيل[٣]، وذكر الخروج من مصر إلى الحجاز يوم الخميس التاسع عشر من شوال من السند إلى البركة[٤]، ووصف طريق الحج بدقة متناهية، ثم ذكر مكة وآثارها، ومزاراتها، والآيات البينات التي نزلت فيها[٥]، ووصف المسجد الحرام، والكعبة، وأهلها، وعاداتها، وفاضل بين أهل مكة وأهل المدينة، فذكر أن أهل المدينة أفضل[٦]، وذكر من لقيه بمكة من العلماء والأعلام[٧]، وأورد لطائف لهم وأشعارًا لنفسه ولهم[٨]، وأورد المناسك المالكية في الحج والزيارة[٩]، فضلاً عن الإجابة على بعض الأسئلة[١٠]، ثم تحدث عن خروجه من مكة[١١]، وتوقفت الرحلة عند عرض تاريخ المدينة المنورة، وجبل أحد، وختمت الرحلة والتي يرجح أن بها نقصًا لوصف المدينة ثم رحلة العودة.

---

(١) السابق: ورقة ١٣٩.

(٢) السابق: ورقة ١٥٦.

(٣) السابق: ورقة ١٥٢.

(٤) السابق: ورقة ٢٠٦.

(٥) السابق: ورقة ٢٤١.

(٦) السابق: ورقة ٢٤٩.

(٧) السابق: ورقة ٢٨١.

(٨) السابق: ورقة ٣١١.

(٩) السابق: ورقة ٣٢٠.

(١٠) السابق: ورقة ٣٤٤.

(١١) السابق: ورقة ٣٤٧.

رحلة أبي مدين الدرعي:

وهو محمد بن أحمد بن الصغير السوسي الروداني الأصل، المتوفى عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، وقد سافر للحج مرتين الأولى سنة ١١٥٢هـ وعنها ألف هذه الرحلة(١).

بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام:

وصاحبها هو عبد المجيد الزيادي(٢)، وكانت رحلته هذه سنة ١١٥٨هـ وهي تقع في (٢٤٤) ورقة في (٤٨٨) صفحة من القطع المتوسط.

وبدأ رحلته بالحديث عن رغبته في الحج وتسهيل الله سبحانه وتعالى ذلك لمن أراد، ثم تحدث عن الخروج من مدينة فاس المحروسة(٣) وما فيها من الآثار والأضرحة والمشايخ والفضلاء، وعن المصادر التاريخية التي تحدثت عن المغرب

---

(١) محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، جـ١ ص١٩٠.

(٢) هو عبد المجيد بن علي بن محمد بن علي المنالي الصوفي الحسيني الزيادي، شاعر ومتصوف وطبيب مشهور من منالة في السوس، توفي في فاس مريضًا بالطاعون في ١١ شعبان ١١٦٣هـ/ ١٦ يوليو ١٧٥٠م، وترك مصنفات منها: نيل الأرب في التشوق إلى أفضل أرض العرب قصيدة ألفها سنة ١١٤٦هـ، ونيل بلوغ السول بالتعليق بجانب الرسول عليه صلوات لا تحول ولا تزول، ومنظومة في الفرق بين الظاء والضاد، وإفادة المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة عمر صابر عبد الجليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م، ق٩ ص٤٥٤.

(٣) عبد المجيد المنالي: بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام، مخطوط بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، تحت رقم ١٤٣٤، ورقة ٩.

وآثارها[١] وتاريخها[٢]، ثم تحدث عن مدينة طرابلس عند وصوله إليها والمشايخ القاطنين بها الذين التقاهم[٣]، وما صنفه من أشعار في حق طرابلس (حرسها الله) والرحيل منها[٤]، وعدد مراحلها بالتفصيل[٥]، ثم عرج إلى الحديث عن مصر القاهرة عند وصوله إليها والذي وصلها في الرابع والعشرين من شهر شوال، ونزلوا في وكالة إزاء الغوري، وتحدث عن اجتماعاته بالعلماء والصلحاء ومشاهداته[٦]، ثم ذكر الرحيل عنها، واتخاذه طريق الحج ابتداءً من بركة الحاج، وأعطى تصورًا لسير قوافل الحجيج المتعاقبة التي تسير في ركب متقارب، وبدأ في وصف منازل الحج بعد بركة الحاج مثل عجرود وغيرها[٧] حتى وصوله إلى الحجاز.

ونقل الكثير من المعلومات عن طريق الحاج بالإضافة إلى مشاهداته عن الشيخ العياشي في كتابه «ماء الموائد»[٨]، وتحدث عن المناهل والعيون في طريق الحج وأفضلها وأنواعها[٩]، ثم دخل مكة من باب السلام وشرع في الحديث عن مكة وتاريخها وآثارها وتحضيناتها، وذكر بعض الأشعار في مقام التشويق

---

(١) السابق: ورقة ١٦.

(٢) السابق: ورقة ١٩ - ٢٠.

(٣) السابق: ورقة ٢٣ - ٢٤.

(٤) السابق: ورقة ٣٥ - ٣٦.

(٥) السابق: ورقة ٤٩ - ٥٠.

(٦) السابق: ص ص ٦٠ - ٦٢.

(٧) السابق: ص٦٣.

(٨) السابق: ص ص٦٧ - ٦٨.

(٩) السابق: ص٦٨، ١١٨.

إليها، وأسماء مكة، وأهم أماكنها وخططها[١]، والحجر الأسود، والكعبة وغير ذلك، ثم تحدث عن الزيارة للمدينة[٢]، والطريق إليها من مكة ومن التقاه من المغاربة حال الوصول[٣]، وآداب الزيارة ودخول الروضة المشرفة[٤] وأورد الأشعار في هذا المقام[٥]، وأسماء المدينة، كما أضاف رسومًا للحرم المكي والمدني[٦]، وخروجه من المدينة عبر الطريق من المويلح إلى مصر إلى بلاد المغرب[٧].

وهذا الكتاب من أمتع الرحلات الحجازية للمغاربة بعد رحلة العياشي، وأهم وأبرز من رحلتي الورثيلاني، والزياني بصورة واضحة، وعلى أية حال فالكتاب يحتاج إلى التحقيق والنشر، وهو ما يقصر فيه أبناء المغرب وغيرهم من الباحثين.

الرحلة الحجازية:

وصاحبها المجاجي[٨]، وهو مخطوط يوجد بالجزائر، تفيد المصادر أنها

---

(١) السابق: ص١١٣.

(٢) السابق: ص ص١٣١ – ١٣٢.

(٣) السابق: ص١٣٥.

(٤) السابق: ص١٤٥.

(٥) السابق: ص١٥٢.

(٦) السابق: ص١٧٦.

(٧) السابق: ص١٩٩.

(٨) المجاجي: هو عبد الرحمن بن محمد بن ضروب المجاجي وقد ألف هذه الرحلة سنة ١١٦٣هـ.

رحلة من مجاجة إلى مكة[1].

الرحلة العامرية:

وهي رحلة منظومة من بحر الخفيف على روى الهمزة نظمها ابن الحاج التلمساني محمد ابن الحاج منصور بن أحمد العامري المراكشي النشأة، التازي الدار، المتوفى بالمشرق حدود سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م.

ابتدأها بتعداد الحاجيات التي يهيئها قاصد الحج، ثم أخذ يفصل مراحل الطريق واحدة واحدة من تازا إلى مكة المكرمة، ومنها إلى المدينة المنورة، ومن هذه إلى القدس الشريف، عدد أبياتها ٣٣٥، وهي منشورة بذيل كتاب ركب الحاج المغربي لمحمد المنوني (ص٨٩ - ١٠٤)[2].

رحلة ابن عمار[3] الجزائري:

وهي من الرحلات المهمة - أيضًا - وصاحبها أحمد بن سيدي عمار الجزائري، سافر في سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م إلى الحجاز، وعاش حتى سنة ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، وقد طبع الجزء الأول منها تحت عنوان: «نحلة اللبيب

---

(١) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩ ص٥٤٠.

(٢) محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، حـ١ ص١٩٠.

(٣) ابن عمار: هو أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري، ورحل إلى الحجاز سنة ١١٧٢هـ، وجاور بمكة وله غير ما ذكر في المتن «لواء النصر في علماء العصر» على نهج قلائد العقبان، وفاته حدود ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م. الزركلي: الأعلام، حـ١ ص١٨٥، وعمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، حـ٢ ص٢٧.

بأخبار الرحلة إلى الحبيب»[(١)].

رحلة الزياني:

ومن الرحلات المغربية رحلة الزياني[(٢)] وقد سجل فيها بصدق وأمانة ما رآه من إيجابيات وسلبيات، وقد تحدث فيها بإيجاز لتاريخ العالم، وتحدث عن أصول البربر وعلاقته بسلطان عصره، وتحدث عن الأندلس وجهود المسلمين منذ فتح الأندلس، ثم تحدث عن تونس وبلاد الترك وزيارتة لاسطنبول ووصف عجائبها بدقة وفتحها ومساجدها وجوامعها وبعض النظم التي شاهدها فيها.

وتحدث عن عودة السلطان من السفر إلى المغرب، وتحدث عن دخوله وجدة ووهران وتلمسان، ثم إتجه للحديث عن طول المسجد الحرام وعرضه، ومدن الجزيرة ومصر ووصفها، ووصف الإسكندرية[(٣)]، ثم تحدث عن منازل

---

(١) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩ ص٤٨٢.

(٢) أبو القاسم بن أحمد الزياني مولده في بلاده من أصل بربري سنة ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م ترك مصنفات مهمة منها: الترجمانة الكبرى، والترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، و«بستان الأدباء والكتاب مدرج في الترجمانة»، «البستان الطريق في دولة أولاد مولاي الشريف»، «ألفية السلوك في وفيات الملوك». رحل في رحلتين إلى الحجاز وتوفي سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م.

معجم المؤلفين، حـ٨ ص٩٣.

وجرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية: حـ٤ ص٢٨٢، والأعلام حـ٦ ص٦، وشيخو اليسوعى: الآداب العربية، حـ٦ ص١٧، والترجمانة الكبرى في أخبار العالم شرقًا وغربًا، حققه عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ص٣٩ - ٤١.

(٣) الإسكندرية: أسس الإسكندر الأكبر مدينة الإسكندرية سنة ٣٣١ ق.م كمدينة يونانية، وصارت من أهم مدن البحر المتوسط فيما بعد حوالي ٢٥٠ ق. م، وهي تقع على الشاطئ الجنوبي للبحر المتوسط شمال مصر فيما بين دمياط وطرابلس، وضع تخطيطها مهندس إغريقي اسمه (دينوقراطيس) بتكليف من الإسكندر نفسه بجوار قرية للصيادين هي قرية راقودة، ثم أصبحت فيما بعد من أشهر المدن العالمية لشهرتها الثقافية، ثم أصبحت عاصمة للبطالمة واشتهرت بالمكتبة التي أنشأها بطليموس الأول، كما اشتهرت بالمنارة=

الحج بين مصر والحجاز والمناهل والآبار ودخوله مكة ووصفها وأبوابها وما فيها، وتحدث عن الصين وعجائبها وممالك الهند منذ العهد الإسلامي، ثم عرج للحديث عن الأقاليم السبعة في العصر القديم، والبحار الكبرى وغيرها، وأشهر بلدان العالم في الجزيرة العربية والشرق والغرب، وأهم الأنهار والجبال والأحجار، ثم تعرض لبعض القضايا الدينية، وعلى الجملة فالعمل مهم تنقصه الدقة في العرض؛ لأنه في غالب الأحيان يبالغ في عرض الأحداث والأهم من ذلك أنه لا يتعرض للأحداث بالنقد إلا نادراً، ومن المهم أن نذكر أنه تعرض لجانب من حياته كسيرة ذاتية ذكر فيها أساتذته بالتفصيل وأثنى عليهم وقدم نقدًا للرحلات التي قبله كرحلة ابن بطوطة.

وقد قسمها على تقسيم الأقاليم السبعة من المغرب إلى أقصى المشرق بالصين ومن أقصى السودان في الجنوب إلى أقصى بلاد الصقالبة في الشمال القاصي، وتحدث عن رحلتيه للحج الأولى سنة ١١٦٩هـ والثانية بعد الرجوع إلى المغرب ١١٧١هـ.

الرحلة الحجازية للولاتي[1]:

وقد قام بهذه الرحلة مع الركب المغربي من الرباط إلى الحرمين الشريفين ثم العودة ابتداءً من ثمان ليال بقين من شوال من العام الثالث عشر بعد ثلاثمائة وألف، وكان معه ولده محمد، وكانت رحلة بحرية وصاحبه فيها بعض الأصدقاء حتى وصل إلى الحرمين الشريفين[2] ووصف الحرمين، والأهالي، والعادات،

= التي تعد إحدى عجائب الدنيا السبع، وفتحت الإسكندرية وكانت عاصمة لمصر سنة ٢١هـ وانتقلت منها مقر الإدارة إلى الفسطاط، ثم القطائع المصرية، ثم القاهرة والتي لا تزال عاصمة مصر، والإسكندرية حاليًا أشهر الموانى المصرية وأهم مدينة مصرية على البحر المتوسط.

(١) الولاتي: الفقيه الحافظ محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي المتوفى بالرباط، ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م.

(٢) الولاتي: محمد يحيى بن محمد المختار ١٣٣٠هـ/١٩١٢م: الرحلة الحجازية، تخريج وتعليق د/ محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، الرباط ص١٦٨.

والتقاليد، والآثار، والمشاهد، لكن غلب على رحلته الطابع الديني والفقهي، فوصف الإحرام والأحكام الشرعية، ويعطي في كل قضية يتكلم عنها خلفية تاريخية والآثار الواردة في شأنها من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، كما وردت إجابته لبعض الاستفتاءات التي وردت إليه، وتعرض لبعض البدع التي يمكن أن تخرج من الملة الإسلامية، وناقش بعض أقوال المتكلمين في دراسة عقلية وعلمية شائقة(١).

وأظهر بعض عادات المغاربة وهي تجهيز ذويهم - في الحرمين الشريفين - أماكن لمبيتهم ومعيشتهم في انتظارهم، وهي عادة أصحاب الرحلات المغاربية بوجه عام، غير أنه اختلف عنهم في ذمة بعضهم، ففي ينبع انتظره صديقهم إسماعيل المنياوي، فقال عنه: فدخلناه - ينبع - وحملنا أثقالنا إلى بيت إسماعيل المنياوي، فأكرى لنا بيته كراءً صعبًا بكل يوم ثلاثة عشر قرشًا، ولم يسقنا ماءً ولم يطعمنا فصرنا نشتري الماء والطعام في كل يوم فمكثنا في ينبع خمس ليال والذباب والبعوض في غاية الإيذاء لنا فقلت في ذلك أبياتًا هاهي ذي:

الماء في قصر ينبع بأثمان	وللطعام مقام الغر والشان
وللمنازل غلاّت مشددة	على الغريب بأثمان وذبان
فاحذر مقامًا بينبع نزلت به	واقصد لجدة أهل الفضل أعيان
وانزل على آل مشاط تجد كرمًا	غمرًا يعم بعيد الدار والدان
قرى وعونًا وتجهيزًا ومكرمة	وبسط كف وتحديثًا بأفنان
وإن على آل جمجوم كرلت تكن	مادمت ثمت في بر وإحسان

---

(١) السابق: ص ص١٦٨ - ١٨٣.

لا يبخلون علــى ضــيف بفضــلهم يسلو الغريب بهم عن ذكر أوطان[١]

رحلة الورثيلاني:

نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار وهي الرحلة الشهيرة بالرحلة الورثيلانية طبعت أكثر من طبعة وهي لمؤلفها الحسين بن محمد الورثيلاني[٢] وقد جمعها الشيخ عبد القادر بن محمد الصغير وعلق عليها محمد بن أبي شنب، والكتاب في علم التاريخ والرحلة كما هو معروف ابتدأ من ورثيلان في الجزائر والاستعداد منها للرحلة وآداب السفر وآداب الحج والعمرة وفضيلة كل منهما والوصول إلى الحرمين الشريفين والعودة مرورًا بطريق الحج المغربي[٣] إلى مصر، ويروي مشاهداته في مصر وكيفية وزيارة الأضرحة وغيرها من أماكن

---

(١) الولاتي: الرحلة الحجازية، ص١٨٥.

(٢) الورثيلاني: هو الحسين بن محمد السعيد الشريف والورثيلاني نسبة إلى ورثيلان قبيلة قرب بجاية من الجزائر مولده بها ووفاته أيضًا قبل سنة ١١٩٣هـ وقيل: السنة التي تليها وعلى ذلك فقد عاش ثمانية وستين وقيل تسعة وثمانين عامًا، وله مؤلفات كثيرة منها شرحه على القدسية للإمام عبد الرحمن الأخضري وليس لها شرح غيره وشرحه على وسطى الإمام السنوسي وشرحه أيضًا على محصل المقاصد للإمام أبي العباس أحمد بن زكريا التلمساني غير أنه مات قبل تمامه، وشرح أيضًا خطبة شرح الصغرى للسنوسي حاشية جليلة على الكتاني التي وضعها على شرح السنوسي، وقد وضع رسالة عجيبة على قول بعض الأولياء وقعت على ساحل وقفت الأولياء دونه إلى غير ذلك.

أبو الحسن الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، بيروت، لبنان، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص (د – ج).

(٣) الورثيلاني: الرحلة، ص ص٣٥ – ٤٠.

الصوفية كالزوايا وزيارة السادات والأشراف ويتعلم منهم ويأخذ عنهم[١] ويجيز بعضهم ووصف الاحتفالات المصرية بالمحمل والحج وصفًا مهيبًا[٢]، ووصف الأماكن والطرق والدروب والآبار والقلاع والمدن والبنادر وغيرها من الأماكن[٣].

وفي مكة والمدينة وصف كل ما شاهده وصفاً دقيقاً ففي مكة وصف تعليق الكسوة والمزارات والمشاهد والمساجد وما حول مكة ومنى ومزدلفة وعرفة، وفي المدينة شاهد المسجد ووصفه والخدمة فيه والمساجد الأخرى ولم ينس وصف طريق العودة إلى سبيل الاختصار مركزًا على ما حدث له ولرفاقه من الأحداث[٤].

بالإضافة إلى أنه قدم ترجمة وافية لبعض الخلفاء والأمراء والأشراف والعلماء إلى غير ذلك من التراجم كما دون بعض الاستفتاءات والأسئلة التي وجهت إليه أو وجهها هو إلى غيره من العلماء وختمها المؤلف بعودته إلى موطنه ورثيلانة بالمغرب الأوسط[٥] – كما سبقت الإشارة – وتعود أهمية الكتاب أو الرحلة الورثيلانية إلى مقارنة طريق الحج في القرن الثاني عشر الهجري مع العصر الذي يسبقه أو بالأحرى كتابات الرحالة السابقين عليه، والاهتمام بما ذكر في رحلته من الأحداث كدور العربان والأدراك والقلاع والمناهل وغير ذلك[٦]،

---

(١) السابق: ص ص٢٣٨ – ٣٧٨.

(٢) السابق: ص ص٢٦٢ – ٢٦٦.

(٣) السابق: ص٣٨٤.

(٤) الرحلة: ص ص٢٨١ – ٤٠٥.

(٥) الورثيلاني: الرحلة، ص ص٤٣٠ – ٥٢٤.

(٦) السابق: ص ص٥٢٠ – ٥٢٦.

بالإضافة إلى تدوينه بدقة ما يخص المسجد النبوي الشريف حيث يذكر الورثيلاني الكثير من الأحداث المهمة ولاسيما ما ذكره عن الأغوات وهيئتهم وأخلاقهم وعوائدهم ومساكنهم ومهامهم وعلاقته بالسلطة الحاكمة(١).

كما لم يغفل دراسة الأحداث السياسية وخاصة ما يخص مصر والحجاز والعلاقة السياسية والإدارية بينهما خلال عصرين المملوكي والعثماني فضلاً عن سرده لتفاصيل العلاقة السياسية بين تونس والجزائر ومراكش بركب الحج المصري، ويتحدث أحيانًا عن علاقة إيجابية متميزة(٢) وأخرى سلبية مؤكدًا على كل ذلك بالأمثلة، ولعل من أبرز جهود الورثيلاني(٣) إضافة المزيد من المعلومات ومناقشتها لاسيما بما ورد في رحلة العبدري، والعياشي، والناصري وبرغم أهمية الكتاب إلا أنه توجد به العديد من المآخذ وتبدو في الاستطراد الطويل – الملل أحيانًا – والذي يقطع الأحداث ويمنع عنها صفة التجانس كما أنه لا يفرق بين أحداث رآها وأخرى تعكسها من كتب السابقين(٤)، وعلى أية حال فالكتاب من أبرز المصنفات في بابه وهو ذو فائدة كبرى في ميدانه.

---

(١) السابق: ص ص٣٠٠ – ٣٠٥.

(٢) السابق: ص ص٢٦٠ – ٢٦٥، ٢٩٠ – ٢٩٣.

(٣) السابق: ص ص٥٠٣ – ٥٠٤.

(٤) السابق: ص ص٤٤٠ – ٤٥٠، ٥٢٦ – ٥٤٠.

رحلة الرهوني[١]: ١٣٥٥هـ

وهي المعروفة بـ (الرحلة المكية) وقد صدَّر الرهوني هذه الرحلة بكلمة شكر فيها الخليفة السلطاني الحسن بن المهدي العلوي الذي عينه على رأس وفد حجاج المنطقة الشمالية من المغرب عام ١٣٥٥هـ، ثم شفعها بنص الخطبة التي كان ألقاها من إذاعة تطوان من فريضة الحج، وتقع في هذه الرحلة على مادة تاريخية غنية بما تضمنته من أخبار ومعلومات ووقائع وأسماء، ومن ذلك مما يتعلق بالبلد الأمين.

إخباره عن كسوة الكعبة التي قام بعملها الملك عبد العزيز سنة ١٣٥٥هـ، وعن سدنة الكعبة والشيبيين، وتحدث عن أوصاف الحجاز؛ والصفا والمروة، والمسعى، والكعبة، والعملات المتداولة بمكة وقت الموسم، وأجرة السفر ذهابًا وإيابًا إلى المدينة، ومكة، وجدة، كما أضاف أخبارًا عن البلد الأمين، وعن المشاعر المقدسة، وعن المدينة، فضلاً عن المواقع التي مَّر بها الركب البحري، كما أشار إلى الهدايا التي أهديت إلى ملك المغرب، وما كان لوفد المغرب لدى الملك عبد العزيز[٢]، وكان وصفه للطريق بدقة من أعجب ما في هذه الرحلة من مآثر، وقد دون لنا ارتسامات مهمة عن الدروس العلمية التي كانت تلقى على

---

(١) الفقيه العلامة أحمد الرهوني التطواني، من علماء تطوان في القرن الرابع عشر الهجري، كانت له مشاركة في التأليف والتصنيف، ومنها كتابه عن تاريخ تطوان وعنوانه: عمدة الراوين في تاريخ تطاوين في عدة مجلدات.
الوركلي: شذرات تطوانية، ص١٠٢.

(٢) الوركلي: شذرات تطوانية، ص ص١٠٤ – ١٠٥.

الحجاج في المدينة المنورة[١] والرجال الذين التقاهم وصادقهم، وصارت بينهم المودة، كما لم يغفل الحجر الصحي ومشاهداته ووصفه بما فيه والحكم عليه[٢].

رحلة الصباغ:

وصاحبها هو الأستاذ مصطفى الصباغ، وقد أشار في مقدمتها إلى مزايا الرحلة الحجازية عند المغاربة القدامى؛ المتمثلة فيما كان أصحابها يودعونها من مشاهد ووقائع وصور تقع عليها أبصارهم في مختلف مراحل رحلاتهم ببلدان الشمال الأفريقي فمصر والشام والحجاز، حيث كانوا يقفون على نمط المعيشة وطريقة التفكير، والكلام والمعاملة عند سكان الأقطار المذكورة ويتصلون بعلمائها وأدبائها ويطلعون على الكتب والمؤلفات.

ثم يذكر الدوافع التي حدث به إلى كتابته رحلته الحجازية وتتمثل في رؤيته، أنه على الرغم من أن أخذ الدول في المشرق والمغرب بأسباب الحضارة الغربية، وبالتنظيمات الحديثة للدولة والمعاملات لم يترك ذلك الفارق الكبير بين بلد وآخر مما يثير الملاحظة ويبحث عن المفاجأة، مع كل هذا – والكلام لصاحب الرحلة رغبت في كتابة الرحلة الحجازية مستعملاً حاسة الصحفي السادسة في تتبع مراحل السفر على باخرة الحجاج، وفترة الإقامة في الديار المقدسة.

وتضمنت رحلته جملة أوصاف شملت من السفر وحتى العودة للحياة اليومية للحجاج وعبادتهم وعادتهم ووصف للمدن الحجازية ابتداءً من ينبع، ومكة، والمدينة، ووصفه للمطوفين، ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ الصباغ كان

---

(١) أحمد الرهوني: الرحلة المكية، نشر معهد فرانكو، تطوان، المغرب ١٩٤١م، ص ص٥٩ – ٦١.

(٢) السابق: ص٦٥.

وصفه للمدينة أعمق من وصفه لمكة، وارتسمت لديه عنها انطباعات أجلُّ وأعلى، وقد نشرها في صحيفته تباعًا غير أن المنية عاجلته قبل أن يكمل النشر(١).

دليل الحج والسياحة:

رحلة لصاحبها أحمد الهواري(٢)، وتتميز هذه الرحلة بما فيها من تفصيلات تبدأ من نشره للقرار الوزاري الخاص بالترخيص لمن يريد الحج في التغيب عن العمل بقصد التوجه للزيارة للحرمين الشريفين، وعن أنها لا تمنح إلا مرة واحدة، ويشترط عليه أن يثبت أنه كان بالحجاز بوسيلة ما وألا يحصل على العقوبات التأديبية المترتبة على هذا الفعل(٣).

وقدم في بداية الرحلة مجموعة من التقاريظ من أصدقائه، ثم بدأ يعرض في المقدمة عن متعة الحج والشوق الذي يهفو إليه، ثم تحدث عن زيارته لمصر بلد الفراعنة ومتعتها والخسارة التي تلحق بمن لم يزرها، لما فيها من علماء وكتب، يقول في ذلك «خسارة وأي خسارة في حق الحاج أن يشد رحلته المطلوبة منه في عمره فيحرم نفسه فيها من الهبوط إلى الكنانة لإلقاء نظرة على ضخامتها وآثارها المجيدة»(٤)، ثم يتحدث بنفس الطريقة عن بلاد الشام والدول الأوربية،

---

(١) الوركلي: شذرات تطوانية، ص ص١٠٥ – ١٠٩.

(٢) هو الأستاذ أحمد بن محمد الهواري، صحافي رئيس تحرير جريدة السعادة وعضو بالمحكمة العليا الشريفة وبجمعية أحباس الحرمين الشريفين.

(٣) الهواري: دليل الحج والسياحة، ص ص١٣ – ١٤.

(٤) السابق: ص٢٧.

وتطرق للحديث عن طرق الحج وبدأ بالحديث عن الإبحار من طنجة[١] والاتجاه نحو فرنسا، ثم مصر، فالحجاز، وأفرد صفحات للحديث عن الأزهر وإدارته وأروقته[٢].

وتطرق لنظام الدراسة في الأزهر بشكل جاد بالفعل، فضلاً عن بعض الآثار المصرية، ثم تحدث عن الطريق الحجازي، وتحدث عما في مكة من إدارات، وبلديات، وعادات، وتقاليد، ومذاهب، ومؤسسات، وشوارع، ومارستانات، ومشروعات[٣]، وأسواق، وتجاره[٤]، والبيت الحرام وما فيه[٥]، وتحدث عن الرباط المغربي الجزائري ووصفه بدقة شديدة[٦]، ورباط الإباضية[٧]، والصحافة الحجازية، وتحدث عن المطوفين والطوافة والمواصلات[٨]. ثم انتقل للحديث عن المدينة والحرم المدني وموقعه ومنظره وجماله، وما حوله من المراحيض والمحلات، وصلاة الجمعة فيه[٩]، ونظام التدريس فيه في مختلف المذاهب ومساجد المدينة المنورة[١٠]، ومدافعها وأحد وشهداؤها والعودة إلى المغرب

(١) السابق: ص٣٦.
(٢) السابق: ص٦٩.
(٣) السابق: ص ص١٢٨ – ١٣٢.
(٤) السابق: ص١٣٧.
(٥) السابق: ص ص١٣٧ – ١٤٤.
(٦) السابق: ص ص١٦٢ – ١٦٤.
(٧) السابق: ص١٦٧.
(٨) السابق: ص١٨٣.
(٩) السابق: ص٢٠١.
(١٠) السابق: ص٢٠٧.

مرورًا ببلاد الحجاز، ومصر، وفرنسا مرة ثانية(١).

ولم ينس أن يدون عشرات الصور البديعة والرائعة للحرمين الشريفين ولبعض الأشخاص والأشكال مما يجعل لرحلته مزية تنفرد عن الكثير من الرحلات المماثلة(٢).

---

(١) السابق: ص٢٠٩.

(٢) السابق: ص١٢١، ١٨٣، ٢٢٧، ٢٦٠ وغيرها.

٣- دراسة المخطوط:

الرحلة التي بين أيدينا للحسن بن محمد الغسال وهي رحلة على درجة كبيرة من الأهمية لما حوت من موضوعات ومعلومات جادة في بابها وهي فيما نعلم مخطوطة وحيدة ينبغي أن نعرض لها في السطور التالية.

وصف المخطوط:

مخطوط يقع في ثماني وثلاثين ورقة يوجد بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية نسخة منه تحت رقم ٢٢٧٥ تاريخ، وهي ذات النسخة التي توجد بمكتبة الشيخ محمد بوخبزة عالم تطوان.

وأما وصفها فهي تقع في أربعين صفحة في عشرين ورقة ذات وجهين، كل صفحة تحتوي على تسعة عشر سطرًا، والسطر يحتوي في الغالب من ثماني إلى عشر كلمات وفي أعلى كل صفحة مدون «الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم» والمخطوط كُتِبَ في حياة المؤلف الذي توفي سنة ١٣٥٨هـ بينما كان الفراغ من تقييدها بعد منتصف جمادى الأولى سنة ١٣١٦هـ.

وأما الخط الذي كتب به المخطوط هو الخط المغربي الذي يعتمد على شكله المميز به، ويتمثل في حرف الألف والسين والشين وغير هذه الحروف التي أرهقتني كثيرًا.

وتعود أهمية النسخة إلى أنها نسخة نقلت من نسخة المؤلف - غير معروفة المكان فيما قرأت - كتب في حياته عشية إحدى عشرة محرم الحرام ١٣٢٤هـ.

والمخطوط على جانب كبير من الأهمية لعرضه موضوعات شائقة فهو في

حقيقة الأمر امتداد جاد لغالب رحلات المغاربة في التاريخ الحديث والمعاصر الذين عنوا بهذا النوع من المادة التاريخية أيما عناية أغنت الباحثين والدارسين بالكثير من المادة التاريخية البكر في الجوانب؛ السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والحضارية، وهو ما يضاعف من أهمية مثل تلك الدراسات، وهو ما يدفعنا إلى العناية بهذه الرحلات، ونرى هنا أنه لزامًا علينا أن نسجل بعض قضايا المخطوط ورأي معاصريه فيها، ولعل أهمها وأبرزها موقفه من قضية الحجر الصحي الكائن في مدينة الطور.

ويلحظ على المؤلف على الرغم من كونه عالمًا وفقيهًا أنه يستخدم بعض ألفاظ العامية أثناء تسجيله لبعض الصعوبات، كما أنه أيضًا التزامه بالمذهب المالكي في عرض موضوع المناسك وأحكامه.

ومما هو جدير بالذكر أن المخطوط مكتوب بالخط المغربي صعب القراءة إلا بعد ممارسة قراءته فترات غير قليلة.

ويلحظ أيضًا أن الرحالة الغسال يجهل الكثير من الموضوعات التاريخية الشهيرة مثل جامع عمرو بن العاص والذي يسجله باعتبار صاحبه هو محمد بن العاص الذي لا نعرفه، فضلاً عن موضوعات مشابهة.

مشاهدات الغسال:

ولقد سجل الحسن الغسال بعض المشاهدات المهمة فتحدث وسجل ما شاهد في بلاد المغرب ومصر والحرمين الشريفين، وسجل المآثر الدينية، وأهمية كل إقليم يدخله وعاداته وتقاليده ووصف أبرز آثاره، وأسواقه وشوارعه ومؤسساته وكان أمينًا في نقل مشاهداته فكان يسجل ما يراه بدقة تحسب له، وكانت

معلوماته دقيقة جدًا فقد سجل في المدينة أن غالب التجار من أهل الهند وبساتين المدينة من أجمل ما فيها، وذكر كذلك عادات وتقاليد شاهدها بنفسه، ويمكن المقارنة بين كتاباته وغيرها ما دونه من ارتسامات وعواطف تجاه محجر الطور، حيث قدم صورة ضافية عما رآه وشاهده بنفسه مما يمكن أن يقال: أنه تجربة شخصية له مع الإدارة الطبية في هذا المحجر، وفضلاً عن موضوع المحجر فقد سجل بعض الملاحظات منها:

- وصفه لمالطة ووجود مقبرة إسلامية بما يعني وجود جالية إسلامية لا بأس بها تعيش في هذه المنطقة وتتعيش من مهن مختلفة[(١)].
- وصفه لمدينة مارسيليا التي توجه إليها من الجزائر حسب طبيعة السفر وما شاهده بعيدًا عن كتابات الرحالة المشارقة ومعهم المصريون.
- وصف دقيق لعادات أهل مكة والمدينة وأزيائهم وطيبهم واحتفالاتهم[(٢)].
- وصف الغسال للركب وطريقة السير وركوب الجمال والحمير ومظاهر السوء والحسن في كل ذلك[(٣)].
- تسجيل المؤرخ والرحالة الغسال لطريق العودة من الحجاز إلى الطور متجهًا إلى بيروت ومخترقًا الحدود المصرية للإسكندرية ومنها لمارسيليا مرة ثانية وصولاً إلى بلاد المغرب، ووصوله إلى موطنه في رحلة شائقة رائعة تستحق الدراسة والنشر.

---

(١) الرحلة: ص٢٥.

(٢) الرحلة: ص٢٦.

(٣) الرحلة: ص٢٧.

محجر الطور[1] :

وهو من المحاجر ذات الأهمية لأنها بعد المحجر الصحي الأول في البحر الأحمر غير أنه على أهميته هذه لم يكن على مستوى عال من النظافة والترتيب والنظام، وهو ما يصوره لنا مؤرخنا ورحالتنا الشيخ حسن الغسال وهو ما يتفق معه في هذا الأمر سواه من معاصريه كما سوف نلحظ في السطور التالية:

وصف محجر الطور عند الحسن الغسال:

«وفي صبيحة يوم الأربعاء وصلنا لجبل الطور وبمجرد ما أرسينا صعد إلينا طبيب الكرنطينة للفحص على جملة الحجاج ثم أخبر بأن نزولنا كان لا يمكن ولا بعد إقامتنا بالبابور سبعة أيام ورجع لحاله، وبقي الحجاج بعضهم فوق بعض في حالة يرثى لها من شدة الضيق وتجيء إلينا مرة في اليوم فلوكة حاملة مؤنة ردية بثمن غال ولا يشتري الإنسان منها ما يلزم لضروريته التي لا بد منها إلا بعد مشقة عظيمة من كثرة الازدحام».

---

(١) محجر الطور: وهذا المحجر قائم على شاطئ البحر الأحمر جنوبي المدينة على بعد ٦٤٠ مترًا منها ومساحته أربعة كيلو مترات يحيط به من جهة البر شبكة من الأسلاك مرفوعة على عمد خشبية متينة، علوها نحو أربعة أمتار وهو محجر مصر العام والحجاج المصريون، وقد أسس سنة ١٨٥٨م في عهد سعيد باشا ابن محمد علي وصدر أمر بتنظيمه سنة ١٨٩٣م حتى صار من أكبر المحاجر الصحية وملحق مستشفيات أربع واحد للجراحة وثلاثة للأمراض العادية وصيدلية كبيرة ومنازل للأطباء والممرضين والممرضات والعساكر وبيت المال ومخزن للكهرباء وحذاءات عن يمين وشمال للقادمين من ينبع وحدة.

للمزيد: إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، القاهرة، د. ت، جـ٢ ص ص٢٣٤ – ٢٣٥.

ثم يصف موقف رجال الحجر السلبي فيقول: وبعد سبعة أيام رخصوا لنا في النزول إلى المباخر وركب الحجاج في قوارب وبابور صغير يجرها وبعد النـــزول أعلن أحد الملاحظين بألا نأخذ معنا أمتعتنا إلا الفراش وبعض الملابس الخفيفـــة والباقي يترك في البابور حتى يضيع ذلك على أيديهم».

ويعرج بعد ذلك للحديث عن الرشوة التي تقدم بل ومنع من لم يدفع الرشوة والرسوم معًا.

يقول: «وما نزلنا للسير إلا بعد محنة عظيمة، ثم إن من دفع من الحجـــاج نصف ليرة مع كسر لكل واحد أدخل لموضع التبخير، ومن لم يدفع منهم ذلك منع من الدخول إليها».

كذلك يصف الإهمال وعدم المبالاة تجاه الناس مـــن الحجـــاج يقـــول عـــن الممنوعين من التبخير: فيظل نهاره تحت الشمس المحرقة، وربما أبقـــوا بـــذلك يومين أو ثلاثة حتى ينتهي تبخير الحجاج الذين أدوا الواجب وعند شروعهم عند التبخير تنزع ثيابهم بأجمعها من مكينة التبخير ثم يأمر الطبيب باصطفاء الحجاج ليختبر صحتهم ثم يرش عليهم بمدة كريهة الرائحة ومتى تم تظهيـــرهم أخرجـــوا من غير الطريق التي سلكوها أولاً عند دخولهم، فيجدون في محل آخر أمتعـــتهم ملقاة على الأرض بعد تبخيرها جميعها فمنها ما هو محروق، ومنها ما يقطر ماءً تصعد منه روايح كريهة ولا تسمع إلا صياح الحجاج فهذا يبكي علـــى حوايجـــه حرقت له، وهذه تلطم خديها على حليها ضاع لها ثم يخرجون من ثم إلى محجـــر الكرنطينة محاطين بهم العساكر النظامية، وهذا الموضع كلها رمال بعيدة المسافة يقطعها الحجاج على أرجلهم سواءً أكانوا رجالاً أو أطفالاً ونساءً في شدة الشمس

الرمضاء ولا شفقة ولا رحمة»[١].

والشيخ الغسال في هذا الوصف لسلبيات محجر الطور يتفق مع الرحالة المعاصرين من غير المغاربة في وصف هذا المحجر لاسيما في الجوانب الصحية في الأكل والشرب وغيرها من ارتفاع الأسعار يقول الغسال:

«وأما ضروريات الأكل والشرب التي تباع هناك بثمن غال تعافها النفوس لولا الضرورة».

وعن سوء المعاملة من أطباء المحجر يقول أيضاً: «ولا تسأل على معاملتهم إياك إذ يقصر القلم عن وصفها ويذوب الفؤاد من هولها».

وقدم مقترحات لحسن المعاملة والحفاظ على حاجياته فقال: «ولما رأيت هذا الفساد الفادح فلم يسعني إذ ذاك إلا أني بذلت عليها دراهم عن طرف خفي للملاحظين الذين يتفقدون الصناديق أو تشكل بأخف الضررين وبسبب ذلك سلمت حوائجي من الآفات».

ويعقب على هذه المشاهدات قائلاً: «هذا بعض ما يقاسيه الحجاج في محجر الطور وقد ذكرته على سبيل الجملة وإلا فلا يسعني مطوله وإلى الله ترجع الأمور»[٢].

وفي الحقيقة فإن ما ذكره الغسال يتفق مع ما ذكره إبراهيم رفعت [٣] في

---

(١) الغسال: الرحلة، ص٢٨.

(٢) الغسال: الرحلة، ص٣٠.

(٣) إبراهيم رفعت: الأمير المصري للحج عدة مرات، مولده في مصر بمدينة أسيوط وتعلم في إحدى المدارس العسكرية وهي مدرسة الفرسان وتعلم في الخارج وعاد ثم تولى عدة وظائف حتى اختير أميرًا للحج. =

مرآة الحرمين غير أن الأخير كان أكمل وصفًا وأكثر دقة يقول: «يقوم بالتفتيش جماعة من الأروام المسيحيين ليسوا على طريقة واحدة في معاملة المسافرين وبحث الأمتعة فمنهم من يبحث المتاع قطعة قطعة مع أدب وحسن معاملة ومنهم من عالي الأوعية سافلها ويرمي بكل ما فيها على ظهر الأرض من غير مبالاة، مع أن أكثر ما بها زجاجات عطرية وأوان فضية دقيقة فقلما سلِّمَ من العطب ويريقون السمن البلدي الجيد والزيت الطيب على وجه الأرض وكثيرًا ما أفسدوا أمتعة جديدة نظيفة لم تسكن بها جراثيم الأمراض وإذ ما أفسدوا الثياب خلطوا بعضها ببعض ثم رموا بها على الأرض فيصعب على الإنسان العثور على ملابسه».

ثم يضيف أمير الحج إبراهيم رفعت كذلك سوء الإدارة في إهمالها للحجاج يقول: وقد جرت العادة أن المسافرين إذا أدخلوا الحمام هنالك لبسوا ثيابًا قطنية سمراء مفتوحة الصدر ليس لها من أزرار، ثم يخرجون منها حاسرة رؤسهم كاشفة أقدامهم فيمكثون في حر الشمس وشديد الهواء مدة حتى تبخر ثيابهم، ويلتقطوا من بين الملابس الكثيرة فينتابهم أثناء ذلك زكام وآلام صدرية وأمراض مختلفة، وقد مرض من جراء ذلك أحد الضباط ومكث عشرين يومًا حتى أبل من مرضه فلو أنهم انتقوا من ملابس المرء ثيابًا نظيفة ليلبسها بعد الحمام لمنعوا عنهم عاديات الأمراض.

ويضيف رفعت: «ثم إن الأمتعة أنزلت كلها من الباخرة ووضعت في فناء

= عبد اللطيف الصباغ: صورة المجتمع المكي في كتابات الرحالة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، مجلة الدارة، عدد ١٤، السنة الحادية والثلاثون، ١٤٢٦هـ، ص٦٩.

بجوار المبخرة وفتشت بحضور الخدم الذين رأوا ما بها من الأشياء الثمينة، وبعد التفتيش أعيدت إلى الفناء دون الباخرة واستمر التفتيش تسعة أيام حتى تم، ثـم أعيدت الأمتعة كلها دفعة واحدة إلى الباخرة كل ذلك جرى وأصحابها بعيدون عنها لا يمكنون من رؤيتها، فسرق منها الشيء الكثيـر خصوصًـا نفـائس الأشـياء ومثمناتها»[١].

فهنا يتفق إبراهيم رفعت مع الغسال وإن كان أكثر دقة منه حين ذكـر فـي بداية الموضوع أن هؤلاء الملاحظين منهم الأمناء ومنهم من يتهم، بينما توسـع إبراهيم رفعت في المزيد من النقد للمحجر في الطور وما يجري فيه من سـرقات لدرجة أنه أمر بالتحقيق في واقعة سرقة بنفسه لبعض الأشياء الثمينة[٢].

يضاف إلى ذلك أنه انتقد تصرفات الملاحظين والأطباء الذين قـاموا بكسـر الأواني الفخارية (القلل)[٣] والآباريق الزنكية التي تستعمل في الاستنجاء فـإنهم قاموا بحفظ الأخيرة في مخازن خاصة وأبدلوا الحجـاج بـالأواني الصـفيحية – أقساطًا – للشرب والاستنجاء معًا مما جعله يأنف من ذلك ويعافه يقول في ذلـك أمير الحج إبراهيم رفعت:

«وكان مع الحجاج أوان فخارية «قلل» يشـربون منهـا وأبـاريق زنكيـة يستعملونها في غير الشرب – إشارة إلى الاستنجاء – فأعدم كل ذلك إلا الجديـد فإنه حفظ بالمخازن وأبدلنا به أواني صفيحية – أقساطًا – نشرب منها ونستنجي وهذا غير مناسب لأنها تسخن الماء حتى تعافه النفس ثم من الجميل أن تختلـف

---

(١) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، القاهرة، د. ت، جـ٢ ص٣٢.

(٢) السابق.

(٣) لفظ عامي معناه آنية الشراب عند أهل الريف المصري معروف ومشهور. الباحث.

أواني الشرب عن أواني الاستنجاء»[١].

كذلك جاء في تقرير اللواء علي فهمي[٢] ما يفيد الصعوبات فقد توفي بعض العساكر ولم يستطع رجال المحجر أن يسعفونهم كما بقي الركب في مدينة الطور من أول ديسمبر إلى الثاني عشر منه وهي مدة طويلة[٣].

ولم نجد في كتابات الرحالة وكتّاب التقارير شيئًا عن محجر الطور يكتب ذا صفة حسنة إلا في عهد متأخر وتحديدًا في تقرير اللواء مبروك فهمي أحد أمراء الحج المصريين المتولي سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م حيث يقول:

«إن محجر الطور غاية في النظام والنظافة مما يكفل راحة الحجاج والفضل في ذلك راجع إلى حضرة الأميرالاي حسن بك محمد مدير إدارة الحج والكورنيطنيات وجناب الدكتور جرانفيل، والدكتور زيدان، وقد زرت الاستباليات بالطور فوجدتها والحق يقال تباهي في النظافة والنظام والترتيب أهم المستشفيات التي زرتها، وكانت المرضى تثني ثناء مستطابًا بالنسبة للعين عريكة حضرات الأطباء وعطفهم عليهم ومزيد عنايتهم، أما الأغذية كانت متوافرة جدًا ونظيفة وبأثمان متهاودة للغاية ولم يتألم الحجاج من شيء أصلاً هناك»[٤].

ولعل هذا الذي يذكره أمير الحج مبروك فهمي في التقرير المقدم إلى

---

(١) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، جـ٢ ص٣٣.

(٢) أمير الحاج المصري ١٣٣٠هـ.

(٣) دار الوثائق: المخزن والحج محفظة ١٨ب، تقرير مؤرخ طلعة ١٣٣٠هـ، وصاحبه علي فهمي، ص١٢.

(٤) دار الوثائق: محافظ المحمل والحج محفظة ١٨م، تقرير مؤرخ ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م برقم ١٢١٩، ص٧.

الحكومة المصرية تأكيد على أخطاء وقعت في السابق بالفعل وهو ما دفعه إلى طلب الحكومة «بإلحاح أن تتكرم بمكافأة حضرته - حسن بك محمد - مكافأة تتناسب مع مخلص مثله مضى جل حياته في خدمتها وبذا تكون قد أحسنت - الحكومة - صنعًا»[1] ولعل هذا الذي رآه أمير الحج المذكور كان نتيجة لسياسة الدولة العثمانية في المنطقة حيث كانت الإدارة المصرية ملتزمة أمام السلطان بتطبيق الحجر الصحي الاستثنائي في حالة ظهور الأوبئة، الأمر الذي اشتكى الحجاج منه وطالبوا بإلغائه بشتى الطرق، حيث كانت تدابيره غير محتملة، وحتى في حالة عدم إعلان ظهور الوباء رسميًا في الحج فإن الإدارة المصرية دأبت على إخضاع السفن المارة في نطاقها الجغرافي وتحديدًا في الطور والوجه، الأمر الذي كان يؤذي الحجاج فأمر السلطان عبد الحميد الثاني[2] بإرسال أحد الأطباء لفحص

---

(١) السابق: ص ص ٧ - ٨.

(٢) السلطان عبد الحميد الثاني: هو السلطان عبد الحميد الثاني ولد سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م، توفيت أمه وهو ابن العاشرة فاعتنت به زوجة أبيه وكانت عقيمًا، تلقى تعليمه في القصر السلطاني وتدرب تدريبات عسكرية، زار أوربا مع السلطان عبد العزيز وتولى الحكم سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م وعمره أربع وثلاثون عامًا، كان حاكمًا مصلحًا غير أنه اتجه للاستبداد والقسوة مما ألب عليه المعارضين الذين كانت تدعمهم أوربا لاسيما فرنسا، وكانت له مواقف إسلامية مشهورة منها سكة حديد الحجاز، وموقفه من فلسطين ونجح فيهما وظل حتى عزل عن الخلافة ١٩٠٩م.

للمزيد: محمد علي الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار الفجر للتراث، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م ص٤٦٩ - ٤٧٨، وحسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ط أولى، الدار الثقافية للنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، ص١٩١.

أحوال الحجاج والذي أعد تقريرًا عن سوء الحالة في الحجر الصحي وتتمثل فيما يلي:

١) عدم الاهتمام بمبدأ أساسي هو مبدأ منع الاختلاط حيث يوجد اختلاط دائم بين الحجاج، والموظفين، والأطباء، والأهالي مما ساعد على انتشار المرض كما أن انتظار الحجاج لمدة تصل إلى تسعة عشر يومًا كان تسبب الأمر ذاته.

٢) هناك ثلاث ماكينات تبخير وغلاية لا يعمل فيها سوى ماكينة واحدة ولهذا كان في اليوم الواحد يتم تبخير أمتعة وملابس حجاج سفينة واحدة فقط، لكنه كانت تأتي في اليوم الواحد ثلاثة سفن أو أربعة تحمل براءة النظافة فتضطر إلى انتظار دورها لمدة ثلاثة أو أربعة أيام.

٣) يوجد رصيف بحري واحد في محجر الطور في الوقت الذي ينبغي أن يكون هناك عدة أرصفة مما يجعل السفن تمكث أكثر من ثمانية أيام.

٤) قيام الزوارق والبحارة بإنزال الحجاج الجدد وفي نفس اليوم تنقل الحجاج الخالين من المرض وبالتالي تنتقل العدوى إليهم.

٥) ووقع الاختلاط بين مرضى الكوليرا والمرضى العاديين مما كان يزيد من حجم المشكلة.

٦) نظرًا لجهل موظفي ماكينات التبخير والأطباء بتشغيل الماكينات تمت إعادة ملابس وأمتعة ٣١٠٠٠ حاجا من ركاب إحدى وأربعين سفينة وثلاثة زوارق دونما تبخير.

٧) المصحة تتوفر بها الأسرة وجميع الأدوات لكن لا يوجد اهتمام بنظام العلاج واستخدام الدواء حيث يصرف دواء واحد لعلاج الإسهال والأمراض الأخرى، الأمر الذي كانت معه تستفحل بعض الأمراض وكان الحصول على الدواء الجيد يتطلب مقابلاً ماديًا وتوسلاً إلى الأطباء.

٨) إن إجراء الإصلاحات المذكورة جدير بحماية صحة الحجاج وضمان راحتهم وجدير بمنع وفيات الكوليرا خلال رحلات السفن المغادرة للطور(١)، كانت هذه بعض الملاحظات في تقرير عثمان نوري التي قدمها للسلطان وهي تتفق في كثير مما لخصه الغسال في الرحلة التي نقوم بدراستها.

وعلى الرغم من هذه الصورة السلبية التي وجدها الغسال في الطور ومن يوافقه من الرحالة فقد اختلف الوضع في محجر بيروت يقول الغسال:

«وفي صبيحة يوم الأحد نزلنا بمحجر الكرنطينة وأقمنا تحت ملاحظة قانونها خمسة أيام في أرغد عيش كأننا في نزهة والحمد لله، وشتان ما بين محجر الطور من وجوه»(٢).

---

(١) جولدن صاري يلدز: الحجر الصحي في الحجاز ١٨٦٥ - ١٩١٤م، ترجمة عن التركية وقدم له د/ عبد الرازق بركات، راجعه مسعد الشامان، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ص ص١٨٦ - ١٨٨.

(٢) الغسال: الرحلة، ص ص٣١ - ٣٢.

الورقة الأولى من المخطوط

ثانيًا: «النص»

*بسم الله الرحمن الرحيم [٢]

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية(١) لأفقر العبيد إلى مولاه وأحوجهم إلى مغفرته ورحماته الحسن ابن(٢) محمد الغسال(٣) يسر الله لنا المنى والآمال بجاه النبي والآل.

الحمد لله الذي جعل الحج كفارة الذنوب(٤)، ووعد حجاج بيته الحرام بنيل كل مرغوب، نحمده على نعمه حمدًا تطمئن به القلوب، وأشهد ألا إله إلا الله وحده

---

(١) أورد بها بعض الأحكام الشرعية فيما يخص شعيرة الحج وذلك على المذهب المالكي وهو مذهب المغاربة والأندلسيين، ومعظم بلاد أفريقيا، غير أنه لم يكثر من التعرض للأحكام الشرعية.

(٢) بن: لأنها وقعت بين علمين.

(٣) الحسن بن محمد الغسال الطنجي: باحث من فضلاء الكتابة من أهل طنجة، أقام مدة قصيرة في لندن كتابًا في إحدى السفارات المغربية في عهد المولى عبد العزيز سنة ١٣٢٠هـ، وأنشأ رحلة إلى بلاد الإنجليز طبعت، وفارق طنجة قبل وفاته بعشرين يومًا فنزل بمراكش وتوفي بها، وقد تجاوز الثمانين وله كتب أخرى يراجع دليل مؤرخ في المغرب، حـ١ ص ص٣٤ – ٣٥، الأعلام حـ٢ ص٢٢٢.

مؤلفاته: إيضاح البرهان والحجة في تفضيل ثغر طنجة اختصره في كراس طبع بجدة، والرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية (خ) في خزانة الرباط (المجموع ١٤٩٦د)، والتعرف بالحضرة المراكشية وبمن وقفت عليه من الأولياء والعلماء الأجلة (خ) في الرباط.

(٤) إشارة إلى الحديث: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

بدر الدين العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، حـ٩ ص١٣٥.

لا شريك له علام الغيوب، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله الحبيب المحبوب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وما تعاقب الطلوع والغروب، وبعد ... لما أن أزعجني ريح الشوق إلى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام(١)، ومشاهدة تلك المشاهد العظام، والتمتع بزيارة الصحابة وكذلك آل البيت الكرام، ألهمني الله تعالى إلى الاستخارة السنية، فبادرت إليها بالكيفية الواردة في الأحاديث الصحيحة النبوية * فلم أر من الله إلا خيرًا والحمد لله، ومن المعلوم ضرورة أن الشارع صلوات الله وسلامه عليه حض على حج البيت [٣] مستطيعه، وجعله من دعائم الإسلام الخمسة الرفيعة، فقال عليه السلام: من حج هذا البيت ولم يرفث(٢) ولم يفسق(٣) خرج من ذنوبه كيوم(٤) ولدته أمه، وقال عليه السلام: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما(٥)، وقال عليه السلام: من أراد

---

(١) قضية التشوق إلى البيت الحرام والحج من الموضوعات التي شغل بها المغاربة أنفسهم في تسجيلها بصورة واضحة عن ذلك يراجع.
ابن مليح: أنس الساري.

(٢) يرفث: من الرفث وهو الجماع والتعريض به وذكر ما يفحش من القول. البخاري: الجامع الصحيح، جـ٢ ص٥٥٣.

(٣) يفسق: يرتكب محرمًا من المحرمات ويخرج عن طاعة الله عز وجل المصدر السابق جـ٢ ص٥٥٣.

(٤) نص الحديث من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه، رواه الإمام شعبة يرفعه إلى أبي هريرة ﷺ.
البخاري: الجامع الصحيح، جـ٢ ص٥٥٣.

(٥) الحديث روي عن البخاري عن يحيى عن مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة، وتمام الحديث والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

دنيا وآخره فليؤم هذا البيت[1]... الحديث، إلى غير ذلك من فضائل الحج المبرور، الحاملة على تجشم المشارق إلى هذا السعيد المذكور مع الابتهاج والسرور، والله المسئول أن يتم نعمته علينا ويديم إحسانه إنه سميع مجيب، آمين، وكان ابتداء الوجهة إلى هذه الرحلة السعيدة من طنجة[2] مسقط رأسي[3] يوم الخميس الذي قال فيه النبي ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها[4]» الموافق سابع شوال الأبرك عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف، وهو السادس والعشرون من إبريل العجمي، وذلك قرب الساعة العاشرة ركبنا على اليمن والبركة بابور إنجليزي[5] قاصدًا ثغر

البخاري: الجامع الصحيح، حـ١ ص٣٤٦.

(١) لم أجد هذا الحديث بلفظه وإنما وجدت حديثًا آخر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: هذا البيت دعامة الإسلام من خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر وزائر كان مضمونًا على الله عز وجل إن قبضه أن يدخله الجنة وإن رده رُدّ بأجر وغنيمة.

الحارث بن أبي أسامة: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق حسن أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية المدينة المنورة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، حـ١ ص٤٣٦.

(٢) سبق التعريف بها.

(٣) موضع الولادة.

(٤) ورد كما يلي عن علي بن أبي طالب قال: إذا أتى أحدكم الحاجة فليبكر في طلبها يوم الخميس فإن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم الخميس».
السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ٩١١هـ): الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، حـ٨ ص٥٨٣.

(٥) بابور: المركب الذي يدور بمحرك وهو الباخرة.

الإسكندرية[١]، وبعد الزوال من يومنا هذا انطلق بنا حفظه الله ورسوله.

[وصف مدينة الجزائر]

وفي صبيحة يوم السبت، أرسينا بمرسى[٢] الجزائر[٣]، ولما سرحت الطرف في هاته البلدة رأيتها مرتفعة في جبل وحول المرسى أبنية مشيدة ثم نزلنا إليها فإذا هي * حقيقيًا قرب المرسى بطحاء[٤] متسعة وهناك جامع كبير وأبنية جميلة [٤

---

(١) الإسكندرية: سبق التعريف بها.

(٢) مرسى: هو الميناء وهو المسمى بإسطها ويسميه صاحب تاج العروس التنجر والمرسى من الفعل رسا وهو اسم مكان أي مكان رسو السفن للتفريغ والشحن، ومنه رست السفينة أي وقفت على البحر، وكان لكل مرسى إدارة، وجمارك وغير ذلك مما كان سائدًا إبان العصر العثماني، وهناك فرق بين المرسى والبندر حيث يفرق صاحب تاج العروس بين المرسى والبندر بأن المرسى هو مربط السفن على الساحل والبندر هو قرية المرسى.

الزبيدي: تاج العروس، حـ١ ص٢٥٤٢، ٣٤٧٤، ٨٤٠٤.

(٣) الجزائر: سبق التعريف بها.

(٤) بطحاء: من بطح كمنع بَطحًا: بسطة والبُطِحُ ككتف رمل في أرض منبسطة وقال الجوى: البطيحة والبطحاء والأبطح.. مسيل واسع فيه دقاق الحصى، وعن ابن سيده قيل: بطحاء الوادي تراب لين مما جرته السيول، وقال ابن الأثير: بطحاء الوادي وأبطحه: حصاه اللين في بطن المسيل، ومنه الحديث أنه صلى بالأبطح، وعن أبي حنيفة: الأبطح لا ينبت شيئًا إنما هو بطن المسيل، وعن النضر: الأبطح بطن الميثاء وهو التراب السهل في بطونها مما جرته السيول وجاء في الشعر كذلك قال الشاعر لبيد:

يزغ الهيام عن الثرى وعده بَطيح يهايله عن الكثبان

والمقصود: اتفاق اللغويين على أن البطحاء الأرض السهلة الرملية: مرتضى الزبيدي: تاج العروس حـ١ ص١٥٥٤.

وحوانيت لبيع البضائع والتحف الظريفة، ثم ذهبت إلى ضريح ومقام العارف بالله سيدي عبد الرحمن الثعالبي[١] - ﷺ ونفعنا به - الدفين خارج البلد في جبل فريج منشرح، وبعد الزيارة تقبل الله رجعنا للبابور، وبعد الزوال من هذا اليوم سافرنا من ثمة.

[وصف مالطة[٢]]

وعند العشاء من يوم الاثنين أرسينا بمرسى مالطة، وبتنا بها وفي الفجر

---

(١) عبد الرحمن الثعالبي: هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري أبو زيد مفسر من أعيان الجزائر زار تونس والمشرق مولده (٧٨٦هـ/١٣٨٤م) ووفاته سنة (٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م)، من كتبه: «الجواهر الحسان في تفسير القرآن ط» أربعة مجلدات، والأنوار في المعجزات النبوية، وروضة الأنوار، ونزهة الأخيار (مجموع) وجامع الأمهات في أحكام العبادات، والذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز، والإرشاد في مصالح العباد، ورياض الصالحين.
رضا كحالة: معجم المؤلفين، جـ٥ ص١٩٢، والزركلي: الأعلام جـ٣ ص٣٣١.

(٢) مالطة: قال عنها صاحب معجم البلدان بلده بالأندلس غير أنها ليست كذلك وإنما هي جزيرة في البحر المتوسط قريب من قبرص تقع غربي تونس وقد سلمها ملك أسبانيا شارلكان ١٥٠٠ - ١٥٥٨م إلى فرسان جزيرة رودس سنة ١٥٣٠م لمقاومة الأتراك في البحر، ثم صارت مالطة مستعمرة إنجليزية منذ مستهل القرن التاسع عشر وأحرزت الاستقلال سنة ١٩٦٢ ضمن دول الكومنويلث، وجدير بالذكر أنها كانت مستقر فرسان القديس يوحنا ومنها عبر إلى مصر نابليون بونابرت ١٢١٣هـ/١٧٩٨م.
ياقوت: معجم البلدان، جـ٥ ص٤٣، ومحمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط٢، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ١٩٨٨م/ ١٤٠٩هـ، ص٢٢١.

نزلنا إليها فإذا هي من أعظم مراسي البحر الأبيض[(١)] في الحصن[(٢)] والتحصين، وهذه البلدة مرتفعة في جبل، حتى إن أغلب طرقها يصعد إليها بدرج[(٣)]، وغالب طرقها فيها مبلط بالخشب لتقليل دوى[(٤)] العربيات، وهي على أكمل ما ينبغي من التصبيف وبها أسواق ومخازن كبار لبيع البضايع النفيسة وأحسن ما فيها سوق المسمى لإتقانه ونظافته وترتيبه، وقد تزودنا منها بقدر ما دعت الحاجة إليه ومن جملة ما يرى في هذه البلدة قصر الحاكم لجميل بنيانه وعجيب منعته وبه مآثر

---

(١) البحر الأبيض: هذا البحر يسمى في كتب الجغرافيا العربية بحر الروم لأن أحد جهاته تتصل ببلاد الروم ويسمى أيضًا فيها بحر الشام لمجاورته أيضًا لبلاد الشام، ويسمى أيضًا عند الإفرنج المتوسط، ويذكر الطهطاوي: أنه سمي بذلك «لأنه داخل في البلاد الناشفة، بخلاف البحر المحيط فإنه محيط بجميع الأراضي حتى قال بعضهم: إنه متواصل الجريات تحت الأراضي العالية على سطح مائة ... ويسمى هذا البحر الجواني باللسان التركي بحر سعيد والبحر الأبيض لمقابلته ببحر بنطش أو البحر الأسود، وهناك بحر آخر يسمى بالبحر الأبيض وهو في بلاد الموسقو (الموسكو) وهو المراد بالبحر الأبيض في إطلاقات علماء الجغرافيا».

الطهطاوي (رفاعة بدوي رافع): تخليص الإبريز في تلخيص باريز، تقديم يونان لبيب رزق، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٦.

(٢) الحصن: كان على مالطة حصن لأنها دائمًا مهبط للأعداء لاسيما وأنها مسكن لفرسان القديس يوحنا ونزلها نابليون بونابرت إبان حملته على مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١م وغير ذلك فكان من الطبيعي أن تحصن بسور حلوها وبتحصينات وقلاع عسكرية كما وصف الحسن الغسال.

(٣) درج: الدرج هو السلم الذي يصعد الإنسان عليه.

(٤) هذا التبليط المعروف في مصر بالباركية وهو مشهور في أوربا وليس في مالطة وربما كان لأغراض أخرى غير الذي يذكرها الغسال صاحب الرحلة.

عتيقة من أنواع السلاح والرماح القديمة[١]، ومن جملتها مدافع من أول نوع اخترع وهو ورقات من نحاس مقصبة[٢] ملفوف عليها مجبر غليظ[٣] مطلي بالزيت، وهو أكمل مدفع ثمانية أشبار وفي خارج البلد مقبرة إسلامية[٤] محوطة بسور * لكثرة ورود المسلمين إليها حجاجًا وتجارًا من المشرق والمغرب وبها [٥] أيضًا جامع[٥]، ولها[٦] إمام قيّم[٧] بها ولمباشرة غسل أموات[٨] المسلمين إن

---

(١) يقصد أنها موضوعة على هيئة متحف.

(٢) مقصبة: من القَصَبُ مُحَرَكة وهي كل نبات ذي أنابيب الواحدة قصبة أي بالهاء وكل نبات ساقه أنابيب وكعوبًا فهو قصب والمعنى أن به مجموعة أنابيب لخروج البارود.

الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، جـ١ ص٨٥٧.

(٣) المجبر الغليظ ربما كان من الخيش ونحوه الذي يلف حول المدفع وهو مطلي بالزيت.

(٤) يشير هنا إلى قضية مهمة هي وجود الكثير من المسلمين في هذه الجزيرة للتجارة ونحوها وهذه المسألة معروفة بالفعل خاصة أن بونابرت إبان حملته استطاع إحضار كوكبة منهم إلى مصر مدعيًا إنقاذهم من النصارى، يضاف إلى ذلك كون المنطقة آهلة بالمسلمين لأنها صارت في طريق الحج المغربي ومن الطبيعي استقرار بعض المسلمين فيها. الباحث.

(٥) يقصد مسجد.

(٦) في الأصل (وله) والصواب ما أثبتناه.

(٧) قيم: من القيام أي يرتب الشعائر عن قيّم (أحمد بن محمد بن علي المقري).

الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، جزءان، المكتبة العلمية، بيروت، جـ١ ص١٤.

(٨) لا شك أن الدولة العثمانية قامت بجهد بارز في ميدان الحفاظ على المسلمين وحقوقهم الكائنين في البحر المتوسط ابتداءً من الأندلس وبلاد المغرب وانتهاء =

اتفق ذلك والقيم بذلك كله الدولة العثمانية(١) جزاها الله عن المسلمين خيرًا؛ هذا غاية ما رأيته فيها، ثم رجعنا للبابور عشية يوم الثلاثاء عند الساعة الخامسة وبمجرد صعودنا إليه أقلع منها.

[الوصول للإسكندرية]

ولما قربنا للإسكندرية عظم علينا البحر واشتد هيجانه فتداركنا المولى جل جلاله بالألطاف الخافية والحمد لله، وبصبيحة يوم السبت بعد الشروق وصلنا للإسكندرية التي هي من أمهات المراسي المذكورة، وهي واقعة على البحر الأبيض وترى فيها من البابورات وغيرها ما يشبه الغابات المحتبكة ومن المزارات(٢) التي زرناها بها مقام(٣) نبي

= بمالطة ورودس.

(١) موقف الشيخ واضح من الدولة العثمانية واضح حيث يقدرها ويثني عليها كما هو واضح من هذا النص، وهو ما يؤكد رأي المؤرخين أن المغاربة اختلفوا في تقديرهم للدولة العثمانية عن المشارقة؛ لأنها ارتبطت في ذهن المغاربة باستنهاض المسلمين في الأندلس والدفاع عن المسلمين في شمال إفريقية على خلاف المشارقة الذين رأوا أمامهم العديد من الصور لنظام الحكم الرجعي – من وجهة نظرهم – لاسيما وقد تأثروا برأي المثقفين خاصة في مصر والشام.

(٢) يقصد أماكن الزيارة وهي أضرحة الصالحين المنتشرة بالإسكندرية.

(٣) مقام: عن وجود قبر النبي دانيال بمدنية الإسكندرية فقد تضاربت فيه الأقوال فقد أجمعت المراجع العربية القديمة وخاصة معاجم البلدان على وجود قبر النبي دانيال بمدنية سوس بإيران، فقد جاء فيها عند ذكر فتوح الإسلام لبلاد العجم أن أبا موسى الأشعري بعد أن فتح السوس وجد خزانة مقفلة ففتحها فوجد فيها حجرًا طويلاً على مثال الحوض وفيه رجل ميت قد كفن بأكفان منسوجة بالذهب، فكتب إلى عمر بن الخطاب يخبره ويطلب رأيه، فأخبره الإمام علي بأنه قبر النبي دانيال=

الله[1] دانيـــال[2] عليـــه

= فأمر سيدنا عمر بدفنه، وأما عن وصف المقام أو الضريح فيصفه المرحوم حسن عبد الوهاب قائلاً: في وسط الضريح تابوت خشبي كبير عليه سطر مكتوب عليه قبر النبي دانيال، ويجاوره تابوت آخر أصغر منه عليه سطر آخر مكتوب عليه «قبر الحكيم لقمان»، وعندما حفر تحت التوابيت وجدت حفرة حديثة الردم بها مجموعة من شواهد القبور والأعمدة، مما يؤكد أن هذه المنطقة قد استخدمت لمقبرة إسلامية يؤكد ذلك ما ذكر السلفي الذي قدم الإسكندرية سنة ٥١١هـ وتوفي ٥٧٦هـ، ومنهم من دفن في مقبرة الديماسي (منطقة ضريح النبي دانيال).

سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١م، حـ١ ص٣٢٨.

(١) نبي الله: نلاحظ في مصر عامة والإسكندرية خاصة وجود مساجد إسلامية تنسب إلى أنبياء ورسل سبقوا المسيحية والإسلام وهي ظاهرة تستحق الالتفات والتفسير وترجع د. سعاد ماهر هذا الأمر إلى:

أ) أن هذه المساجد ربما كانت معابد قديمة حولت إلى مساجد أو أنها بنيت في مكانها.

٢) يرجع إلى وجود جاليات يهودية كبيرة في مدينة الإسكندرية في العصر الروماني، ومن الثابت أنها سكنت مناطق معروفة أطلقت عليها أسماء أنبيائها وظلت هذه الأسماء في القصص والتراث الشعبي حتى جاء العرب وأسسوا مساجد فعرفت بالأسماء الشائعة والمعروفة في تلك المناطق، ومما يؤيد الرأي الأخير أننا إذا استعرضنا أسماء هذه المساجد لوجدناها لأنبياء بني إسرائيل مثل: مسجد سليمان عند قنطرة سليمان، ومسجد الخضر بالقيسارية، وأهمها هذا المسجد المذكور.

سعاد ماهر: مساجد مصر، حـ١ ص٣٢٦.

(٢) دانيال: تقول الدكتورة سعاد ماهر ما نصه: جاء في كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر: الشيخ محمد دانيال الموصلي أحد شيوخ المذهب الشافعي، قدم الإسكندرية – كما كان يسمى حينئذٍ – مكاناً يدرس فيه الأصول، وعلم الفرائض على نهج الشافعية حتى وفاته سنة ٨١٠هـ فدفن في المسجد وأصبح =

السلام[١]، وهو في سرداب[٢] لدرج أرضي ذلك والله أعلم، ثم زرنا مقام الإمام البوصيري[٣]، ومقام الشيخ أبا[٤] العباس المرسي[٥] بجواره، وغيرهم من مقام

= ضريحه مزارًا للناس.

سعاد ماهر: مساجد مصر جـ١ ص٣٢٧.

(١) الصلاة والصحيح ما أثبتناه.

(٢) سرداب: ممر ضيق أسفل الأرض يُدخل فيه والجمع سراديب.

الفيومي: المصباح المنير، حـ١ ص٢٧٣.

(٣) الإمام البوصيري: هو الإمام محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي شرف الدين أو عبد الله الدلاصي البوصيري المتوفى سنة ٦٩٥هـ، له مصنفات منها: زجر المعاد في معارضة بانت سعاد، والقصيدة الهمزية في المدائح النبوية المسماة بأيام القرى، والكواكب الدرية في مدح خير البرية المشهورة بقصيدة البردة، والكلمة الطيبة والديمة الصيبة، ولقد اشتهر الإمام البوصيري بقصيدته البردة وسارت بها الركبان وشرحها وحشاها العديد من المؤلفين والأدباء والمحبين، ومن أبرز الذين شرحوا البردة الشيخ محمد بن أحمد المغربي المعروف ببنيس ت ١٢٠٠هـ، وسماها: لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية البوصيري ومعروف البرزنجي المتوفى سنة ١٢٥٤هـ، وسماها تخميس البردة.

البغدادي: هدية العارفين، حـ١ ص٥٢٢، ٦٣٢، ٦٤٥.

(٤) خطأ لغوي وصوابه (أبي) لأنه بدل من المضاف إليه.

(٥) أبو العباس المرسي: هو أحمد بن عمر أبو العباس المرسي بفتح الميم نسبة إلى مرسية بالأندلس فقيه متصوف له مسجد في الإسكندرية كان من العباد الزاهدين، كان مصاحبًا لأبي الحسن الشاذلي، ومن كبار الصوفية في عصر تبعه كثير من الصوفية من أهل التسليك والاعتقاد، ترك عدد من التلاميذ، ومن أشهر تلاميذه أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري المتوفى سنة ٧٠٩هـ بالمنصورية، وكانت وفاته سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م. =

السادات الصالحين[١] رضوان الله عليهم أجمعين - ونفعنا ببركاتهم آمين، وفي هذه البلدة عدة جوامع عظام وأشهرها جامع الإمام البوصيري[٢] - ﷺ - وفيها حصون[٣] حصينة[٤]

= الصفدي: الوافي بالوفيات، حـ١ ص١٠٣٩، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، حـ٧ ص٣٧١.

(١) توجد أضرحة أخرى في مدينة الإسكندرية خلاف ما ذكر الطنجوي ومنها: مقام وضريح أبو بكر الطرطوشي، وسيدي بشر، والنبي دانيال، وضريح أبي الدرداء، ومسجد عبد الرحمن بن هرمز، وضريح الحافظ السلفي، ومسجد القباري، ومسجد سيدي جابر، وغير ذلك من الآثار الإسلامية.
سعاد ماهر: مساجد مصر، حـ١ ص ص٣٢٦، ٣٣٠، ٣٣٦، حـ٢ ص ص٤٥، ١٥٨، ٢٩١، حـ٣ ص٩٦.

(٢) جامع الإمام البوصيري: ومسجد الإمام البوصيري بمدينة الإسكندرية في مواجهة جامع سيدي أبي العباس المرسي أي أنه جاور أستاذه في حياته وبعد مماته، وقد كان هذا المسجد في الأصل زاوية توالت عليه يد الإصلاح والترميم حتى وصل إلى شكله الحالي، ويتكون المسجد من مربعين منفصلين الأول يشمل المسجد وتتوسطه نافورة، وتحيط به الأروقة من جميع الجهات، والمربع الثاني وهو إيوان القبلة وهو مرتفع عن مستوى صحن المسجد إذ يصعد إليه بثلاث درجات ويتقدم الإيوان دهليز مغطى بظلة تؤدي إلى ضريح الإمام البوصيري أولاً ثم إلى إيوان القبلة ثانيًا، أما الضريح فعبارة عن غرفة مربعة مغطاة بقبة تقوم على مقرنصين في الأركان، والقبة من الساج وليست من الخشب أو البناء.
سعاد ماهر: مساجد مصر، حـ٣ ص ص٩٤ - ٩٥.

(٣) حصون والصحيح ما أثبتناه.

(٤) الحصون الحصينة: إشارة إلى قصور مدينة الإسكندرية مثل رأس التين والمنتزه وغيرهما الكثير.

وقشلات[١] عسكرية وقصر الخديو المضي على نحو المرسى ومنظره من جهة البحر جميل فائق، وبعد المحل * المذكور المعروف بالمحمودية يخرج الناس إليه [٦] في العشية من المسلمين وغيرهم، وتكون هناك الموسيقى[٢] تصدح بالنغمات المشرقية، وحولها الأشجار العظيمة والأنوار الغريبة وفي وسطها فصحات رخامية، ظريفة الشكل محمولة على صور سبع من الرخام، وماء النيل يتدفق منها بقدرة كبيرة، وأغلب طرق البلد واسع مبلط بالحجارة نظير النوع الأورباوي وبها خانات كبيرة، وأسواق عامرة، ومخازن واسعة لبيع البضايع والتحف الغريبة، وبها عدة حمامات[٣] جميلة الشكل والصنعة على أكمل المراد من

---

(١) قشلات: من التركية قشلاق وهو معسكر استقرار الجنود، وسكناهم فهي الثكنات المعدة لهم، وكان يطلق عليها قشلة، وقد وردت كثيرًا في كتب الجبرتي، وخلاصة الأثر للمحبي، وابن الأثير في الكامل، وغير ذلك وقد تطلق على المستشفى أو (المارستان).

أحمد تيمور: معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، تحقيق د/ حسين نصار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، حـ٥ ص١٣٠.

(٢) الموصيقي والصحيح ما أثبتناه.

(٣) حمامات: واحدة من أبرز المنشآت الاجتماعية في الحضارة الإسلامية لم تخل منه مدينة إسلامية في العصور المختلفة، وأقامه العثمانيون أسوة بالحكام المسلمين الآخرين، بدت عليه مظاهر الفنون الإسلامية، فكان لبعض الحمامات قباب مزينة من الداخل بأشكال النجوم والفصوص الحلزونية الشكل، وكان يصل قطر باب بعضها ١٦ مترًا ومحمولة على دلايات منشورية، وبعضها رحيبة وذات زخارف كثيرة من الداخل، وكانت تقوم بعض الحمامات بجوار عيون المياه الدافئة، وكان الحمام يتكون من غرفة لتغيير الملابس على هيئة رواق كبير ويعلوها قبتان الواحدة من وراء الأخرى وتتصل الأخيرة بالغرفة الدافئة، ثم يلي ذلك غرفة =

النظافة، ومن عجايبها عمود السواري[(١)(٢)] التي [حارت] الأفكار في صنعته وهو عمود واحد من الرخام مرتفع في الهواء[(٣)] نحو الثلاثين أمتارًا وفوه تاج من الحجر المربع المنقوش، وبالجملة فهو من مآثر هذه المدينة العجيبة، وناهيك بمفاخره بل بفخامته ملك تيلها الإسكندر، وقد كانت إقامتنا بهذه البلدة عدة أيام بعدها فخرجت بعفشي كله لسويس[(٤)] تخفيفًا من الأثقال.

= ساخنة بها حوض الماء الساخن وتتسع الجوانب لإضافة حنيات ركنية، وتوجد في كل قبة كوة (فاقدة) تسمح بدخول الضوء توجد في الغرفة الدافئة، وكان له دور مهم في الحياة الاجتماعية عند المسلمين.

أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، (حاشية) ص ص١٣٥ – ١٣٦.

(١) الصواري: والصحيح ما أثبتناه.

(٢) عمود السواري: هو عمود إنارة أنشأه الإمبراطور اليوناني دقلديانوس على بعد ٣٠٠ متر من مقبرة كوم الثقافة الأثرية بمدينة الإسكندرية في المنطقة المعروفة حاليًا بكرموز، والتي كانت تسمى أكرويوليس، وأنشئ عام ٢٨٤ بارتفاع ٢٨ مترًا من الجرانيت، وقد وصفه ابن بطوطة وانبهر به، قال: ومن غرائب هذه المدينة عمود الرخام الهائل الذي بخارجها المسمى عندهم بعمود السواري، وهو متوسط، وقد امتاز عن شجراتها سموًا وارتفاعًا وهو قطعة واحدة محكمة النحت قد أقيم على قواعد حجارة مربعة أمثال الدكاكين العظيمة، ولا تعرف كيفية وضعه هنالك ولا يتحقق مَنْ وَضعه، وهو دليل على أنه عمود مبهر للرحالة في القرن السادس الهجري.

ابن بطوطة: الرحلة.

(٣) الهواه والصحيح ما أثبتناه.

(٤) سويس: اسم الباخرة التي تقل الشيخ صاحب الرحلة.

[الاتجاه للقاهرة]

وفي الساعة الرابعة عشية يوم السبت ارتحلنا من الإسكندرية صحبة بابور البر سويس، وسار[١] بنا سيرًا وسطًا، ولم يقف إلا ببعض القرى، وكان منظر الطريق في غاية الحسن[٢] والبهجة من أصناف النبات والزراعات، ولم يطل بنا المنظر الجميل حتى أرخى الظلام سرواله[٣]، فوصلنا لمصر القاهرة ليلاً عند الساعة الثامنة فتلقاني في * موقف البابور الوجيه الفاضل قاسم بيك[٤] نجل [٧] وكيل المغاربة[٥] بمصر المحروسة السيد الحاج محمد العلوا الفاسي، ورحَّب بنا

---

(١) صار والصحيح ما أثبتاه.

(٢) الحصن والصحيح ما أثبتناه.

(٣) صرولة والصحيح ما أثبتناه.

(٤) بيك: في رأي أنها كلمة صينية الأصل تسربت إلى التركية معناها أمير، سواءً أكان حاكمًا أم من سلالة الملوك، لقب أمير مسيحي يحكم ولاية تؤدي الخراج للدولة العثمانية، وهو أيضًا لقب يطلق على الأشراف من سلالة الحكام، ولقب يحمله أبناء الباشوات وكبار رجال الدولة، وتطلق كذا على الأثرياء وعلى أصحاب المنزلة الرفيعة وقد وردت في شعر يرجع تاريخه إلى القرن السادس عشر بمعنى صاحب التاج والعرش.

حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص٣٤.

(٥) وكيل المغاربة في مصر: هو الشخص المنوط به رعاية المغاربة في مصر، والحفاظ على حقوقهم، والتعامل مع الإدارة المصرية بشأنهم سواءً كانوا تجارًا وهو الأصل، أم طلاب علم، أو يؤدون أية أنشطة أخرى، وكان للمغاربة وكيل في مصر القاهرة، وفي كافة موانيها، وفي الإسكندرية، كذلك كان للمغاربة وكيل في ينبع، وجدة، وسائر المواني، والبنادر الواقعة على البحر المتوسط أو الأحمر، وقد أظهر صاحب الرحلة كيف يلاقيه الوكيل في كل مكان في القاهرة، والسويس،=

أتم الترحيب وأركبنا في عربيته المخصوصة به وتوجهنا معه إلى دار سكنى أبيه، ولها أكرم نزلنا(١) حتى سافرنا (٢) ومن ثمة (٣)، وما قَصَّر معنا في الترحيب والإكرام والبرور التام فجزاه الله على إحسانه(٤) خيرًا....(٥) من فاعلها القطر المصري، ويمر وادي النيل بمحاذاتها وعليه آلة بخارية لرفع الماء، وتصفيته، وتفرقته على جميع الديار والسقايات(٦) وغير ذلك، وعلى حدود نهاية البلدة جبل شاهق(٧) عليه قلعة عظيمة(٨) على شكل هندسي، وبها مستقر الأمرا، وهي ذات

= وبيروت، ومارسيليا وغير ذلك.

وحسام عبد المعطي: العلاقات المصرية الحجازية خلال القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، راجع بالتفصيل الفصل الأول والثاني والثالث، ومحمد فهيم: المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثامن عشر، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٦/ ١٤٢٧هـ، ص١٢٤.

(١) نزولنا والصحيح ما أثبتناه.

(٢) صافرنا والصحيح ما أثبتناه. وهو متعلق بالخط المغربي الذي يبدل السين صادًا.

(٣) أي من هناك.

(٤) إحصانه والصحيح ما أثبتناه.

(٥) غير معروف.

(٦) السقايات: يقصد الساقية التي تدور فتخرج الماء وهي معروفة في الريف المصري.

(٧) جبل شاهق: يعني جبل المقطم.

(٨) قلعة عظيمة: يقصد المؤلف قلعة الجبل التي بدأ في بنائها حاتم بن هرثمة، ثم صار موضعها مقبرة ثم جددها صلاح الدين الأيوبي ولم يسكنها؛ لأنها تمت بعد وفاته في عهد الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، فكان أول من سكنها واتخذها دار الملك في الديار المصرية، واستمرت كذلك في غالب العهود التالية، وقيل في سبب بنائها على عهد صلاح الدين الرغبة في تحصين البلاد من خطر الصليبيين لاسيما وأنه قد شاهد أثناء تجواله في سوريا القلاع الحصينة الكثيرة فرأى أن =

حصون متينة محفوفة بالمدفع[١] الجديدة، وتلك منها سائر المدينة، وبهاته القلعة جامع كبير[٢]، وقبة شاهقة[٣]، وجل ذلك من منشآت باشا[٤] محمد

= يزيد في صناعتها ويضاعف من قوة القاهرة ببناء سور وقلعة بدئ في إنشائها سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م، وتمت سنة ٦١٤هـ/ ١٢٠٧ - ١٢٠٨م، واستكملت أدواتها في عهود تالية فبنى الظاهر بيبرس قصرًا فيها، وأنشأ الأشراف خليل بن قلاوون مقعدًا فخمًا شاهقًا يطل على الجيزة والنيل، وأنشأ محمد بن قلاوون برجًا، والقصر الأبلق ومسجدًا، وأنشأ حسن بن محمد قصره المسمى بالبيبربة سنة (٧٦١هـ/ ١٣٥٩ - ١٣٦٠م) وتجددت في عهد الظاهر برقوق، وبنى فيها الغوري إيوانًا كبيرًا جمع الكثير من بدائع الفن واستكملت بناءها أيضًا في عهد العثمانيين حيث أنشئت فيها دار الضرب، ودار المحفوظات، وبنى محمد علي فيها بابًا جديدًا ومسجدًا يضارع مسجد السلطان محمود الثاني العثماني: شحاته عيسى: القاهرة، ص ص١٢٤ - ١٢٥.

(١) السياق يراها بالمدافع.

(٢) جامع كبير: أنشأه الناصر بن قلاوون كان صاحب عمائر كبيرة، منها القصر الأبلق، والذي كان يجلس فيه كل الأيام ما عدا الخميس والاثنين فإنه يجلس بالإيوان، خُلِع وأُعيد الناصر غير مرة، وأنشأ هذا الجامع سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م، وفرغ من عمارته في أربعة أشهر، توفي الناصر ٧٤١هـ/١٣٤٠م.
المقريزي: الخطط، حـ٢ ص٣٣٩، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، حـ٨ ص٥٠، وابن إياس: بدائع الزهور، حـ١ ص٣٧٨.

(٣) قبة شاهقة: هي قبة جامع محمد علي باشا الذي بناه على غرار مسجد السلطان محمود الثاني في استانبول وله نفس القبة البديعة والتي تكثر فيها الزخارف.

(٤) باشا: هو الرأس والرئيس وهو اختصار من لفظ باشاة أو باديشاة؛ أي رئيس الرؤساء وباشا مصر هو حاكم مصر من قبل السلطان العثماني، ومقره القلعة، وكان خاير بك أول من عين في ذلك المنصب من قبل السلطان سليم الأول سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وظل السلطان العثماني يعين والي مصر حتى اختار المصريون=

علي[١] المغربي[٢] - رحمه الله رحمة واسعة[٣]،

= (محمد علي) سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م حاكمًا عليه، ووافق على ذلك السلطان، واستطاع محمد علي أن يجعلها في أسرته بموجب معاهدة لندن ١٨٣٩ - ١٨٤٠م، وأخيرًا فإن لقب باشا تسمى به رئيس كل ولاية، وكان يطلق عليه أيضًا محافظ، وكان يلقب كذلك بلقب السردار أي صاحب الزعامة.

أحمد شلبي بن عبد الغني: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر من الوزراء والباشات، تحقيق د/ عبد الرحيم عبد الرحمن، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م، حاشية ص١٢٥، وأحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٣٦ - ٣٧.

M. Z. Bakqlian. S. 109.

(١) محمد علي: مؤسس الأسرة التي حكمت مصر قرابة قرن ونصف، وتحديدًا من ١٨٠٥ حتى ١٩٥٢م، ولد محمد علي بمدينة (قوله) بمقدونيا سنة (١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م)، وكان والده إبراهيم أغا في ذلك الحين يعمل في وظيفة رئيس المدينة غير أنه مات في طفولة محمد علي، فكفله عمه طوسون أغا، ثم كفله صديق والده الشوربجي، فألحق محمد علي بمدارس المدينة، وتعلم بعض العلوم الأولية باللغة التركية، والتحق بالجهادية، وترقى إلى مرتبة بلوك باش، ولما انتهت فترة خدمته اشتغل بالتجارة سنة ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م بعد أن تزوج إحدى قريبات متصرف (قوله)، ووقع عليه الاختيار ليكون الرجل الثاني في القوة البحرية المرسلة إلى مصر بطرد الفرنسيين، فاشترك في موقعة أبي قير والرحمانية، وتولى أمر مصر فأصلح الإدارة، وقدم نجاحات في الاقتصاد والسياسة الداخلية غير أنه لم ينجح في الأقاليم العربية (أخلاقيًا) إذ أقدم على تصرفات عنيفة، ووقف ضد السلطان العثماني وانتهت سياسته العنيفة بالتضييق عليه وإخفاقه في كافة النجاحات السابقة وتوفي ١٢٦٥م / ١٨٤٨م، ودفن في مصر للمزيد - د/ السيد الدقن: تاريخ مصر الحديث والمعاصر، القاهرة، ٢٠٠٦م ص ص

(٢) يعتقد المؤلف أن محمدًا عليًا من المغاربة، وهو خطأ بلا شك لأنه كان ألبانيًا من (قوله).

(٣) جامع محمد علي باشا: يتكون المسجد من مربعين متساويين تقريبًا، إذ يبلغ طول=

وبها[١] مشاهد[٢] عظام من أهل بيت النبوة الكرام[٣]، ومقامات الصالحين والأعلام كالإمام الشافعي[٤] - ﷺ-، وذلك خارج

= ضلع المربع من الداخل ٤١ مترًا ويمتد المستطيل من الشرق إلى الغرب، أما المربع الغربي فيكون حرم المسجد، وهو عبارة عن صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جميع الجهات، ويتوسط الصحن نافورة الوضوء، وهي مثمنة الشكل تعلوها مظلة ترتكز على ثمان أعمدة رخامية، ويعلو المظلة قبة خشبية مغطاة بالرصاص ويعلوها هلال مذهب، وتحتوي النافورة على ستة عشر صنبورًا ماء بواقع صنبورين في كل ضلع من أضلاع المثمن الداخلي، ويتكون كل رواق من الأروقة الأربعة التي تحيط بالصحن الذي تبلغ مساحته ٥٣× ٥٤ مترًا من بائكة تحتوي على اثني عشر عمودًا من الرخام يحمل عقودًا نصف دائرية، ويعلو الرواق الغربي من الصحن، وفي منتصفه مبنى مثمن الشكل على شكل برج خصص لوضع الساعة التي أهداها لويس فيليب ملك فرنسا لمحمد علي ١٨٤٥م، أما مكان الصلاة فيتكون من مربع تقريبًا تحيط به من الجانبين الشمالي والجنوبي، وخارج جدران مكان الصلاة رواقان يحتوي كل منهما على أحد عشر عمودًا من الرخام تحمل أحد عشر عقدًا نصف دائري، كما قسم الرواق على عشر مربعات يغطي كل منها قبة ضحلة تقوم على مثلثات كروية بالرصاص ويعلوها هلال مذهب ويتوسط هذين الرواقين تقريبًا مدخل يؤدي إلى مكان الصلاة.

سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ٥ ص٣١٧ – ٣١٨.

(١) الضمير في (بها) يعود إلى القاهرة، وليس للقلعة.

(٢) مشاهد: يعني الأضرحة.

(٣) يعني آل البيت أي النبوة أهل بيت النبوة.

(٤) الإمام الشافعي: هو الإمام المحدث الفقيه الأديب المتقن محمد بن إدريس الشافعي، مولده سنة ١٥٠هـ في نفس العام الذي توفي فيه أبو حنيفة ملأ الأرض علمًا ونورًا، وصار له مذهب يقتدي به المسلمون السنة في الآفاق، فكان أحد المذاهب=

القرافة[١] إلى [غير] ذلك من المشاهد والمزارات التي يعجز القلم عن إحصائها لكثرتها، ومن أعظم المشاهد هناك جامع[٢] سيدنا الحسين - ﷺ وأرضاه- وهو

= الأربعة المشهورة لدينا نحن السنة، مولده في غزه، رحل إلى مكة، وعاش في العراق، ومنها وفد إلى مصر فعاش فيها حتى كانت وفاته سنة ٢٠٤هـ بعد حياة حافلة بالعلم ترك مصنفات مهمة منها «الرسالة» في أصول الفقه، و«الأم» في فقه الشافعية، ويعد مذهبه أكثر المذاهب شيوعًا في العالم الإسلامي – رحمه الله رحمة واسعة –، ودفن الإمام الشافعي في المنطقة المسماة باسمه الآن في القاهرة، وكان أخذه العلم عن طريق الشيخ أبي يحيى إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى سمعان الأسلمي في علم الحديث، ومن أهم تلاميذه المزنى إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل ت٢٦٤هـ/ ٨٧٨م – الذهبي: سير أعلام النبلاء، حـ١٠ ص٥، والزركلي: الأعلام حـ١ ص٥٩، ٩٥، ٣٢٩.

(١) القرافة: يقصد قرافة الإمام الشافعي وهي شهيرة ومعروفة.

(٢) جامع سيدنا الحسين: نسب بعض المؤرخين هذا المسجد إلى الحسين بن علي بن أبي طالب – ﷺ- على اعتبار أن رأس الحسين قد وصلت إلى مصر مع أم الغلام، وهذا وهم بلاشك، وإنما نسب هذا المسجد إلى سيدنا الحسين في تاريخ غير معروف وهو شائع بين مساجد مصر والقاهرة وغيرها من الأقاليم، وكانت تقام فيه الحلقات العلمية، وقد أمر بتجديد هذا المسجد الخديو إسماعيل سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م وزيادة مساحته، وفتح شارع السكة الجديدة، وروعي في الترميم الجديد ترك القبة على حالتها فلم يتناولها بالتجديد، ونقل إليه منبرًا جميلاً كان في جامع (أزيك بن ططح) بالأزبكية، وكذلك أمر إسماعيل بشراء العمد الرخامية من استانبول على حسابه الخاص، وقد أتم تجديده سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٦٨م ومنارته سنة (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٣ – ١٨٧٨م)، وكان المشهد الحسيني دائمًا مرتبطًا باحتفالات المصريين بكسوة الكعبة المشرفة التي كانت تحفظ فيه حتى تخرج قافلة الحج المصرية. =

مشهد عظيم مقام مهاب فخيم، وبها عدة جوامع ضخمة محكمة البناء والصنعة كجامع[1] المؤيد[2]

= شحاته عيسى: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص٣٢٠، ومحمد علي فهيم: مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص .

(١) جامع المؤيد: مسجد أنشأه المؤيد شيخ المحمودي في شارع الغورية الآن وكان يعرف بشارع المعز لدين الله الفاطمي، وبعد أن بنى هذا المسجد مالت مئذنته التي توجد على البرج الشمالي بباب زويلة، وكادت تسقط واشتد الخوف مما دفع السلطان إلى أن يخلي الشارع من المارة ثم نقضها، وكان ناظر العمارة بهاء الدين بن البرجي، فأنشد تقي الدين بن حجة في ذلك:

على برج بابي زويلة أنشئت ... منارة بيت الله والمعهد المنجي

فأخنى بها البرج البخيت آمالها ... ألاصرحوا يا قوم باللعن للبرجي

وأنشدا بن حجر أيضًا:

لجامع مولانا المؤيد رونق ... منارته بالحسن تزهو بالزين

تقول وقد مالت عن القصد أمهلوا ... فليس على جسمي أضر من العين

وقد كانت تعقد فيه حلقات العلوم بعد ذلك، وتعلم فيه أكثر العلماء وصار من أبرز مدارس القاهرة. ابن حجر: أنباء الغمر، حـ١ ص٤٥٥، واللمحة اللطيفة: ص٦٦ – ٦٧.

(٢) المؤيد: هو السلطان الملك المؤيد شيخ المحموي الظاهري من مماليك الظاهر برقوق اشتراه من تاجر يسمى اليزدي فأعتقه لذلك يقال له: المحمودي، ثم جعله أمير عشرة، ثم أمير طبلخانة، ثم مقدم ألف، ثم ولى نيابة طرابلس فأسره تيمورلنك لما أسر نواب البلاد الشامية، ثم هرب المؤيد منه، وصار أمره إلى ارتفاع، حيث وصل إلى السلطنة سنة ٨١٥هـ، وظل في الحكم حتى توفي سنة ٨٢٤هـ، كانت له أعمال جليلة مثل: كسوة الكعبة، وجامع من أجمل مساجد الدنيا، وهو الذي تحدثنا عنه في الحاشية السابقة.

عن يراجع: العصامي: سمط النجوم، حـ٤ ص ص٤٥ – ٤٦، وأحمد بن حجر العسقلاني: اللمحة اللطيفة في ذكر أحوال كسوة الكعبة الشريفة، تحقيق د. محمد علي فهيم، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٨م/ ١٤٢٩هـ، ص٥٩ – ٦٠، وإنباء=

والعتيق[١] يسمى[٢] عندهم جامع[٣] محمد[٤] بن * العاص ﷺ،[٥] ومن أعظم [٨] الجوامع المشهورة في الدنيا الأزهر[٦] التي يدرس فيها فنون العلوم من الأصول والفروع على طرق المذاهب الأربعة[٧] ومحاط هذا الجامع[٨] بالأروقة[٩] أي

= القمر: حـ١ ص٤٥٢، وابن العماد الحنبلي: شزرات الذهب، حـ٧ ص١٥٩.

(١) العتيق: وصف المسجد أو الجامع الأزهر.

(٢) تسمى والصحيح ما أثبتناه.

(٣) جامع عمرو بن العاص.

(٤) ذكر أن صاحبه محمد بن العاص والصحيح أنه الصحابي الجليل عمر بن العاص الباحث.

(٥) الواو ليستقيم المعنى.

(٦) الأزهر: أسسه الفاطميون حينما دخلوا مصر سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م، وافتتح بإقامة الصلاة فيه بعد ذلك بعامين سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م، ومنذ ذلك التاريخ والأزهر يؤدي دوره الرائع في حفظ التراث الإسلامي حتى حينما أغلقه صلاح الدين الأيوبي مارس الأزهر دوره في الحياة الدينية والعلمية في مختلف المؤسسات الأخرى كالمدرسة الصلاحية وغيرها في أساتذته الذين مارسوا نفس الدور، وظهر دور الأزهر واستعاد دوره المباشر في عهد المماليك والعثمانيين إلى هذا اليوم إذ يخرج طلاب العلم والمعرفة في سائر العلوم من كافة أرجاء الدنيا، ومن أعظم ما يميز الأزهر هذا الدور الوسطي الواضح الذي يقبل به فكر الآخر ولا يرفض التعددية: عن دور الأزهر ينظر:

محمد فهيم: دور مصر في الحياة العلمية: ص٢٧- ٥٥.

(٧) المذاهب الأربعة: السنية وهي مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، والحقيقة أن الأزهر يدرس فيه بعض المذاهب الشيعية والإباضية.

(٨) أروقة والصحيح ما أثبتناه؛ لأنه الأقرب في استقامة المعنى.

(٩) الأروقة: جمع رواق وهو مكان في أحد جوانب المسجد لسكن الطلاب ولتدريس=

بيوت كالمدرسة يقيم بها جماعات من الطلبة المجاورين لأخذ العلم، وبها هاته المدينة أسواق كثيرة، وحوانيت عامتها في سائر الجهات لبيع السلع[١] والبضايع المجلوبة لها من سائر الأقطار المعمورة، وأغلب طرقها في عرض واسع على نحو المنوال الأورباوي، وبعض الطرق لا تمر بها العربيات لضيقها لكونها لازالت على العمل القديم.

ومن محاسن القاهرة حديقة الأزبكية[٢] الجميلة المنظر، المحوطة بأصناف

= العلوم المختلفة به، وربما كانت البداية في اتخاذ الأروقة على عهد النبي ﷺ إذ اتخذه موضعًا مظللاً من مسجده ليسكنوه وكان عبادة بن الصامت يعلمهم القراءة والكتابة فيه، وأما أشهر الأورقة في الأزهر رواق الشوام والأتراك والجبرت والسليمانية، والهنود، والجاوة، والأكراد، والبغدادية، واليمنية، والبرابرة، والدكارنة، والبرنو، والحرمين الشريفين، وكان يلحق بها بعض الحارات، والأروقة الصغيرة، وكانت على أروقة الأزهر بعض الأوقاف المرصودة على الأنشطة العلمية، وفرضت الرواتب عليها، وعلى أبنائها مما سهل على طلاب العلم مكانًا للتعليم دون البحث عن مؤونة الحياة.

د. محمد فهيم: دور مصر في الحياة العلمية، ص ص٣١ – ٣٣.

(١) الصلع والصحيح ما أثبتناه.

(٢) حديقة الأزبكية: حديقة تنسب إلى الأمير يزبك من خدم الأشرف برسباي اشتراه جقمق من بيت المال، وأعتقه فصار من معاتيقه، وأما حديقة الأزبكية فإنها كانت في الأصل بستانًا كبيرًا غربي الخليج (المصري)، وكان يشرف على بحر النيل من ناحيته الشرقية، وكان يعرف ببستان المقس – محلها الآن حارة النصارى المار بها شارع كلوت بيك، وسميت بالمقسي بعد أن دخلت مصر في أيدي المسلمين، وفي عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله أبي هاشم علي بن الحاكم بأمر الله بعد سنة ٤١٠هـ بإزالة أنشاب هذا البستان، وأن يعمل بركة قدام المنظرة التي تعرف باللؤلؤة، فعملت بركة، وظلت على ذلك وعندما بنى أزبك جامعًا هناك ومناخًا =

الأشجار، وأنواع الأنوار، وخاصات رخامية تفور بمياه النيل[١]، ومن سمات ما يذكر في القاهرة الأهرام[٢] التي بقيت بها غير أنه لا يتيسر لنا الوصول إليها حتى أزعجني السفر؛ لأني كنت عازمًا على تقديم الزيارة فحقق الله رجاءنا والحمد الله، وبالجملة فإن صفة مدينة مصر[٣] لا يقدر وصَّاف على عدِّ أوصافها

= لجماله وسكن قريبًا منها حلت له العمارة، فبنى القاعات الجليلة والدور والمقاعد وغير ذلك، ثم إنه أحضر أبقارًا ومحاريث، وجرف ما احتاج إلى جرفه من الكيمان ومهدها وصارت بركة وبنى حولها رصيفًا محيطًا بها، وأنفق في ذلك مائتي ألف دينار، ثم إن الناس شرعوا في البناء عليها فبنيت القصور النفسية الفاخرة والأماكن الجليلة وتزايدت العمائر إلى سنة إحدى وتسعمائة، وصارت بلدة بانفرادها، ثم أنشئت حول الجامع الربوع والحمامات والقياسر، وما يحتاج إليه من الطواحين والأفران وغير ذلك من المنافع. علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣، حـ٣ ص ص٢٤٩ – ٢٥١.

(١) يقصد نافورة.

(٢) الأهرام: المقصود بها الأهرامات الثلاث التي أسست في عهدة الأسرة الرابعة التي تعود إلى عهد الدولة القديمة (خوفو – وخوفرع – ومن كاو رع) وهناك أهرامات تزيد على المائة، وقد تحدث الأثريون حول بناء هذه الأهرامات ورووا روايات كثيرة؛ لكن لا توجد كلمة فصل حول هذا الأمر، لكن الذي ينبغي ذكره أن هذه الأهرامات بحق تعد من عجائب الدنيا كيف بنيت بهذه العظمة؟ وهذه الهندسة؟ وكيف قاومت الزمان المديد الذي يصل إلى ما يقرب عن أربعة آلاف سنة، ولقد اتخذ الشعراء هذه الآثار دلالة على أن مصر استعبدت المصريين، وأن حكامها أذاقوا شعبها الهوان، يقول أحمد محرم:

ما هذه الأهرام ما لبناتها ... ساقوا أمور الملك شر مساق

هدموا القوى منها يشد بناؤها ... ويقام أطباق على أطباق

هي إن أردت الحق شاهد قسوة ... يخزى الوجوه وآية استرقاق

وعلى الرغم أنه من الممكن أن تكون صورة للرخاء الذي لم يتكرر في مصر عبر تاريخها الطويل عن الأهرام ينظر: سليم حسن: مصر القديمة، موسوعة نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

(٣) يقصد مدينة القاهرة.

ولو كان مقامه بها.

الطريق إلى السويس:

وفي عشية يوم الأربعاء ارتحلنا منها على طريق سكة الحديد(١) بعدما أقمت بها عدة أيام، ولما مررنا على الإسماعيلية(٢) بتنا بها بقية الليل وعند الفجر فقمنا منها في صبيحة يوم الخميس قبل الشروق وصلنا * السويس(٣) [٩] فكان جملة السير من القاهرة إليها ثمان ساعات وعند موقف البابور(٤)

---

(١) يقصد سلوكه طريق السكة الحديد من العباسية إلى الإسماعيلية.

(٢) الإسماعيلية: مدينة تنسب إلى الخديو إسماعيل قامت في منتصف قناة السويس سنة ١٨٦٢م على تلال مرتفعة تعرف باسم تلال الجسر إلى شمال بحيرة التمساح، وعرفت أول الأمر (قرية التمساح) وفي صدر حكم الخديو إسماعيل سميت الإسماعيلية، واكتسبت الإسماعيلية منزلة كبيرة؛ لأن شركة قناة السويس وضعت فيها مركزها الرئيسي، وفي سنة ١٨٧٠م أصبحت الإسماعيلية مدينة الحدائق الوارفة بالمنازل البديعة، ويبلغ عدد سكانها حوالي الأربعين ألفًا في مطلع القرن الماضي. محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ق٢ حـ١ ص٦.

(٣) السويس: مدينة في شرق مصر ظهرت لما استمر انسحاب البحر الأحمر إلى الجنوب، وانفصلت عنه البحيرات المرة أصبحت ميناء مصر عند النهائية الشمالية لخليج السويس هي مدينة كليسما التي سماها العرب مدينة القلزم اسمها السويس، وما لبث أن شملت القلزم، وأصبحت هي ميناء مصر على البحر الأحمر، وفي سنة ١٨٦٣م وصلت إليها الميادة العذبة من ترعة الإسماعيلية فزاد عدد سكانها، وفي سنة ١٨٦٩م فتحت قناة السويس فأصبحت مدينة السويس مدينة هامة للاتصال بين الشرق والغرب، ووصل عدد سكانها إلى خمسين ألفًا في بداية القرن العشرين، وكانت قد أصبحت محافظة من سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م.

رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ق٢ حـ١ ص٧.

(٤) موقف البابور: المقصود محطة السكة الحديد.

تلقانا الفاضل عبد الفتاح(١) نائب وكيل المغاربة(٢) من ثمة، وكان نزولنا عنده بداره، وأهم ما في هناك مرساها(٣) الصناعية، وبقربها الخليج(٤) الجامع بين البحرين الأبيض والأحمر(٥) وحول المرسى حجر الكرنتيلة(٦)، وفي وسط هذه

---

(١) عبد الفتاح: لم أعثر له على تعريف.

(٢) هناك معلومة مهمة هي أنه يوجد في القاهرة وكيل المغاربة، وكأنها نقابة أو قنصلية ولها فروع في الأقاليم المهمة كالإسكندرية أو السويس وغيرها، وهو ما يعطي تصور عن الوجود المغربي في مصر.

(٣) مرسى السويس: ميناء السويس وكان هذا الميناء ولا يزال الميناء الرئيسي شرق مصر؛ لأنها بوابة العبور من مصر - وإليها - إلى الهند واليمن والحجاز، ومن هذا الميناء يسير المحمل إلى الينبع، فالمدينة المنورة أو جدة فمكة المكرمة، وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان يغص بالتجار الذاهبين إلى الشرق أو العائدين إلى مصر، وتكمن أهميته أيضًا في أن هذا المرسى يعتبر الأساس للحجاج والتجار المغاربة قبل أن يتغير طريق الحجاج المغاربة كما رأينا في رحلة الطنجوي التي نحن بصددها، فعلى الرغم من اتجاهه نحو السويس إلا أن تغيير طريق الحج كان واضحًا في هذه الرحلة.
محمد فهيم: مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠١م. الفصل الثاني.

(٤) خليج السويس: هو الفرع الغربي للبحر الأحمر، وكان يطلق عليه خليج القلزم أو كليسما وذلك حينما كانت مدينة السويس تسمى بهذا الاسم، وحينما سميت بمدينة السويس تغير اسم الخليج إلى خليج السويس، ومدينة السويس عند رأس الخليج الذي ينتهي برأس محمد وشرم الشيخ، ويعد الآن من أشهر المنتجعات السياحية في العالم ابتداءً من شرم الشيخ، ورأس سدر، وعيون موسى وغيرها. المحقق.

(٥) البحر الأحمر: يقصد قناة السويس.

(٦) حجر الكرنتيلة: سبق الحديث عنه في مقدمة التحقيق.

البلدة التجار ورياضات حول ديار بعض الأجانب ويتخللها ماء النيل، وقد مَنَّ الله علينا بزيارة ضريح الولي الصالح الصديقي(١) سيدي غريب (٢) الدفين داخل البلد تقبل الله ونفعنا ببركاته آمين.

[ركوب الباخرة من السويس]

وبعد قضاء ما دعت الحاجة إليه من شونة السفر (٣) ركبنا الباخرة المصرية المسماة بالمحلة الرحمانية، وعند الزوال من يومنا هذا أقلعنا منها، وكان بها مسلحًا ولا يركب أحد من الحوض إلا بعد أخذ إذن مرسوم(٤) على ورقة

---

(١) الصديقي: نسبة أبي بكر الصديق وهي أسرة كبيرة وعريقة المحتد تنتشر في غالب أقاليم العالم الإسلامي لاسيما في مصر والحجاز والشام، وكانت هذه الأسرة في مصر تمتلك العقارات، والضياع، والأموال، والمتنزهات وكان منها الشعراء والفقهاء والقراء وغيرهم، وكان لهم دور سياسي بارز جدًا في مصر العثمانية، وكانوا يراسلون السلطان في ذلك العصر، بالإضافة إلى ذلك فقد تولوا مناصب التدريس والإفتاء على المذهب الشافعي.

(٢) سيدي غريب: هو مسجد ينسب إلى أحد المشايخ هو عبد الله الغريب.

(٣) شونة السفر: شونة السفر في السويس هي شونة (مخازن) لحفظ الغلال والحبوب والعلوفات، وكافة العينيات من الزيت وما سواه، وكان عليها أمير مسئول عنها مسئولية كاملة ومعه أعوانه، وكان يقدم منها لأمير الحاج أو والي المدينة في السويس بموجب تذاكر رسمية تقدم له من الوالي (الباشا) في القاهرة.

(٤) إذن مرسوم على ورقة: هو ما يشبه جواز السفر الآن وهو الفرمان الصادر من السلطان أو هو الأمر الأدبي من الفرمان، مثل البيور لدي الباشوي ويسمى براءة ونيشان وتوقيع وغير ذلك، وحامل الإذن فرمانلي وغير ذلك، وهو يعطي الحق لصاحبه في السفر دون ممانعة من الإدارة الحاكمة.

حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ص١٠٠.

جوازه، ويؤتي على ذلك [و][١] بعدما صعدت إليها أخذت بيتًا في القمرة، وكان في الباخرة ازدحام فادح من الرجال والنساء والصبيان بحيث لا يجد الإنسان فيها محلاً فسيحًا حتى تدافعنا على الركوب هناك[٢]، ولكني تسليت لما رأيت من انشراح جميع الركاب وعدم اكتراسهن بما فهم فيه من المشقة والحرج، كما تسليت أيضًا وانشرح صدري أيضًا بمرافقة بعض طلبة العلم من الديار الشامية[٣] فكنت تروح النفس معهم بالمفاكهة مع المحافظة التامة على إقامة * الصلوات [١٠] الخمس في أوقاتها جماعة بآذان وإقامة، وغالب الأوقات كلها معمورة بالأذكار والتلاوة الحسنة وإنشاد الذكر[٤] في خير البرية [صلى الله عليه وسلم] غير أني رأيت كثيرًا من الحجاج لم يصل ولا يستطيع الصلاة[٥]، سيما عند اضطراب البحر وهيجانه.

[الوصول إلى ينبع[٦]]

وعند الغروب من يوم السبت وصلنا إلى مرسى

---

(١) لاستقامة المعنى.

(٢) يروي مشاهداته التي قدمنا لها في بداية الدراسة وهو ناقد جاد بالفعل.

(٣) يروي أيضًا مشاهداته عن النشاط العلمي التقليدي الذي كان سائدًا آنذاك المحقق.

(٤) من مشاهداته في الحياة الدينية وما يؤكد أنه كان من الصوفية تبعًا لأن غالب علماء مصر والمغرب على هذا النهج.

(٥) لاحظ هنا عدم صلاة الحجاج لاسيما عند هياج البحر.

(٦) ينبع: بفتح المثناه التحتية ثم سكون النون وضم الموحدة وعين مهملة مضارع نبع، وهي حصن وقرية نائية على يمين رضوى لمن كان منحدرًا من أهل المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى، وفيها عيون عِذَاب وواديها (يليل) يصب في غيقة قيل: أقطعها عمر عليًا، فكانت في طريق الحاج قديمًا، وهي موضعان ينبع النخيل=

ينبوع[١]، وهو أقرب المراسي إلى المدينة المنورة[٢] بحيث تصلها القوافل في ثلاثة أيام غير أن هواءها ليس بالجيد[٣]، وكذلك ماؤها بأنه أجاج[٤]، وسبب ذلك

= وينبع البحر التي صارت بندرًا (جمرك) وأنشئت بها قلعة عسكرية، وأمير لها يطلق عليه ينبع باش كان تابعًا للباشا المصري، وكان ييسر بعض الأمور المتعلقة بقافلة الحاج المصرية.

ياقوت: معجم البلدان، حـ٥ ص٤٥٠، وابن عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع، حـ٣ ص١٤٨٥، والجزيري: درر الفوائد، ص٤٥٢، والنابلسي: الحقيقة والمجاز، ص٣٠٢، وعارف عبد الغني: تاريخ أمراء مكة، ص٧٣٢.

(١) مرسى ينبوع: هو الميناء وكانت له إدارة كاملة من سردار ووكتخدا وأمين احتساب وغير ذلك وكان يضم إليه مشونة لوضع الغلال وحفظها.

(٢) المدينة المنورة: هي يثرب من بناء يثرب بن مهلايل من العمالقة وملكها بنو إسرائيل من أيديهم فيما ملكوه من أرض الحجاز ثم جاورهم بنو قيلة من غسان، وغلبوهم عليها، وعلى حصونها، ثم أُمر رسول الله ﷺ بالهجرة إليها، فهاجر المسلمون إليها، وسموا المهاجرين ولاقاهم أهلها وسموا الأنصار، وكانت المدينة تسمى أيضًا في الجاهلية (غُلبة) لأن اليهود غلبوا عليها العماليق، وطابة من الطيب، وزاد السهيلي في أسمائها الجابرة، والمحبة، والمحبوبة، والقاصمة والمجبورة، والعذراء، والمرحومة، ويوجد بالمدينة خير المكان عند المسلمين بعد المسجدين المعظمين الحرام والأقصى، وهو مسجد النبي ﷺ، وقد حرمها رسول الله ﷺ، حينما قال: إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يقطع عضادها، ولا يصاد صيدها. الكردي: التاريخ القويم، حـ٤ ص٣٤٣ - ٣٤٤.

(٣) يلاحظ أن المسافة من ينبع إلى المدينة ثلاثة أيام سيرًا بالقوافل، كما أن المناخ في هذه المنطقة غير جيد.

(٤) أجاج: شديد الملوحة.

وقوع لنا انحراف في المزاج حتى بلغ المرض منه الجهد.

[الوصول للمدينة المنورة]

وبمجرد ما صرفنا الوجه للمدينة المشرفة أذهب الله [سبحانه] عني والناس ببركة سيد الناس، وكان نزولنا ثمة بدار الأمير عمر إسماعيل المنيني[١] المعلم عند وكيل المغاربة بمصر بقبول البضايع التي ترد للينبوع، وقد قدمت له كتابًا من عند الوكيل سابقًا؛ ليأخذ بيدنا ويبصرنا إذ «الغريب أعمى ولو كان بصيرًا»، فحمل بمقتضاه، وحملنا على كامل الاعتناء والمسبرة فجزاه الله عنا خيرًا، وبخارج البلد بمسافة قريبة عند شاطئ البحر مقام الولي الصالح سيدي[٢] وقد ذرته تقبل الله.

ولما تابعنا السفر من الينبوع بنية التوجه إلى المدينة المنورة لزيارة ﷺ اكترينا[٣] جملين؛ أحدهما للسفر، وجملاً لركوبنا شقدف[٤] جاء يغطاه يقي الحر والبرد وفرشته (بمطربة)[٥]، ووسادة غير أنه هالني الركوب فيه؛ لأني ما

---

(١) عمر إسماعيل المنيني: لم أعثر له على تعريف.

(٢) غالبًا سيكون ضريح الشيخ مرزوق الكفافي.

(٣) اكترينا: أجرنا.

(٤) شقدف: لا يخرج الحاج من مكة إلى المدينة إلا في ركب القافلة التي تكون جمالتها من أهل الطرق الذي يسيرون فيه، والجمل الذي يركبه الحجاج ينقسم إلى قسمين جمل الشقدف وجمل الحمل، فأما جمل الشقدف فيركبه اثنان؛ لأن الشقدف أو المحمل محقة مهيئة؛ لأن يتمدد فيها شخصان معًا معهما كافة حاجتهما اليومية بخلاف جمل الحمل أو العصم الذي كان يحمل رجلاً واحدًا بمتاعه، وكانت أجرة المحمل العصم ثلثي أجرة جمل الشقدف. الكردي: التاريخ القويم، حـ٢ ص٣١٤.

(٥) ربما يقصد مرتبة.

عاهدته ولم أستأنس ركوبه إلا بعد مدة حتى تمرنا[١] به، فكنت حينئذٍ نضطجع فيه كيف شئت ونمد رجلي فيه * وننام فيه ما شئنا وبعد صلاة الظهر من يوم [١١] السبت ارتحلنا من الينبوع مع قافلة عظيمة على طريق الخميصة[٢]، وسرنا بقية اليوم مع ليلنا أجمع كما هو شأن أهل تلك البلاد، فإن غالب سيرهم ليلاً ويوقدون النار في الصررة التي على جانب الطريق، فترى النار تتلألأ بها نورًا حتى يصير الليل نهارًا، وفي صبيحة يوم الأحد نزلنا بموضع يقال لها: بير سعيد[٣]، ثم ارتحلنا منها في الساعة العاشرة من يومنا هذا، وفي أثناء الطريق بالموضع المعروف بالحمراء[٤]، فإذا هي كثيرة النخيل والماء، وبقينا على سيرنا إلى الساعة الثالثة عشر من الليل فنزلنا بموضع يسمى قرية الجديدة[٥]، وأقمنا بها

---

(١) من التمرين وهو التدريب والممارسة.

(٢) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان، المغرب في ترتيب المغرب: جـ١ ص٢٧١.

(٣) بير سعيد: قصر سعيد هو قصر العقيق أقطعه مروان بن الحكم عبد الله بن عباس بن علقمة من بني عامر بن لؤي، فاشتراه منه عروة فذلك مال عروة بن الزبير، وبناه سعيد بن العاص، وكان يسمى قصر الحمراء وقد عناه الشاعر بقوله:

القصر ذو النخل فالجماء بينهما ... أشهى إلى القلب من أبواب

معجم ما استعجم: جـ٤ ص١٣٣٢.

(٤) الحمراء: هي قرية بها نهر عذب وفيها بساتين ونخيل، ويكثر فيها البرتقال والليمون والموز والحناء، ويزرع بها كثير من الخضر كالقثاء والبطيخ وغير ذلك، ويسكنها الحوازم، ومنها ينثني الطريق على الشمال الشرقي. الكردي: التاريخ القويم: جـ٢ ص٣١١.

(٥) قرية الجديدة: هضبة صغيرة محصورة بين جبلين قصبة بها ستمائة حديقة من النخيل والأعناب خاضعة لحكم الشريف، بها وادي وقد قام بتعميرها رضوان بك أمير الحج المصري، وفي هذا الوادي سبعة أنواع من أشجار النخيل منازلها =

يوم الاثنين كله للاستراحة وتسوقنا أهل تلك القرية بالمحتاج إليه من لحم ودلاء وغير ذلك، وبها واد من الأودية كثيرة الماء وبهاته القرية ضريح العارف بالله والمحب في جانب رسوله -ﷺ- وهو سيدي عبد الرحيم البوريني(1)، وقد زرناه والحمد لله، وفي صبيحة يوم الثلاثاء ارتحلنا منها وسرنا اليوم كله وعند الساعة الواحدة من الليل، فنزلنا ببطحاء الغريض(2) بالقرب منها بير عباس، ثم ارتحلنا منها صبيحة يوم الأربعاء وبعد العشاء * حللنا المدينة المنورة [١٢]

= متينة البناء به العديد من الورود والمراعي وبهذا المكان كما يصف أوليا جلبي مياه كثيرة وأهلها أغنياء، وجامع صغير لرضوان بك وله حمام عام وسوق صغير، يبيع فيه النساء، وهي منطقة بها حدائق وبساتين قريبة من بدر حنين.

أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ص١٦٣.

(١) عبد الرحيم البوريني: أسرة البوريني أسرة علمية عريقة منها عدد كبير من العلماء المسلمين الذين أثروا الحياة العلمية ببلاد الشام والعالم الإسلامي عامة، ولعل من أبرز هؤلاء الأعلام:

١) حسن بن محمد البوريني ١٠٢٤هـ.

٢) محمد شمس الدين البوريني بن حسن بن بدر الدين ق١١هـ، وهذه الأسرة تنتمي إلى بورين من قرى نابلس بفلسطين من بلاد الشام.

غير أني لم أعثر له على ترجمة. الباحث، عن أسرة البوريني يراجع: سركيس: معجم المطبوعات، حـ١ ص٢٠١، ٩٠٢، ٩٣٤، والبغدادي: هدية العارفين: حـ١ ص١٢٨، ١٥٥، ٤٣٦، والزبيدي: تاج العروس، حـ١ ص٢٥٤٥.

(٢) القريفي: بفتح أوله وكسر ثانيه وياء ساكنة وضاد معجمة السطر من كل شيء وكل من ورد الماء باكرًا، فهو غارض وذكر الخوارزمي أنه موضوع.

معجم البلدان: حـ٤ ص٢٠٠.

على ساكنها أفضل الصلاة والتحية سالمين فرحين بمجاورة رب العالمين، ولمَّا بدت لنا المدينة المنورة عن بعد؛ بدت لنا لوامع الأنوار النبوية، وهبَّت نسمات المعارف المحمدية، فحيت النفوس وزال كل بوس، وارتفعت الأصوات بالصلاة على صاحب المسرات(١)، ولما بلغنا لسور المدينة(٢) تلقانا المزوِّر(٣) الفاضل سيدي علي

---

(١) سمه عامة في رحلات المغاربة الحديث بهذه الطريقة عند الوصول إلى المدينة المنورة.

(٢) سور المدينة: هذا السور أنشئ في عهد سابق على الدولة العثمانية حتى جاء السلطان سليمان القانوني فرفع السور، وجعله حول المدينة المنورة بالكامل سنة (٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م) وعند نهاية هذا السور من الجهة الغربية الشمالية بني القلعة السلطانية وجعل لها العسكريين وفرض لهم الرواتب كما تشير وثائق العصر العثماني.
دار الوثائق: سجلات الزوزنامة، دفتر رجال قلعة المدينة المنورة، واجب سنة ١١١٩هـ/ ١٧١٧م، حفظ نوعي ٤٧٢، عمومي ٥٣٢٦، مخزن تركي واحد، وواجب سنة ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م، رقم ٣/٢٢١، حفظ نوعي ٤٤٨، عمومي ٥٧٣١، مخزن تركي، وعبد الباسط بن بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، حـ٢ ص٣٣٥.

(٣) المزور: هو المطوف الذي يأخذ بيد الحاج لتعليهم المناسك، وكيفية أداء الأحكام الشرعية على وجهها المطلوب، وكانت الدولة العثمانية تعيين من المسلمين في هذه الوظيفة أجر من الأموال والعينيات يصرف مع موسم الحج في كل عام، والمزور اسم فاعل من الزيارة والمزور وظيفة كانت في المدينة المنورة كذلك، وكان عدد المزورين يزيد وينقص ليس ثابتًا، ولكن كان لهم شيخ ومنهم الشيخ حسن البصراوي المتوفى في القرن الثاني عشر ١١٤٧هـ، وقد عنيت الحكومة السعودية بالمطوفين خدمة لمصالح الحجاج وصيانة لنظام البلاد إذ غير خفي أن الحجاج كانوا يتعرضون لمظالم ومصائب من المطوفين، وقامت المملكة العربية =

مشرف المدينة فسلم علينا ورحب بنا أتم ترحيب ومن تمام اعتنايه أكرم نزولنا بداره.

[المسجد النبوي[١]]

وفي الغد الذي هو يوم الخميس ذهبت إلى الحمام واغتسلت من كل ألم، وهو في غاية الإتقان والنظافة وبعد الغسل لبست ثيابه وتطيبت وجردت التوبة، ثم ذهبت إلى المسجد الشريف من باب الرحمة[٢]، وصليت فيه ركعتين في روضة

= بإنشاء هيئة منظمة تتحمل في حق الحاج مسئولية كبيرة إذ أصبح المزور يتلقى الحاج وفق النظام الجديد من جدة ويصلون بهم إلى أداء الفريضة وكانوا يوجدون المسكن للحجاج وأحياناً يسكن الحاج في بيت المزور لقاء أجر وكذلك تجهيز الطعام والشراب، وكافة الاحتياجات التي يطلبها الحاج وللمطوفين في جدة محلات للنزول يمكن للحاج أن يضعوا بها أثقالهم التي لا يحتاجون إليها في مكة، فتبقى محفوظة هناك بنظام تام حتى العودة، وإذا ادعى الحاج أمرًا على المطوف عاقبت الدولة المطوف بشدة؛ لأن العادة أن الحاج لا يكذب أبدًا، وكان المطوفون يحصلون على أجر من الدولة ومن الحاج أيضًا.

للمزيد: الأنصاري: تحفة المحبين، ص٦٩، وأحمد الهواري: دليل الحج والسياحة، ص ص١٧٨ – ١٨٢.

(١) سبق عرضه.

(٢) باب الرحمة: أحد أبواب المسجد النبوي الشريف من ناحية المغرب، وهو باب السلام يوجدان في جهة واحدة، ابن مليح: أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب (١٠٤٠ – ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٠ – ١٦٣٣م)، تحقيق محمد الفاسي، فاس، المغرب، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ص١٠١.

الجنة[١] بين القبر الشريف[٢] والمنبر الكريم المنيف[٣]، وعظمت على ولله النعمة

(١) روضة الجنة: هي الروضة المطهرة المكان الموجود في المسجد النبوي الشريف بين المنبر والمقام.
مجهول: رسالة في وصف المدينة، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٦٤٤، تاريخ، ورقة ٣ – ٧، وإبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، جزءان، القاهرة، د. ت، جـ١ ص٧٧، ود/ صالح العلي: خطط المدينة، ص ص١٠٩٣ – ١٠٩٥.

(٢) القبر الشريف: هو قبر النبي ﷺ وكانت حجرة عائشة التي انتقل إليها حال مرضه -ﷺ- فظل حتى توفي فيها في الثاني عشر من ربيع الأول في الحادية عشرة من الهجرة، ودفن بها لأن النبي ﷺ ما من نبي يموت إلا يدفن حيث قبض فجهزت الحجرة لذلك ودفن بها، وقال عنها ﷺ: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، لذلك اهتم الخلفاء والسلاطين والموسرون بالمدينة المنورة، وقبر الحبيب فبنيت حوله الأسوار وتزين بالآيات القرآنية وعليه الحراسة؛ لأنه داخل الحجرة النبوية المشرفة، والتي يحرسها الأغوات من عهد معاوية بن أبي سفيان مرورًا بنور الدين الشهيد وصلاح الدين يوسف بن أيوب والأشرف برسباي فضلاً عن جهود سلاطين الدولة العثمانية، وأما وصف الحجرة الشريفة التي تضم قبر النبي ﷺ فتحيط بها مقصورة من النحاس الأصفر المنقوشة عليه الآيات القرآنية بخطوط رفيعة، وهي تبلغ في الطول ١٦ مترًا، وفي العرض ١٥ مترًا وينسدل عليها من الأعلى من الجهة القبلية ستار من الحرير مكتوبة عليه بوشي المذهب آيات قرآنية أيضًا ولا يكاد الإنسان يقترب منها حتى تفاجئه رائحة زكية لا تعادلها إلا رائحة الجنة ويشاهد عليها من النور المحمدي مالا تطيقه الأبصار البشرية، وتقوم فوق هذه الحجرة قبسة خضراء تبرز في القضاء بصورة هندسية مدهشة وتتراءى للقادمين من مسافات بعيدة إلى المدينة.
الهواري: دليل الحج والسياحة، ص ص١٩١ – ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١.

(٣) المنبر الكريم المنيف: هو المنبر الشريف في المدينة حيث كان الرسول -ﷺ- =

ولرسوله المنة، ثم دخلنا لزيارته عليه الصلاة والسلام والشيخين[(١)] - رضي الله

= خطب فور وصوله إلى المدينة المنورة على جذع نخل مما دفع الصحابة يطلبون إليه أن يتخذ منبرًا من خشب، فاتخذه ﷺ فبكى الجذع وبشره بالجنة ﷺ، والقصة مشهورة، من بعد ذلك اهتم الخلفاء والأعيان بالمنبر الشريف في مكة، فبعث الملك الأشرف منبرًا سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، وظل حتى رآهما الفاسي سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، ثم أرسل الملك المؤيد شيخ منبرين سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م، وخطب عليهما السنة ذاتها، ثم أرسل الأشرف قايتباي كذلك سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م، وأرسل السلطان سليمان القانوني منبرين من الرخام المرمر البراق الناصع البياض وكتب عليهما: «إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم»، وفي سنة ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م قامت الدولة العثمانية بتزيين المنبر فوضعت عليه هلالاً في كل مدينة من ألواح الخشب ركبت فيها الفضة بالذهب، ومن مزية هذا المنبر - منبر السلطان سليمان - أن الشمس لا تصل إلى موضع الخطيب لا شتاءً ولا صيفًا على اختلاف الفصول، وأما تاريخ المنبر النبوي الشريف فقد أرسل الظاهر بيبرس منبرًا غير بمنبر الظاهر برقوق سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م، ثم استبدل منبر أرسله إلى المسجد النبوي المؤيد شيخ سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م، وتبعه على ذلك الأشرف قايتباي الذي أرسل منبرًا من الرخام، وفي القرن العاشر أرسل السلطان مراد سنة ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م منبرًا عُدَّ من عجائب الدنيا ولا يوجد له مثيل، وجعل لهذا المنبر اثنتا عشرة درجة ثلاث منها خارج بابه وسبع منها داخله.

ينظر: إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، حـ١ ص٢٥٥ - ٢٥٦، ص٤٧١ وحسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٢٠٤، وأحمد رجب محمد علي: عمارة المسجد النبوي، ص٨٥، ومحمد فهيم: مخصصات الحرمين الشريفين، ص٢٩٧ - ٢٩٨، ٣٠٢.

(١) الشيخان: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، يطلق عليهما الشيخان في التاريخ أما في الحديث فهما البخاري ومسلم.

عنهما - .

وبعد الآداب والسنن أسعدني الله تعالى بالوقوف بين يديه نور العالم وسيد الخلائق وملجأ الأمم سيدنا ونبينا ومولانا محمد أكرم نبي وأفضل رسول، وحظيت بالسلام عليه وعلى صاحبيه(١) الفائزين من قربه بأعظم مأمول، وأديت الشهادة، وسألت الله أن يتم لنا البغية * بالسلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة وأن [١٣] يمن علينا بالعود إلى تلك البقاع الشريفة والموت بها على الملة الحنفية(٢) آمين.

[البقيع(٣)]

ثم خرجنا لزيارة أهل البقيع - رضوان الله عنهم - وهي مقبرة بشرقي المدينة المكرمة، وزرنا أولاد النبي(٤) ﷺ وأزواجه

---

(١) صاحباه: هما أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما كما سبق الإشارة. الباحث.

(٢) هي الإسلام والحنيفية نسبة إلى الحنيفية السمحاء التي جاء إبراهيم عليه السلام من قبل الله وأتمها النبي المصطفى ﷺ.

(٣) البقيع: بفتح أوله وكسر ثانية وعين مهملة هو بقيع الغرقد مقبرة المدينة، قال الأصمعي: قطعت غرقدات في هذا الموضع حين دفن فيه عثمان بن مظعون فسمي بقيع الغرقد لهذا، وقال الخليل: البقيع من الأرض موضع فيه أروم شجر وبه سمي بقيع الغرقد، والغرقد شجر ينبع فيه، وقد وسعه عثمان، ووسع به البقيع فكان أول من دفن فيه، ودفن غالب الصحابة الذين ماتوا في المدينة المنورة.
ابن كثير: البداية والنهاية، حـ٣ ص٣٠٤، وياقوت: معجم البلدان: حـ١ ص٤٧٣، والبكري: معجم ما استعجم، حـ١ ص٤٥١.

(٤) أولاد النبي ﷺ: المقصود سيدنا إبراهيم ﷺ والطيب، والقاسم، ورقية، وأم كلثوم،=

الطاهرات(١)، وأعمامه(٢) وعماته(٣) وأكابر أهل بيته الكرام، وكثيرًا من الأفاضل والأصحاب(٤)، والأيمة الأعلام(٥)، وتتبعنا الأماكن الشريفة المشهورة ثمة، ودعونا الله عند كل مشهد منها بما نرجو قبوله.

= وزينب، وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين.
أحمد بن عبد الله الطبري: ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٦هـ، حـ١ ص٢٦، ٣٩.

(١) أزواجه ﷺ: خديجة بنت خويلد، وعائشة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث، وصفية بنت حيي، وسودة بنت زمعة، وأم حبيبة، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت خزيمة، فضلاً عن مارية رضي الله عنهن، وذكر بعض المؤرخين غيرهم غير أن هؤلاء المتفق عليهن.
الشامي (الصالحي محمد بن يوسف): سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، حـ١١ ص١٣، ٤٧، ١٧١ - ١٧٢، ١٩١، ٢٠٢، ٢٣٠.

(٢) أعمامه ﷺ: أما أعمامه ﷺ المعنيون فهم العباس وحمزة من بني عبد المطلب، وأما أعمامه فهم بالإضافة لما سبق الحارث، وأبو طالب؛ واسمه عبد مناف، والزبير، وحمزة، وأبو لهب، واسمه عبد العزى، والغيداق، والمقوم، وضرار وقثم، وحجل، وعبد الكعبة؛ ويسمى المغيرة.
السابق: حـ١ ص١٧١.

(٣) عماته ﷺ: صفية أم الزبير بن العوام، وعاتكة، وبَرَّة، وأروى، وأميمة، وأم حكيم البيضاء أسلم منهم صفية، وروي أن أروى وعاتكة أسلمتا.

(٤) يقصد بزيارة الصحابة في البقيع.

(٥) الإمام مالك ومن دفن بالمدينة من الأئمة.

[المشاهد والمزارات]

ومن المشاهد الكريمة التي زرتها جبل أحد[١] بإزائه الشهداء الأكرمون[٢]، وحوله مقام سيد الشهداء[٣] سيدنا

---

(١) هو الجبل الذي وقعت عنده واقعة أحد في السنة الثالثة من الهجرة وعنده دفن سبعون من أصحاب النبي ﷺ على رأسهم سيدنا حمزة بن عبد الله وعبد الله ابن جبير.
ابن كثير: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧١م، جـ٢ ص٤٨٥.

(٢) الشهداء الأكرمون: هم الشهداء السبعون الذين تحدثنا عنهم في الهامش السابق.
المصدر السابق جـ٢ ص٤٨٥.

(٣) مقام سيد الشهداء: هو المكان الذي استشهد فيه حمزة بن عبد المطلب في السنة الثالثة من الهجرة في غزوة أحد، وظل المسلمون والمؤرخون يعرفون مكانه حتى قامت السيدة أم الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء عام ٥٧٠هـ وجعلت عليه قبة متقنة وبابه كله مصفح بالحديد، والضريح مخصص وعليه تابوت وثوب من حرير، ثم زاد الأشرف قايتباي في الجانب الغربي سنة ٨٩٣هـ زيادة، واحتفر خارج البناء بئرًا بدرج إلى الماء، وذلك في عهد شيخ الخدام بالحرم النبوي شاهين الشجاعي، ولما هدم في أحد السيول أحد جدران المسجد وكاد يكشف القبر فنقل جسد سيد الشهداء -رضي الله عنه- وابن أخته عبد الله بن جحش إلى الموضع الحالي وذلك بعد ٤٦ عامًا من غزوة أحد في عهد مروان بن الحكم أمير المدينة المنورة في عهد معاوية بن أبي سفيان، ولقد بنت الدولة العثمانية مسجدًا، ثم أخيرًا قامت الدولة السعودية ببناء حائط دائري على القبر للمحافظة عليه، وتم ذلك سنة ١٣٨٣هـ.
أحمد باشا الخياري: تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، الطبعة السادسة، جدة، ١٤٢٣هـ، ص ص١٨٥ - ١٨٦.

حمزة[١] عم النبي -ﷺ-، ومن المشاهد الكريمة التي زرتها مسجد قباء[٢]، وهو قبلة المدينة المنورة[٣] والطريق بينهما حدائق النخل[٤] على مسافة متوسطة،

---

(١) حمزة عم النبي: هو حمزة بن عبد المطلب بن عبد مناف عم رسول الله ﷺ من الذين قاموا بدور مجيد في الدفاع عن رسول الله ﷺ والإسلام ودعم الله بهم الإسلام وكان شقيق النبي من الرضاع كانت قصة إسلامه مشهورة، وفي بدر كان بطلاً عظيمًا وكان استشهاده في غزوة أحد وله بها ضريح يزار.
الصالحي: سبل الهدى والرشاد، جـ١ ص٦، ١١، ٣٧٥.

(٢) مسجد قباء: هو المسجد الذي ورد ذكره في القرآن الكريم: «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه» وبنى في المكان الذي اختاره رسول الله -ﷺ- في مربد كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس، فأخذه منه الرسول -ﷺ- بالبيع، وبناه ولم يزل يزوره ويؤم أهل قباء فيه، وكان إمام هذا المسجد معاذ بن جبل ثم سالم مولى أبي حذيفة يؤم الصحابة ومنهم عمر وأبو بكر - رضي الله عنهما-، ولما تولى عبد الملك بن مروان زاد فيه، كما زاد فيه عمر بن عبد العزيز، وقد عُمِّر عبر العصور للمزيد عنه يراجع: أحمد يس الخياري: تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، الطبعة السادسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ص١٦٢ - ١٦٣.

(٣) لأنه المسجد الذي تغيرت فيه القبلة وأنزل الله فيه سبحانه: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾، أو لأنه أول مسجد أسس في المدينة بمجرد دخول الرسول ﷺ إلى قباء.
الصالحي: سبل الهدى والرشاد، جـ٥ ص٤٧٢.

(٤) حدائق النخل: يراجع في حدائق النخل.
الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب، ص ص ٤٣ -٤٤، ٧٨، ٨١، ٨٣، ١١٤.

هناك مسجد القبلتين[(١)]؛ لأن القبلة حولت فيه، وبه المسجد الذي أسس على التقوى والرضوان، وفي وسطه مبرك الناقة بالنبي -ﷺ- فيتبرك الناس بالصلاة فيه، وهناك حديقة نخيل فيها بيرأريس[(٢)] المعروف ببير الخاتم التي تفل فيها -ﷺ- على الخلاف في ذلك[(٣)]، فعاد ماؤها عذبًا بعد أن كان

---

(١) مسجد القبلتين: يرتبط هذا المسجد برواية تغيير القبلة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حيث صلى الرسول -ﷺ- في هذا المسجد ركعتين تجاه بيت المقدس، ثم توجه الرسول -ﷺ- في الركعتين الأخيرتين إلى البيت الحرام، ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾، فسمي المسجد من أجل ذلك بمسجد القبلتين، وهذا المسجد يقع في الشمال الغربي للمدينة المنورة في رابية على شفير وادي العقيق الصغير، وقد جدده عبر التاريخ الشجاعي علي شاهين الجمالي شيخ الخدام بالحرم النبوي الشريف ٨٩٣هـ، ثم جدده السلطان سليمان القانوني ٩٥٠هـ، كما عنيت به الحكومة السعودية كذلك.

الخياري: تاريخ معالم المدينة، ص١٩١.

(٢) بيرأريس: هذه البئر تنسب إلى رجل من اليهود اسمه أريس، وهو الفلاح بلغة أهل الشام كما في صحيح مسلم، وذكر ابن النجار: أن فقها الذي جلس عليه رسول الله -ﷺ- وصاحباه ثلاثة أذرع، وهي تحت أطم عال خراب من جهة القبلة في أعلاه سكن ولهذه البئر درج إلى أسفل الماء، جددت سنة ٧١٤هـ، وجدد طيبها في عهد الدولة العثمانية، وكان يطلق عليها بئر الخاتم لوقوع خاتم النبي ﷺ فيها. يراجع: ابن النجار: الدرة الثمينة، ص١٠٣، والسمهودي: وفاء الوفاء، حـ٣ ص٩٤٨، والخياري: تاريخ معالم المدينة، ص ص٢٤٥ – ٢٤٨.

(٣) المقصود بتفل النبي ﷺ مضمضة رسول الله ﷺ في البئر وهي مسألة متكررة يراجع بالتفصيل في أكثر من عشرة آبار.

شهاب الدين القليوبي: نبذة لطيفة في مباحث شريفة في تاريخ مكة والمدنية =

أجاجًا[١]، وفيها وقع الخاتم الكريم من يد سيدنا عثمان[٢] -رضي الله عنه- وماؤه يجلب من عين الزرقا[٣] من أسفلها ويستقي منها * جميع أهل المدينة فما أعظم بركتها [١٤]

= والقدمى الشريف، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم

(١) مبالغة من المؤلف وإن كان رسول الله ﷺ بفضل الله وهبه الله أكثر من ذلك.

(٢) عثمان: هو الإمام، أمير المؤمنين، عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أبو عبد الله وأبو عمرو، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، أسلمت، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب، وهو ثالث الخلفاء الراشدين، تولى بعد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وكان أحد المرشحين الستة، كان أصغر من رسول الله ﷺ بست سنوات، أي كان مولده بعد عام الفيل بست سنوات، كان ربعة حسن الوجه، رقيق البشرة، عظيم اللحية بعيد ما بين المنكبين، أسلم على يدي أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- مثل الزبير وطلحة، وزوجه رسول الله ﷺ - كريمتيه رقية وأم كلثوم، ماتت رقية في أيام غزوة بدر فتزوج الثانية، ولقب بذي النورين، وكان أحد المبشرين بالجنة، وتوفي رسول الله ﷺ - وهو عنه راضٍ، وشهد له بالشهادة، جهز نصف جيش العسرة، واشترى بئر رومة، وقال عنه -ﷺ-: ما ضر عثمان ما يفعل بعد ذلك، وكثرت فتوحات الإسلام في أول عهده، وفي السنوات الخمس الأخيرة قامت الفتنة الكبرى في الإسلام من ٣٠ - ٣٥هـ حتى قتل شهيدًا يقرأ القرآن في داره إذ دخل عليه عبد الرحمن ابن باهلة فضربه بمشقص كان معه، ونزل الدم الشريف على القرآن الكريم في أثناء قراءته سورة البقرة عند الآية ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾، وكانت زوجته نائلة بنت الفرافصة حاضرة تدافع، وهو من أكثر الصحابة الذين لاقوا الكثير من الظلم في القديم والحديث لاسيما من المستشرقين. وأذيا لهم ومن الشيعة للمزيد راجع: ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، حـ٢ ص٢٣٨،

(٣) عين الزرقاء: أو عين الأزرق وهو مروان بن الحكم التي أجراها بأمر معاوية -رضي الله عنه- وهو واليه على المدينة وأصلها من قباء معروف من بئر كبيرة غربي مسجد=

وأوسع نفعها ويستشفي بمائها، وهناك عدة آبار دونها، وأعظمها بركة بير زمزم[١] الذي وسطها[٢] الحرم الشريف النبوي المنيف، وسمي بزمزم تشبيهًا له بزمزم[٣] مكة المشرفة في التبرك.

= قباء في حديقة نخل تسمى الجعفرية، وهي تجري إلى المصلى، وعليها من المصلى قبة كبيرة مقسومة نصفين يخرج الماء منها في وجهتين مدرجتين، وجه قبلي ووجه شمالي، وتخرج العين من القبة من جهة المشرق، ثم تأخذ إلى جهة الشمال وأخذ الأمير سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء في حدود ٥٦٠هـ / م، منها شعبة من عند مخرجها من القبة فساقها إلى باب المصلى، ثم أوصلها إلى باب الرحمة التي عند المسجد النبوي الشريف من جهة باب السلام المعروف قديمًا بباب مروان، وكان المقصود أن يخرج الماء إلى جهة الشمال حتى يصل إلى سور المدينة، وتصل إلى بركة الحجاج فيها: عنها.

الخياري: تاريخ معالم المدينة، ص٢٩٢ - ٢٩٣.

(١) هي البئر التي توجد داخل المسجد.

(٢) في الأصل وسطها والتصويب لاستقامة المعنى.

(٣) بير زمزم: هي البئر التي نبعت ماؤها تحت قدمي إسماعيل عليه السلام حينما تركه أبوه إبراهيم الخليل مع أمه هاجر وعاد إلى الشام، وقالت أم إبراهيم لزوجها: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، فلما عطش جعلت تهرول بين الصفا والمروة تبحث عن الماء حتى رأت الطير عند قدمي وليدها، فأتت مسرعة وأتت بعض القبائل استأذنت عليها أن تعيش معها فعاشت معها قبيلة جرهم ودليل ذلك قول الله سبحانه: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ ثم ظهرت هذه البئر حتى حفرها حفيد إسماعيل عليه السلام عبد المطلب جد رسول الله -ﷺ- فحفرها وعاونوه بنوه وبعض قريش، ولا تزال هذه البئر المباركة يحلو ماءها في نفوس المؤمنين، وقال فيها -ﷺ-: «زمزم لما =

[مشاهد المدينة]

ومن المشاهد الشريفة التي يتبرك فيها الجدار الذي انشق له -ﷺ- حين اشتاق إلى رؤية مكة المشرفة حتى رآها حقيقة، كما تبركنا «بمكان» أصابعه الشريفة على حجر[١].

ومن جملة ما زرناه قطعة من الرحى التي كانت تطحن فيها مولاتنا البتول[٢] بنت النبي الرسول -ﷺ- إلى غير ذلك من المشاهد المباركة، ومن المآثر السنية التي قرت بها أعيننا والحمد لله.

وصف المدينة إجمالاً:

وأما صفه المدينة المنورة على سبيل الجملة، فهي واقعة بعرض خمسة وعشرين درجة، وعشرين دقيقة، وعليها سور حصين، وبها أسواق ومتاع لكل ضروري، ومدارس لسكنى المهاجرين[٣]، وكتب محبسة[٤]،

= شرب له». يراجع عنه السُهيلي: الروض الأنف، حـ١ ص١٨٨.

(١) روايات كثيرة حول هذا الموضوع، في المصدر السابق.

(٢) المعني بها فاطمة بنت محمد ﷺ.

(٣) مدارس لسكنى المهاجرين: ليس المقصود المدارس بالتحديد، وإنما بعض الأربطة الملحقة بالمدارس، وكانت لسكن الطلاب، وكانت منتشرة في المدينة المنورة ومكة وسائر الأقاليم، لكنها كانت أكثر انتشارًا في المدينة المنورة، وكان ينبغي أن يذكر الوافدين أو المجاورين؛ إذ كما قال -ﷺ-: «لا هجرة بعد الفتح».

(٤) كتب محبسة: يقصد كتب موقوفة فالوقف والحبس بمعنى واحد، ومعناه حبس عين على ملك الله سبحانه وتعالى بنية مخصوصة، وانتشرت في مكة والمدينة وسائر أقاليم العالم الإسلامي مسألة الوقف بمعناه الواسع، وانتشرت أيضًا على الكتب فكان في المسجد النبوي الشريف مكتبة أو خزانة الكتب الموقوفة، وكانت تسهم بدور =

وأخلاق أهلها طيبة لينة، وأما خدام المسجد(١)

= كبير في الحياة العلمية، غير أنها تحفظ وتمنع من أيادي الناس من طلاب العلم وأساتذته إبان موسم الحج خوفًا عليها من السرقة.

عن ذلك يراجع: د/ محمد علي فهيم: دور مصر في الحياة العلمية، ص

(١) خدام المسجد: ونحاول التوسع قدر الإمكان في الإشارة إليهم فهم فئة من الناس يقومون بخدمة الحرمين الشريفين، ويكون عادة من الخصيان، وأول من استخدمهم في المسجد المكي والمسجد النبوي صلاح الدين الأيوبي في أيام ولايته، ومن قبل ذلك كان أمراء مكة المكرمة والمدينة المنورة وولاتهما، ومن جاور من الحجاج يقومون بالخدمة في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، وهم المسئولون عن النظافة فيهما حتى تولى صلاح الدين الأيوبي أمر بلاد الحجاز ٥٦٨هـ/١١٧٢م، فأرسل فتياتًا من الأحابيش والصقالبة، وكساهم بملابس بيضاء وعلّق عليهم شارات خاصة بهم، وهو أول من أرسى ذلك التقليد، ويرى البتانوني أن أول من رتبهم للخدمة بالحرمين (نور الدين الشهيد) والاختلافات حول هذا الأمر كبيرة، والأغوات ليسوا مماليك لأحد بل هم أحرار قد اعتقوا من قبل أوليائهم ولهم مرتبات شهرية تصرف من خزينة الدولة من مصر والشام ولهم إدارة خاصة ورئيسهم منهم، وهو أكبرهم وقد جرت العادة أن يكون الرئيس عليهم أقدمهم خدمة، ولهم بيت مال خاص بهم وخدمتهم تنظيف المطاف، وحجر إسماعيل ومقام إبراهيم عليهما السلام والفرش الحجري المحيط بمدار المطاف، ولهم وظائف أخرى مثل وضع الشماعدين على باب الكعبة من الغروب إلى بعد صلاة العشاء ومن طلوع الفجر إلى الإسفار، وكانوا يسكنون في مكة في حارة خاصة بهم هي حارة الأغوات هذا في مكة، أما في المدينة فلهم حارة أيضًا غير أنهم يسكنون في معظم الوقت في مؤخرة المسجد، وعدد الأغوات يختلف من زمن إلى آخر، وأما مناصبهم فتبدأ من النفر، وتتم بعدة مراحل هي بعد النفر المذكور شيخ المفتاح، ومراقب الأغوات، وضابط، والبطالون، والبوابون، والخبزية، وأصحاب بيت المال، والنقيب، وشيخ الطائفة، ويشترط فيمن يتولى الوظيفة: أن يكون من حفظة كتاب الله، لذلك فإنهم=

وسوقته[١] فتيان من الأحابيش[٢] وغيرهم، وهم على هيئة حسنة وصور نظيفة ظريفة وكبير يعرف بالأغا[٣]، ولهم مرتبات على حسب مراتبهم، هذا غاية ما

= لهم مكانة اجتماعية متميزة في مكة والمدينة لدرجة أن رئيس الأغوات كان يحضر مجلس المدينة إلى جانب الشريف، وشيخ الحرم، والمفتي، والقاضي، ولقد أوقفت عليهم أوقاف كبيرة في عهد صلاح الدين الأيوبي، ونور الدين محمود الشهيد، والأشرف برسباي، وبشير أغا؛ فضلاً عن الرواتب الضخمة التي كانوا يحصلون عليها عبر التاريخ للمزيد:

النابلسي: الرحلة، ص٣٤٤، وابن بطوطة: تحفة النظار، ص٨٩، وإبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، جـ١ ص٢٦٠، والبتانوني: الرحلة، ص٣١٥، حسين باسلامة: ص٣٦٣ - ٣٦٤، وبيرتون: جـ٢ ص٨٤، وحسين أمين: نظرة بعض الرحالة المسلمين وبعض الرحالة الفرنسيين عند زيارتهم لمنطقة الحجاز، جـ٢ ص١٣٩٤، وعلي مبارك: الخطط، جـ٦ ص ص١١٤ - ١١٦، وأحمد يس الخياري: تاريخ معالم المدينة قديمًا وحديثًا، ص٣٦٨.

(١) سوقته: المقصود بهم الذين يكنسون المسجد ويفرشونه وقد خصصت الإدارة لهم مبالغ مقابل ما يقومون بأعمال وكانوا يشاركون الأغوات. يراجع: دار الوثائق: سجلات الروزنامة. دفتر جدة ١٢٦٥هـ.

(٢) الأحابيش: أي من الحبشة وليس المقصود الحبشة بالتحديد وإنما المقصود أنهم من السود فهم من الأغوات السود.

(٣) الأغا: هو الطواشي وكان يجلب من الأقطار النائية، وكانوا في الأصل من السود ثم أضيف إليهم البيض، ودخلوا في سلك الأغوات، وكانوا في الأساس لخدم حريم السلطان، ثم تطور الأمر، ودخلوا في شتى ميادين الحياة في العصر العثماني، وكانوا أساس دار السعادة العظمى وفروعها في أقاليم الدولة ولاسيما في الحرمين الشريفين، ويطلق الأغا على السيد والكريم والفاضل والمكرم إلى غير تلك الألفاظ التبجيلية، ينظر:

استطعنا رؤيته لضيق الوقت عن طول الإقامة وسواء أراد تحقيق ذلك واستقاء ما هنالك فعليه بخلاصة الوفا[١] في أخبار دار المصطفى للشيخ * السمهودي[٢] -[١٥] رحمه الله-.

[في وداع المدينة إلى مكة]

ثم لما أردنا الرحيل من المدينة المشرفة إلى مكة المعظمة زادها الله تعظيمًا وتشريفًا دخلنا الحرم الشريف فوقفنا بباب[٣]

= دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س٣ م٣٥ ص١٧، وأحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، ص١٧.

(١) خلاصة الوفاء: يقصد المؤلف كتاب السمهودي وله غيره هو وفاء الوفاء وهو في ثلاثة مجلدات، وهو من المصنفات الجامعة في تاريخ المدينة، تحدث فيه عن المسجد النبوي وسائر الأماكن والطرف والأضرحة والأحداث الشهيرة مما يعد معه هذا الكتاب من أبرز المصنفات في هذا الميدان، يراجع السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، حـ١ ص ص .

(٢) السمهودي: هو الإمام الشيخ نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد الحسني أبو الحسن الشافعي السمهودي، ولد في سمهود من قرى محافظة قنا من صعيد مصر سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م، ونشأ في مدينة القاهرة، واستوطن الحجاز سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م، وسكن المدينة المنورة له مؤلفات منها: «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى»، و«خلاصة الوفاء»، و«جواهر العقدين» و«الفتاوى» وتوفي في سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م.

يراجع في ذلك: السخاوي: الضوء اللامع، حـ٥ ص٢٤٥، والعيدروس: النور السافر، ص٥٨.

(٣) أبواب الحرم: أطلق الناس اسمًا على كل باب من أبواب الحرم، وحول الحرم الشريف الذي هو كالقلعة الضخمة تسع وثلاثون بابًا في أربع جهات، ولكن في=

= بعض الأماكن يوجد ثلاثة أبواب في نفس المكان وسنبين كل الأبواب الموجودة: أولاً: الحرم الشريف يقع على زوايا أربع على الجانب الشرقي أربعة أبواب أولهم باب السلام، وهو عبارة عن ثلاث أبواب متجاورة، الثاني: باب شيبة، وهم النسب الطاهر الذي لا يزال معهم مفتاح البيت الشريف، وهو عبارة عن ثلاثة أبواب، كما يوجد بابان آخران على الجهة الشرقية: أحدهما هو باب النبي ومكانه كان بيت الرسول المصطفى ﷺ، وبالقرب منه يقع باب الجنائز، وهو عبارة عن بابين متجاورين، وله أحزمة غاية في الصنعة والإتقان، أما الباب الثالث فباب العباس، وكان مكانه بيت العباس -رضي الله عنه- وقد ضم إلى الحرم وأقيم مكانه بابًا، وهو باب مضيء ولطيف، والأبواب الثلاثة مشرقة، وأما الباب الرابع فهو باب علي كما يسميه الأهالي، أيضًا باب بني هاشم، وبه تتم أبواب الجهة الشرقية، وفي الجهة الجنوبية تقع سبعة أبواب أولهم يسمونه باب الأسواق، الثاني باب الصفا ويسمى أيضًا باب بني مخزوم، ولما كان الصفا يبدأ من عنده سموه به، والباب الرابع باب جناد وهو عبارة عن بابين متجاورين وباب المجاهدية هو الباب الخامس في الجهة الجنوبية، أما الباب السادس فهو باب العجلان وهو عبارة عن بابين متجاورين أولهما باب أم هانئ هو غاية الغاية في الدقة والصنعة، وكلا البابين متجاورين، وعلى الجهة الغربية ثلاثة أبواب، أولهما: باب إبراهيم، أما الثاني فيسمونه باب العمرة وهو باب صغير وغير مرتفع أما الثالث فهو الباب العتيق، وهو باب غير مرتفع يميل إلى الغرب، والباب الرابع وهو الكبير هو (باب زياد)، وهو عبارة عن ثلاثة أبواب متجاورة، أما الباب الخامس فهو باب الدريبة وهو بالقرب من منارة باب السلام، وهكذا هذه هي أبواب الحرم الشريف على جوانبه الأربعة وبالحساب جملتها تسع وثلاثون بابًا، ومهما كانت المسافة التي بين كل باب وآخر، وعلى كل باب من الأبواب وفوق عتبته العليا نقشت بعض الآيات الكريمة وتواريخ وأسماء وأصحاب الخيرات الذين أقاموها أو رمموها ينظر للتفصيل: أوليا جلبي: الرحلة: ص ص٢٠٣ – ٢٠٤.

السلام[١] مسلّمين، وصلينا ركعتين بالروضة الكريمة بين القبر الشريف والمنبر الكريم المنيف، وأدينا حق السلام على سيد الأولين والآخرين، وشفيع العصاة والمذنبين النبي الهاشمي سيدنا محمد -ﷺ- وشرف وكرم وحق السلام على ضجيعيه وصاحبيه أبي بكر الصديق[٢] وأبي حفص عمر الفاروق[٣] - رضي الله

---

(١) باب السلام: هو أحد أبواب المسجد النبي الشريف بالمدينة المنورة، وهو بجوار باب الرحمة، يفصل بينهما خوخة تعرف بخوخة أبي بكر ﷺ - يراجع: إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، حـ١ ص٤٧٨.

(٢) أبو بكر الصديق: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التميمي أبو بكر بن قحافة، خليفة رسول الله -ﷺ- أمه أم الخير سلمى بنت صخر ابن عامر ابنة عم أبيه، ولد بعد رسول الله -ﷺ- بعامين ونصف صحب النبي إلى الإيمان قبل البعثة، وكان ثاني اثنين في الغار، وفي كافة المشاهد إلى أن قبض ﷺ، وصلى بالمسلمين في مرض النبي -ﷺ- كذلك واستقر خليفة في الأرض بعده، وكان سببًا في إسلام المبشرين بالجنة بعده على رأسهم عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وغيرهم، وله أولاد منهم محمد وعائشة، وعبد الله، وغيرهم؛ كان نحيفًا، أبيض، خفيف العارضين، معروق الوجه، ناتئ الجبهة، يخضب بالحناء، حارب المرتدين، وقام بالفتوحات الإسلامية بعد رسول الله -ﷺ- وتوفي ﷺ سنة ١٣هـ. يراجع في ذلك:
ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، طبعة أولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، ٨ أجزاء حـ٤ ص١٧٠.

(٣) عمر الفاروق: هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - ﷺ- بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب، ويكنى أبا حفص، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وهي أخت أبي جهل، فأبو جهل خال عمر، أسلم حينما ذهب لاغتيال النبي -ﷺ- عند زوج أخته، وصار شديد الحب للرسول -ﷺ- وصاحبه من إسلامه حتى وفاته، وشهد المشاهد =

عنهما - داعين أن لا يجعل ذلك آخر عهد بيننا وبينه، وأن يجعلنا ممن قبلت زيارته، وكتبت في سبيل الله سفرته، والحالة أن أعيننا تفيض دمعًا أسفًا على فراق الحبيب الأعظم المعظم، أماتنا الله على محبته واتباع سنته وحشرنا في زمرته وجماعته مع المحبين فيه والمحبوبين لديه والمقبولين، وانصرفنا مغمورين بهذه النعمة العظيمة مستبشرين بهذه المنة الكبرى حامدين الله تعالى على البلوغ إلى محامد رسوله الشريفة، ومشاهده العظيمة المنيفة، فخرجنا من المدينة المنورة، وكانت إقامتنا فيها عدة أيام وذلك صحبة قافلة عظيمة على طريق العشارية(١) صبيحة يوم الاثنين وقرب العصر نزلنا بذي الحليفة الذي هو
ميقات النبي -ﷺ- فاغتسلت * وركعت ركعتي الإحرام، ولبست ثيابي لعذر [١٦]
عاقني عن لبس ثياب الإحرام.

= كلها، وتولى الخلافة في ١٣هـ، وأول من لقب أمير المؤمنين، واتسعت الفتوحات في عهده ففتحت الشام، والعراق، ومصر، والقدس، واتسعت بلاد الإسلام، وكان أول من دون الدواوين في الإسلام، وأول من عمل بالتاريخ الهجري، ويعد المؤسس الحقيقي لدولة الإسلام بعد رسول الله -ﷺ- وكان من الملهمين في الإسلام، وأول من سأل رسول الله -ﷺ- الأذان، والحجاب، وغير ذلك من الأمور الجديرة بهذا العظيم من عظماء الإسلام، وتوفي مقتولاً شهيدًا -رضي الله عنه- أثناء الصلاة حينما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي - لعنه الله - وتوفي بعد ثلاث بعد أن قال: الحمد لله الذي لم يجعل قتلي على يد من سجد لله سجدة.

يراجع عبد الرحمن ابن أحمد البكري: من حياة الخليفة عمر بن الخطاب، مكتبة الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، ص ص٣ - ٨، ٣٦٤.

(١) طريق العشارية: هو إحدى الطرق الثلاثة بين مكة والمدينة المنورة، يسمى طريق العشارية، يمر بعدة مراحل ومنازل للمزيد يراجع:

وأبديت على ذلك، ثم نويت الإحرام بالحج الفرض إفرادًا، كما هو المستحب، وشرعت في التلبية، وفي صبيحة يوم الثلاثاء ارتحلنا مضيًا، وسرنا يومنا كله، وعند الساعة الواحدة ونصف من الليل نزلنا بموضع يقال له: ثنية[١] أخليسي[٢] واقعة على واد كبير النخيل، وفي صبيحة يوم الأربعاء بعد الشروق، وارتحلنا وسرنا اليوم كله، وعند الساعة الثانية من الليل نزلنا بموضع يسمى بير أبي الحصاني، وفي صبيحة يوم الخميس سرنا اليوم كله، وعند الساعة العاشرة من الليل نزلنا بمحطة بير الشيخ، وفي صبيحة يوم الجمعة ارتحلنا منها وعند الساعة الثانية من الليل نزلنا بقرية مستورة، ووجدنا فيها البطيخ[٣] والدلاء، وفي صبيحة يوم السبت بعد الشروق ارتحلنا منها، وعند الساعة الواحدة من الليل

---

(١) ثنية: الثنية من ثنايا الجبل جاءت في الشعر:

تلوّى الثنايا بأحقيها حواشيه   لي اعلاء بأبواب التفاريج

وأيضًا:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني

والتثني من كل شي هو ما يثني بعضه على بعض أطباقًا كل واحد يثني حتى قيل: إثناء الحية إذا تثنت، يراجع:

الفراهيدي (الخليل بن أحمد ١٧٥هـ): العين، جـ٣ ص٢٥٤، جـ٦ ص١٨١، جـ٨ ص٢٤٣.

(٢) أخليس: هي خليص هي قرية بها حصن بين مكة والمدينة، قريبة من مكة بها نخل، وبركة كبيرة يرتادها الحاج، وبينها وبين عسفان عقبة كبيرة يسميها الورثيلاني الثنية يراجع: ياقوت: معجم البلدان، جـ٢ ص٣٨٧، وابن عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ١ ص٤٧٩، والورثيلاني: الرحلة الحجازية، ص ص٣٦١ – ٣٨١.

(٣) البطيخ: يسمي في الحرمين الحجب.

نزلنا بمحطة رابغ[١] وتسوقنا العرب من الكثير الحلو كما هي عادة العرب في سائر المحطات والطرقات، فإنهم يتعرضون للحجاج بالتمر واللبن وغير ذلك للبيع، وفي الساعة العاشرة فصار يوم الأحد ارتحلنا منها ومشينا بقية اليوم مع الليل كله، وعند طلوع فجر يوم الاثنين نزلنا بمحطة فاطمة[٢] وبعد الساعة العاشرة ارتحلنا منها، وبعد العشاء أتى الله بريح عاصفة لم نر مثلها * قط حتى [١٧ا] كان يخيل لنا من فوقه السفد[٣]، فصعد به الريح إلى الجو ولولا الألطاف الخافية

---

(١) رابغ: قرية صغيرة بينها وبين البحر مسافة بسيطة وفيها قلعة للحراسة، وبها مخازن تحفظ بها أقوات ركب الحج وذخائره، وفيها صهاريج عذبة ويزرع في أرضها بعض الحبوب والخضر والطريق إليها سهل، وفيها جبال بها حشائش ترعاها الإبل، وهو في أخصب أودية الحجاز وهي بين البزواء والحدقة، وقيل: بين الأبواء والجحفة وهي الميقات المصري، يراجع: ياقوت: معجم البلدان، جـ١ ص٢١٤، وابن عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ٢ ص٥٩٢، والنابلسي: الحقيقة والمجاز، ص٣١٩، والورثيلاني: نزهة الأنظار، ص٣٥٧، ٣٥٨ - ٣٧٧، وعلي مبارك: الخطط، جـ٩ ص٧٤ - ٧٥.

(٢) فاطمة: موضع من الطريق السلطاني أول محطة منه، ويجري فيه ماء عذب يأتي من السيول التي تنزل من جبال الطائف، وبه مزارع كثيرة ويسكن فيه عرب الأشراف من ذوي حسين وذوي غالب ويسكن في المنطقة التي بينه وبين مكة إلى بحيرة بنولحيان.

يراجع: الكردي: التاريخ القويم، جـ٢ ص٣١٠.

(٣) السفد: من لفظ سفد وتسفيرها سفادًا، ولغة تسفَدَها سَفَدًا والسفافيد جمع السفود، ومنه أتى فلان فرسه فتسفده إذا جاء من خلفه فوثب عليه، ومنه سفدت اللحم تسفيدًا شويته ونظمته في سفود، ويعني به هنا شدة الرياح وأثرها على القافلة.

يراجع: الخليل بن أحمد: العين، جـ٢ ص٥٨،

لهلكنا، ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾(١) ولا يزال ينقص شيئًا فشيئًا إلى أن نزلنا بقرية عسفان(٢) بعد طلوع فجر يوم الثلاثاء فوجدناها محصبة(٣) كأنها...(٤) وتسميها العرب بير التفلة التي بصق فيها رسول الله -ﷺ- فصار ماؤها عذبًا فراتًا على الخلاف في ذلك(٥)، وقد شربت منها والحمد لله، وقبل الزوال قفلنا(٦) منها، وعند طلوع فجر يوم الأربعاء نزلنا بوادي فاطمة(٧)، وعند الساعة التاسعة ارتحلنا منها ونحر قلبي وقد رأيت من الراحة والعافية في هاته [المنزلة] المباركة ما قضينا منه العجب والحمد لله.

[الوصول إلى مكة]

ولما قربنا مكة المشرفة طلعت سحابة عظيمة ونزل علينا مطر غزير ولا

---

(١) سوية يوسف آية (١٠٠).

(٢) عُسفان: بضم أوله وسكون ثانيه ثم فاء وآخره نون، قيل: متهلة من مناهل الطريق بين الحجفة ومكة، وقيل: عسفان بين المسجد وهي من مكة على مرحلتين، وهي قرية على ست وثلاثين ميلاً من مكة وهي حد تهامة. يراجع: ياقوت: معجم البلدان، حـ١ ص٧٩، ٩٠، ١٩٨، حـ٢ ص١٠٦، وابن عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع: حـ٢ ص٩٤٠.

(٣) محصبة: أي مليئة بالحصباء.

(٤) نقص من النسخة.

(٥) راجع شهاب الدين القليوبي: حد الحجاز ومعالمه، ورقة. ١

(٦) قفلنا: رجعنا.

(٧) وادي فاطمة: هو واد قريب من مكة المشرفة فيها الكثير من النخيل، وأشجار السنط، وسوق، وجامع، ويزرع أرضها بعض أصناف الحبوب وبعض الخضر، ويكون يوم الإقامة عظيمًا تحضر فيه طائفة من أهل مكة بالهدايا والتبرك بهم - يراجع: علي مبارك: الخطط، حـ٩ ص٧٦.

يزال يصب علينا إلى أن دخلنا مكة المعظمة، ولما دنت لنا بيوتها تركنا التلبية، وبعد صلاة العصر من يومنا هذا دخلنا مكة شرفها الله تعالى من باب المعلى[١] أحد أبوابها الثلاث، ولما وقع بصرنا على البيت المعظم[٢]، صرنا ندعو لما نرجو قبوله مع استحضار الخشوع والتذلل والخضوع مما هو المستحب، وتلقانا المطوف الفاضل سيدي محمد حفيد الشيخ دحلان[٣] الشهير، وكان نزولنا تلك الليلة بداره حتى تيسر لنا محل النزول، ولما حلت النافلة بعد صلاة * المغرب [١٨]
قصدنا المسجد[٤] فرحين مسرورين ودخلنا البيت الحرام من باب بني شيبة[٥]

---

(١) باب المُعلى: هو الباب المواجه لمقبرة المعلاة، وهو أحد أبواب المسجد الحرام في الجهة الشرقية للمسجد.

(٢) البيت المعظم: يقصد الكعبة المشرفة والمسجد الحرام.

(٣) الشيخ دحلان: المعنيّ به السيد أحمد بن السيد زيني دحلان المفتي، ورئيس العلماء وشيخ الخطباء الشافعي المكي توفي بالمدينة المنورة في محرم ١٣٠٤هـ، وألف مصنفات منها: «أسنى المطالب في نجاة أبي طالب»، و«تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية»، و«تنبيه الغافلين مختصر منهاج العابدين»، و«حاشية على متن السمرقندية» في الآداب، و«خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتمام»، و«الدرر السنية في الرد على الوهابية»، و«السيرة النبوية والآثار المحمدية» في مجلدين، و«شرح الأجرومية» فتح الجواد المنان شرح العقيدة المسماه بفيض الرحمن وغير ذلك من المصنفات. يراجع: البغدادي: هدية العارفين، حـ١ ص١٠٣.

(٤) يقصد المسجد الحرام.

(٥) باب بني شيبة: هو الباب الذي كان بنو شيبة يدخلون منه، وقد دخل منه ﷺ يوم في مشكلة الحجر الأسود حينما تقاتلت عليه قريش قبل أن يبعث يوم حرقه الكعبة، وهو الباب الذي قتل عنده عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه-، وهو الذي دخل منه =

الذي دخله كان آمنًا وشاهدنا الكعبة الشريفة - زادها الله تشريفًا وتعظيمًا فسبحان من خصها بالتشريف والتكريم، وجعل بها المهابة والتعظيم، ثم شرعنا في طواف القدوم، واستلمنا الحجر الأسود(١) وقبلناه، وكبرنا كما هي السنة، وجعلنا البيت عن يسارنا كما هو الواجب، ودعونا الله في طوافنا بما نرجو قبوله، وكنا في الطواف، فخرج فَدَانُنا كله ناصية الرواق وهو من البيت وأرملنا في الأشواط الثلاثة كما هي، وبعد الفراغ منه صلينا ركعتي الطواف خلف مقام سيدي إبراهيم(٢) - عليه السلام -

---

= رسول الله -ﷺ- يوم حجة الوداع، ومن هنا يرى الفقهاء، ومنهم ابن كثير استحباب دخول الحاج المعتمر من هذا الباب اقتداء برسول الله -ﷺ-.
ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٢ ص٣٠٠، وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٣ ص٤٧.

(١) الحجر الأسود: يقال له الركن باعتبار أنه موضوع في الركن الأهم من البيت الحرام، وهو الركن الذي يبتدئ الطواف منه، وهو الركن الشرقي وارتفاعه من أرض المطاف متر واحد ونصف المتر ليتمكن كل إنسان من تقبيله ولونه أبيض ما عدا ما يظهر منه، فإنه مسود من أثر الحريق الذي وقع في الكعبة في عهد قريش، وابن الزبير - هكذا يقول الكردي -، وهو محاط بطوق من الفضة الخالصة السميكة، وطوله نحو ذراع داخل في بنيان الكعبة، وقد سرقه القرمطي، وكسره بدبوس كان معه، ثم جمع في صندوق من المعدن النفيس، والحجر في الأصل كان الحجر الذي وقف عليه إبراهيم حين كان يرفع القواعد من البيت عندما قال لولده إسماعيل عليهما السلام أبغني حجرًا فأتى به، وهناك روايات: أن الحجر الأسود من الجنة. يراجع الكردي: التاريخ القويم، جـ٣ ص٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) مقام إبراهيم عليه السلام: هو الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم عليه السلام حينما كان يرفع القواعد من البيت مع ولده إسماعيل، ولقد باركه الله سبحانه=

بالكافرون[١] والإخلاص ثم تعلقنا بأستار الكعبة[٢]، وهو ما بين

= وتعالى فقال: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ وعنده أذن إبراهيم في الناس بالحج، وكان المقام ملصقًا بالبيت، فأخره عمر بن الخطاب إلى مكانه المعروف به اليوم، يراجع: ابن كثير: البداية والنهاية، حـ١ ص١٦٤، حـ٢ ص٢٩٨، ٢٩٩، حـ٧ ص١٩٣، والطبري: حـ١ ص١٦٥، ١٧٠، وابن حبان: اللسيرة، حـ١ ص٤٧٦.

(١) بالكافرون على مقول القول أو الجمل المحكية، والأصوب أن يقال بسورة (الكافرين).

(٢) أستار الكعبة الشريفة: المقصود بها كسوة الكعبة وقطعها، وقد كسيت الكعبة المشرفة في الجاهلية والإسلام، ومع بداية العصر المملوكي اختصت بها مصر فأرسلها الظاهر بيبرس، وذلك في القرن السابع الهجري وظلت تكسى إلا في سنوات قليلة حتى أرصد عليها الملك الصالح إسماعيل إرصادًا من بيت مال المسلمين، ثم أضاف السلطان سليمان القانوني سبع قرى أخرى، وكانت هذه الأستار تصنع في مصر منذ العصر المملوكي، واستمرت خلال العصر العثماني، ثم العصر الذي يليه حتى سنة ١٩٦١م، ثم أصبحت تصنع في مكة في مصنع أجياد، وأما مكونات هذه الكسوة فإن الخارجية تتكون من عدة أجزاء أو ستائر هي ثمانية من الحرير الأسود تعلق كل ستارتين على جهة من جهات الكعبة فتربطان من الأعلى بواسطة عرى وأزرة، وتثبتان من أسفل في حلقات مثبتة بالشاذوران، وكلما وضعت ستارة تثبت في التي بجوارها بواسطة هذه الأزرة حتى إذا انتهت كلها وصارت كأنها ثوب واحد، وبالإضافة إلى الستائر الثمانية توجد أحزمة توضع على الستائر لمزيد التثبيت، وزودت بالنقوش، والزخارف الملونة الجميلة، وطعمت بعضها بالذهب والفضة؛ بالإضافة إلى كردشيات أربع، طولها ستة أذرع، وستارة باب الكعبة، وكانت تتكون من أربع قطع من الحرير الأسود فكانت هذه هي أجزاء كسوة الكعبة المشرفة الخارجية، وأما الكسوة الداخلية فقد كسيت من العباسيين=

الملتزم[١]، والحجر الأسود، ودعونا الله لما نرجو قبوله حيث الدعاء فيه مستجاب ثم بالغنا في شرب ماء بير زمزم[٢] ورجونا ونوينا ما رجونا من الله أن يعطينا

= واليمنيين والمماليك ثم العثمانيين الأتراك، حيث قرر السلطان سليمان القانوني أن تكسى الكعبة من الداخل من وقفه كل خمس عشرة سنة مرة واحدة، ويضاف إلى ذلك ملحقات الكسوة، وهي كيس المفتاح، وكسوة الحجرة النبوية المطهرة، وكسوة مقام إبراهيم، وحجر إسماعيل؛ فضلاً عن بعض الأضرحة التي كانت إليها بعض الستائر، والبسط للمزيد يراجع: ابن حجر: اللمحة اللطيفة، ورقة ١٣، وقطب الدين الحنفي: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، مطبوع على حاشية كتاب الزيني دحلان (خلاصة الكلام بأخبار البلد الحرام)، مطبعة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ص١٧٠ – ١٧٢، والفاس: شفاء الغرام، حـ١ ص١٢١، وابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ص١٠٩ – ١١٠، وحسين باسلامة: تاريخ الكعبة المشرفة، ص ص٢٦٥ – ٢٦٦، وإبراهيم رفعت: الرحلة، حـ١ ص٣٠٩، وبيرتون: الرحلة، حـ٢ ص٧٧، ود/ الدقن: كسوة الكعبة، ص ص٢٣ – .

(١) الملتزم: هو المكان الكائن بين الركن الذي فيه الحجر الأسود وبين باب الكعبة، وكان النبي ﷺ يلزمه وجهه وصدره بالملتزم، كما يروي عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وفيه قال رسول الله ﷺ: «ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم إلا استجيب له». يراجع: ابن كثير: البداية والنهاية، حـ٥ ص٢٠٧، والسيرة، حـ٤ ص٤٠٨، والقاضي عياض: الشفا، ص٧٦.

(٢) قضية الشرب من ماء زمزم: قضية شرب ماء زمزم قضية تتعلق بالمسلمين فكثيرًا ما شرب الرحالة الأجانب ولا يستسيغون طعمه هذا من ناحية، وأما ناحية المسلمين فقد قال ﷺ: «زمزم لما شرب له»، وهو حديث فيه ضعف، وعن ابن ماجه والحاكم عن ابن عباس أنه قال لرجل: إذا شربت من ماء زمزم فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله وتنفس ثلاثًا وتضلع فإذا فرغت فاحمد الله فإن رسول الله – ﷺ – قال: إن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتضلعون من ماء زمزم، ولعل هذا =

«وهو لما شرب له»[١]، ولكل امرئ ما نوى»[٢] وقبة زمزم[٣] تقابل الحجر الأسعد[٤] بخطوات، ثم خرجنا من باب الصفا[٥] كما هو المستحب بنية السعي بين الصفا[٦]

= ما يدفع المسلمين إلى استعذابها بخلاف سواهم. يراجع: ابن كثير: البداية والنهاية، حـ١ ص٣٣٣، وابن قتيبة: عيون الأثر، حـ١ ص١٠٣.

(١) حديث فيه ضعف كما سبق في الحاشية السابقة.

(٢) الحديث بتمامه: قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» البخاري: الجامع الصحيح جـ١ ص ٧٧.

(٣) قبة زمزم: هي مظلة تغطي البئر هدمها القرمطي الخبيث، وأمر بقلع الكعبة ونزع كسوتها عنها واقتسمها بين أصحابه، كما اقتلع الميزاب، وغيره في عملية تعد من أعمال التخريب، وسرق الحجر الأسود، وهدمت مرة أخرى في عهد السلفيين لما استولوا على الحرم المكي في عهد عبد العزيز بن سعود الوهابي حينما دخل من غير حرب؛ لاعتقاده أنها من البدع فهدمها، وهدم ما حول الكعبة من الأبنية بعد أن عقد مجلسًا بالحرم وباحث العلماء على ما عليه الناس من البدع والمحرمات المخالفة للقرآن والسنة. يراجع: البداية والنهاية: حـ١١ ص١٦٠، حـ١٣ ص٣٤٣، والجبرتي: عجائب الآثار، حـ٢ ص٥٨٥.

(٤) الحجر الأسعد: هو الحجر الأسود.

(٥) باب الصفا: أحد أبواب المسجد الحرام ويسمى باب بني مخزوم، وسمي بباب الصفا؛ لأنه يقع في الناحية الجنوبية للمسجد الحرام تجاه جبل الصفا والذي كانت تقع عليه دار الأرقم بن أبي الأرقم -رضي الله عنه- لذا سمي بباب الصفا. يراجع: أوليا جلبي: الرحلة، ص٢٠٤.

(٦) الصفا: هو جبل الصفا وهو موضع ذكره الله سبحانه في كتابه: «إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما»، وجبل=

والمروة[١] الذي هو من أركان الحج، ثم صعدنا إلى أعلا الصفا وهو سنة مع القصر * والتهليل، ثم نزلنا منها ومشينا إلى المروة ونسرع في المشي بين [١٩] العلمين الأخضرين[٢] المعلقين هناك فإذا إلى المروة رقينا عليها، ونفعل كما تقدم

= الصفا يقع أسفل جبل أبي قبيس مما يقابل الركن الحجر الأسود من الكعبة، وهو جبل صلد أملس ومنه يبدأ المسعى، ويذكر إبراهيم رفعت: والصفا شبيه بالمصلى مرتفع عن الأرض يصعد إليه بأربع درجات وفي جنوبي هذا المكان أي وراءه أربع درجات أخرى صاعدة أقيم عليها ثلاثة عقود في صف واحد من الشرق إلى الغرب ويعد هذه الدرجات الخلفية أصل جبل أبي قبيس.

يراجع: الكردي: التاريخ القويم، حـ٥ ص١٣٥، وإبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، حـ ص

(١) المروة: موضع في الشمال الشرقي للمسجد الحرام، وهي منتهى المسعى من أصل جبل قعيقعان، يصعد إليها بخمس درجات فقط بعدها مسطبة طولها أربعة أمتار في عرض مترين بعدها مسطبة أخرى عرضها متر واحد ملاصقة لجدار المروة، ومن دون الدرجات الخمس عقد شاهق، والشارع الذي بين الصفا والمروة هو المسعى – يراجع: الكردي: التاريخ القويم، حـ٥ ص١٣٥.

(٢) العلمان الأخضران: هذان العلمان وصف للعلامة على طلب الهرولة بينهما في السعي ذهابًا وإيابًا فأحدهما كان تحت منارة (باب علي) من أبواب المسجد الحرام لاصقًا بجداره من الخارج من جهة المسعى، وثانيهما كان متصلاً بدار العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنهما– وتسمى برباط العباس، ويطلق الفقهاء على الميل الذي تحت منارة باب علي (الميل الأخضر المعلق) ورفع إلى أعلى وعلّق للحفاظ عليه من السيول وغيرها، وهما موجودان من زمن الأزرقي، ولقد هدم الأول سنة ١٣٧٥هـ.

وهدم العلم الثاني في السنة التالية سنة ١٣٧٦هـ، بسبب توسعة المسجد الحرام، وهما علامة للترميل بين الصفا والمروة. =

في الصفا حرفًا حرفًا، ولما فرغنا من السعي، وأدينا ما استطعنا في ذلك كله نزلنا بدار بجوار سوق الشامية[(١)]، ثم عدنا إلى التلبية، وسرنا نطوف بالبيت بعد ذلك ليلاً وقبل الفجر، كذلك الطواف بالنهار كالمتعذر من شدة الحر، وقد استهل علينا شهر ذي الحجة بمكة المشرفة ونحمده جل وعلا الذي شرفنا بالوفادة على البيت الكريم، وجعلنا ممن بلغته دعوة سيدنا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – ومتع عيوننا بمشاهدة الكعبة الشريفة والمسجد العظيم والحجر الكريم، ثم إذا كان اليوم السابع من ذي الحجة، ويسمى يوم الزينة يأتي الناس إلى المسجد الحرام وقت صلاة الظهر، ويوضع المنبر ملاصقًا للبيت عن يمين الداخل، فيصلي الإمام الظهر، ثم يخطب خطبة واحدة بليغة، ولا يجلس في موضعها ويفتتحها بالتلبية يتعلم الناس فيها مناسكهم كما هو المستحب، ثم في ذلك اليوم الثامن وهو يوم التروية تهيأنا للخروج لمنى[(٢)]، وقدمت أصحابي إلى عربة بعد صلاة الجمعة

= الكردي: التاريخ القويم، جـ٥ ص١٣٠ – ١٣١.

(١) سوق الشامية: واحدة من أبرز أسواق مكة المكرمة، ومكانها مقابل باب السلام الذي كان يعرف قبل ذلك بباب بني شيبة، ويبدأ الشارع بسوق الجدرية ثم أسواق الكتب، والرسوم، والكحل، والمكاحيل، حتى نصل إلى سوق الشامية، وهي سوق كبيرة، جدًا بها حوانيت واسعة جميلة تباع فيها الثياب الفاخرة والمنسوجات الرفيعة المجلوبة من مصر، والشام، والهند، والعطور الحرة؛ والجاوي الأصلي، وسبحات اليسر، والمرجان، وغيرها ويوجد بسوق الشامية قسم خاص بالمصنوعات المعدنية الهندية التي فيها ما يبهر العقول.

يراجع: أحمد الهواري: دليل الحج والسياحة، طنجة، ١٩٣٤م، ص١٣٨.

(٢) منى: بالكسر وبنون في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي به في الحجاز، حدّه من مهبط العقبة إلى محسر، وعليه أعلام منصوبة، وهي في داخل الحرم، وفيه أبنية ومنازل تسكن أيام الموسم فتصير كالبلدة، وتخلو بقية أيام السنة إلا ممن=

ليهيئوا لنا موضعًا بعرفة[١] قريبًا من الإمام وأعطيتهم علامة ينصبونها على رأس القبة * تمييزًا عن غيرها وبعد صلاة المغرب من اليوم الثامن ركبنا الحمير [٢٠] وخرجنا لمنى، ونحر قلبي حتى وصلنا إليها بعد ساعة ونصف، ونزلنا هناك بدار اكتريتها باثنين وعشرين أبرم، وهو بتقريب نصف ريال، ثم ارتحلنا منها في الساعة العاشرة من الليل، وأن المستحب هو المبيت، ولكن في هذا الزمان يتعذر ذلك من وجوه، بل كثير من سنن الحج أميتت ولله الأمر من قبل ومن بعد، ثم سرنا حتى وصلنا في الساعة الثانية عشرة من الليل إلى المزدلفة[٢]، ومنها إلى

= يحفظها فتصير كالقرية، ومسجدها مسجد الخيف، ولأهل كل أفق مكان ينزلون فيه بمنى، بينها وبين مكة فرسخ، وعندها الجمرة التي تسمى جمرة العقبة، يراجع: ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ٣ ص١٣١٢ - ١٣١٣.

(١) عرفة: عرفة وعرفات جبل واحد وهو الموقف في الحج، وحدُّه من الجبل المشرف على بطن عرفة، والجبل المقابل إلى ما يلي الحوائط وهو لبني عامر. يراجع: ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ٢ ص٩٣.

(٢) المزدلفة: بالضم ثم السكون ودال مفتوحة مهملة ولام مكسورة وفاء، واختلف فيها لم سميت بذلك، فقيل: مزدلفة منقولة من الازدلاف، وهو الاجتماع، وفي التنزيل: «وأزلفنا ثم الآخرين»، وقيل: الازدلاف الاقتراب؛ لأنها مقربة من الله، وقيل: لازدلاف الناس في منى بعد الإفاضة، وقيل: لاجتماع الناس بها، وقيل: لازدلاف آدم وحواء بها أي اجتماعهما، وقيل: لنزول الناس في زلف الليل بها، ومزدلفة مبيت الحاج ومجمع الصلاة إذا صدروا من عرفات، وهو مكان بين بطن محسر والمأزمين، والمزدلفة المشعر الحرام، ومصلى الإمام يصلي فيه المغرب والعشاء والصبح، وقيل: لأن الناس يدفعون منها زلفة واحدة أي جميعًا.
ينظر: ياقوت: معجم البلدان، جـ٥ ص١٢٠.

مسجد نمرة[١]، ومنه إليها[٢] فبتنا بالخيمة بعرفات، وذلك عند الإسفار وبعد الزوال، فخطب الإمام خطبتين يفتتحهما بالتكبير والتهليل، ويجلس بينهما يعلم الناس فيهما ما يفعلونه في بقية مناسكهم إلى انفكاك الإحرام ثم يصلي بالناس الظهر والعصر جمعًا وقصرًا ولكل صلاة أذان وإقامة، ثم تهيئأنا للوقوف بعرفة الذي هو الركن الثالث منتظرين للإمام والناس إلى موقف عرفة، وكان الموقف يوم السبت، وعرفات كلها موقف إلى انتهاء علامات من بناء بحدودها حيث يقف الإمام أفضل، والوقوف أفضل من الجلوس إلا لعذر، والواجب هو الحضور، ولم تكن مضطجعًا ويشهد الإنسان في الدعاء، ويؤمن على دعاء الإمام من كان يسمع، ونرغب إلى الله ونبتهل إليه ونتضرع في القبول وغفران الذنوب والموت على الإيمان والإسلام، ونسأل الله ما نشاء ونعظم المسألة، ووقوف الإمام بعرفة

---

(١) مسجد نمرة: من المعروف أن نمرة موضع معروف بقرب عرفة خارج الحرم بين طرف الحرم وطرف عرفات، ومسجد نمرة يقال له: مسجد نمرة ومسجد عُرَنَة بضم العين وفتح الراء، ومسجد إبراهيم نسبة إلى إبراهيم الخليل وهو ما اختلف المؤرخون فيه فقال ذلك الرافعي والنووي، بينما أنكر ذلك عز الدين ابن جماعة، ويرجح طاهر الكردي الرأي الأول لأسباب – يراها من وجهة نظره – منها: أن نفس الموقف الذي وقفه رسول الله -ﷺ- هو نفس موقف إبراهيم عليه السلام، وقد عُمّر هذا المسجد عدة مرات أهمها عمارة السلطان قايتباي، ثم في العهد السعودي. يراجع: الكردي: التاريخ القويم، حـ٥ ص ص٣٣٨ – ٣٤٢.

(٢) يقصد نمرة وهي بالفتح ثم الكسر (أُنثى) نَمِر ناحية بعرفة كانت منزل النبي -ﷺ- في حجة الوداع، وقيل: نمرة هو الجبل الذي عليه أنصاب الحرم عن اليمين عند الخروج من المأزمين تجاه الموقف.

ينظر: ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الاضلاع، حـ٣ ص١٣٩٠.

عند العصر إنما هو للدعاء لا للخطبة؛ لأنها تقدمت عند الزوال بمسجد نمرة كما مر، كلما قام الإمام: الأدعية بالتلبية إلا ويجيب الناس بالتلبية، ومن يكون بعيرًا عنه أشار له بتقريب، ثم بعد هنيهة من الغروب بنحو نصف ساعة أفاض والناس من عرفة بعد ما أدينا ما نسأل الله قبوله، وكان موقفًا تقشعر منه الجلود من خشية الله؛ لالتجاء عباده إليه حسبما أمرهم به، وكانت تموج بالخلائق ضارعين لباريهم جل وعلا، فمن حاد يحدو، ومن داعٍ يدعو تقبل الله من الجميع، ثم سرنا في ازدحام؛ لكثرة الآدمين ونحن نذكر الله، ومررنا بين المأزمين(١) في الجبلين حتى وصلنا بعد العشاء للمزدلفة، فصلينا بها المغرب والعشاء جمع تأخير مع القصر، ولكل صلاة أذان وإقامة وأحيينا ليلتنا بعدها، ثم صلينا الصبح بها والتقطنا سبع حصيات منها لرمي جمرة العقبة، وذلك من المستحبات وكل حصاة كالفولة، ثم وقفنا بالمشعر الحرام للدعاء مستقبلين جهة الكعبة المشرفة(٢)، والمشعر الحرام عن يسارنا، ولما وصلنا لبطن محسر(٣) وهو واد النار أسرعنا في المشي له دفعنا إلى منى، فوصلنا إليها بعد ساعتين، ورمينا بأصبعين جمرة العقبة بمجرد وصولنا * بسبع حصيات من أسفلها كما هو المستحب، ولم تقف عندها للدعاء [٢٢]

(١) المأزمان: هما مأزما مِنى بفتح أوله وإسكان ثانية وكسر الزاي المعجمة، وهما معروفان بين عرفة والمزدلفة وكل طريق بين جبلين يسمى مأزمًا، وقيل: المأزم المضيق في الجبل تلتقي الجبال ويتسع ما وراءها وقدامها وهو من الأزم. يراجع: البكري: معجم ما استعجم، حـ٤ ص١١٧٣.

(٢) أي كانوا مستقبلين للقبلة.

(٣) مُحَسِّر: بضم أوله وفتح ثانية بعده سين مهملة مشددة مكسورة، ثم راء مهملة واد بجمع وهي مزدلفة قال ابن أبي ربيعة:

بحيث التقى جمع ووادي محسر معالمة كادت على العهد تخلق

يراجع: البكري: معجم ما استعجم، حـ٤ ص١١٩٠.

وكبرنا عند كل حصاة، ثم دخلنا إلى موضع نزولنا بمعنى، وحططنا الرحال واسترحنا، ثم وجهت لمكة المشرفة ذلك قبل الزوال؛ لأنه الأفضل وذبحته هناك وتصدقت به على الفقراء والمساكين أما ما يذبح كما هو المستحب بمنى فلا ينتفع بلحمه بل تُلقى تلك الذبائح كلها في حفرة مملوءة بالجير وعلى كل حال فالحجاج في منى لا ضحية عليهم، ثم بعد يوم النحر حلقت رأسي، وإن كان الأفضل قبل الزوال ولكن تعذر ذلك الأمر، ثم توجهت إلى مكة المعظمة وطفنا بالبيت طواف الإفاضة الذي هو الركن الرابع في ثوب إحرامي، وصلينا ركعتي الطواف وفككت الإحرام وحللنا كل شيء والحمد لله(١).

ثم رجعنا إلى منى كما هو الأفضل التقطنا إحدى وعشرين حصاة، ثم ذهبت على رجلي والحالة أني كنت منحرف المزاج لرمي الجمار فبدأنا بالجمرة الأولى، وهي التي تلي مسجد منى فرميناها بسبع حصيات ونكبر الله عند كل حصاة مع استقبالنا مكة المشرفة، ثم وقفنا للدعاء نحو نصف ساعة، ثم أتينا الجمرة الوسطى وهي التي في السوق فرميناها بسبع حصيات أيضًا، ثم تقدمنا أمامها ذات الشمال، وهي عن يميننا فوقفنا للدعاء كذلك، ثم أتينا جمرة العقبة فرميناها
بسبع * حصيات كذلك إذ الترتيب بين الجمرات واجب، ثم رجعنا إلى موضع [٢٣]
نزولنا، وبتنا ثاني ليلة النحر، وأصبحنا بها ولما رحل الزوال رمينا الجمار الثلاث على الهيئة السابقة حرفًا حرفًا، ثم صلينا العصر قصرًا، وتوجهنا إلى مكة المشرفة يوم الثلاثاء ثالث العيد، فوصلنا إليه قبل الغروب، ثم صلينا الجمعة

---

(١) من الواضح أن كافة المناسك كان يؤديها الغسال على مذهب الإمام مالك وقد ذكر ذلك صراحة في عنوان كتابه.

بالمسجد الحرام، واجتهد الخطيب في الدعاء للحجاج وحضهم على الرجوع لا المبيت، وبعد صلاة المغرب من هذا اليوم نزعت ثيابي المخيطة، ولبست ثياب الإحرام، وتهيأت للعمرة، وركب المطوف على حمار، وركبت على فرس الشيخ الفاضل سيدي الحبيب اليماني(١)، وخرجت من باب العمرة(٢) أحد الأبواب الثلاثة، وتوجهنا لمسجد عائشة(٣) – رضي الله عنها – بالتنعيم(٤) وهو موضع بعيد عن

---

(١) لم أعثر على ترجمة له.

(٢) باب العمرة: أحد أبواب المسجد الحرام يقع في الناحية الغربية للمسجد، وهو باب صغير غير مرتفع ويجاوره في ذات الجهة باب إبراهيم والباب العتيق وباب زياد. يراجع: أوليا جلبي: الرحلة، ص٢٠٤.

(٣) مسجد عائشة بالتنعيم: هو مسجد سمي باسم السيدة عائشة – رضي الله عنها– وحوله عدة مساجد أخرى، وقد بني في هذا المكان لأنها أعمرت فيه بأمر رسول الله –ﷺ– وقد أعمرها منه أخوها عبد الرحمن بن أبي بكر، وبين هذا المسجد والتنعيم ميلان تقريبًا .. وكان يسمى مسجد الهليلجة لشجرة كانت هناك قديمًا. يراجع: البكري: معجم ما استعجم، حـ٣ ص٩٥٧، وياقوت: معجم البلدان، حـ٢ ص٤٩، والمغرب في ترتيب المغرب، حـ٢ ص٨٣، والكردي: التاريخ القويم: حـ٥ ص١٥٣.

(٤) التنعيم: بالفتح ثم سكون وكسر العين موضع بين مكة وسرف، وهو مصدر نعَّمه إذا ترفه وبه سمي التنعيم، وهو موضع قريب من مكة، والتركيب دال على اللين والطيب منه نبت وشعر ناعم أي لين وعيش ناعم طيب، وسمي به ناعم أحد حصون خيبر، وهو منزل من منازل حجاج البصرة، بين هذا الموضع وموضع الشجرة ميلان.

مكة فوصلناه بعد العيد، وصلينا هناك بمسجدها، ثم أحرمنا وصلينا ركعتي الإحرام، ونوينا سنة العمرة[١]، وشرعنا في التلبية، ورجعنا إلى مكة المشرفة فلما وصلنا لبيوتها تركنا التلبية، ثم دخلنا المسجد وشرعنا في الطواف وبدأنا استلام الحجر الأسود، ورمّلنا في الأشواط الثلاثة الأولى، ثم صلينا ركعتي الطواف خلف مقام سيدنا إبراهيم – عليه السلام، ثم استلمنا الحجر الكريم ووقفنا بذا الملتزم للدعاء، وشربنا من ماء زمزم، وهو لما شرب له[٢]، ثم سعينا بين الصفا والمروة فأدينا الواجب والسنن كما * جعلنا أولاً في الحج حرفًا حرفًا[٣]، ثم حلقت [٢٤] رأسي وبه وقع التحليل من العمرة، وفي الغد ذهبت للحمام، واغتسلت واستعملت الطيب فيالها من نعمة ولاشك أنه من رزق الله [تعالى]– الحلول بتلك الأرجاء، والمثول بذلك الفنا فقد أنعم الله عليه النعمة الكبرى وحوله في الدارين الدنيا والأخرى جعلنا الله ممن قبلت زيارته وربحت في قصدها تجارته وكتبت في سبيل الله إماراته، ومُحِيَت بالقبول أوزاره بمنه وكرمه. آمين.

يراجع ابن المطرز (أبو الفتح ناصر الدين): المغرب في ترتيب المغرب، تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، الطبعة الأولى، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ١٩٧٩م، جزءان، جـ٢ ص٨٣، ٣١٣، وياقوت: معجم البلدان: جـ٥ ص٤٢٤، ٣٢٤.

(١) يعني أنها العمر الثانية لأنه قد قدم العمرة الأولى الواجبة.

(٢) سبقت الإشارة إلى الحديث وتخريجه.

(٣) يعني التزامه بالمذهب.

[صفة مكة]

وأما صفة مكة المشرفة على سبيل الجملة فهي واقعة في عرض إحدى وعشرين درجة وثلاثين دقيقة وسهولها على ما يراها نحو سبعة وسبعون درجة، وهذه البلدة المعظمة كبيرة متصلة البنيان وتجلب إليها ثمرات كل شيء من أنواع الفواكه والخضر التي لا يماثلها سواها طيبًا وحلاوة ويجلبونها من الطائف(١)، وبها أسواق كثيرة(٢) ومخازن عامرة تباع فيها أصناف السلع وأنواع البضايع الغريبة التي تجلب إليها من ساير الأقطار المعمورة(٣)، وأكثرها سلع الهند، كما أن التجار الذين يتعاطون التجارة أهل الهند(٤) وخارج المدينة فهذه البساتين

---

(١) الطائف: من أماكن الاصطياف في الحجاز هواؤه بارد وهي مدينة كان يسكنها قبيلتا هوازن وثقيف هاجر إليها رسول الله -ﷺ- ثم عاد حزينًا، وهي مدينة مشهورة بالفاكهة والعيون والآبار يحصد أهلها القمح في العام مرتين وتكثر فيها الفاكهة بصورة لافتة، ويقضي أثرياء مكة موسم الصيف في الطائف يتمتعون بهوائها الجميل ومناظرها الخلابة وبساتينها الخضراء وهي مدينة كبيرة تتباعد بيوتها عن بعضها كما يقول صاحب الرحلة الهندية، وتنتشر الأسواق فيها، وبها مسجد عبد الله بن عباس -رضي الله عنه-، ويقال: إن الحصن الذي حاضره النبي -ﷺ- بعد غزوة حنين يقع جنوب مزار بن العباس رضي الله عنهما، وهو مجرد أطلال في مطلع القرن التاسع عشر والطريق إليها من مكة طريق ميسر.

للمزيد يراجع المراد آبادي (مولانا رفيع الدين ١٢٠١هـ): الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ص١٣٨ - ١٤٠.

(٢) ومن هذه الأسواق: السويقة وسوق الليل والمعلاة وغيرها.

(٣) ومن هذه الأقطار: مصر والشام واليمن والهند.

(٤) أي أن التجار الذين يبيعون في هذه الأسواق من الهنود.

لأفراد من الأطراف(١).

[المسجد الحرام]

والمسجد الحرام تسعة عشر بابًا، وسبع منارات(٢) وخدمته، وهم فئة فتيان من الأحابيش وغيرهم، وهم على هيئة حسنة وصور نظاف وملابس ظراف، وكبيرهم يعرف بالأغا، ولهم مرتبات على حسب مراتبهم على * نسق الحرم [٢٥] النبوي الشريف.

[المشاهد في مكة]

ومن المشاهد التي يتبرك بها جبل أبي قبيس(٣) المطل على المسجد الحرام المقابل لركن الحجر الأسود، وبه مسجد صغير، ومن المساجد التي يتبرك بها وأي بركة الدار الشريفة التي كان بها مسقط الرأس الشريف(٤)، كما تبركنا بالحجر الذي علم عليه النبي -ﷺ-، وأما جبانة مكة المشرفة(٥) خارجه باب

---

(١) مثل النخاولة وغيرهم من الذين يسكنون أطرافها.

(٢) المنارات هي المآذن.

(٣) جبل أبي قبيس: جبل موضعه معروف بمكة يقال له: أبي قبيس وأبو قابوس وهو باسم أبي قبيس بالتصغير، وهو مشرف على مكة وجهه إلى قيقعان ومكة بينهما أبو قبيس من شرقيها، وقيقعان غربيها، قيل: سمي باسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس؛ لأنه أول من بنى فيه قبة، قال أبو المنذر هشام: أبو قبيس الجبل الذي بمكة كناه بذلك آدم حين اقتبس من النار التي بأيدي الناس إلى اليوم، وقيل: سمي بأبي قبيس من شامخ وهو رجل من جرهم وقيل: غير ذلك. يراجع البكري: معجم ما استعجم، حـ٣ ص١٠٤٠، وياقوت: معجم البلدان، حـ٢ ص٨١.

(٤) مكان ولادة النبي المصطفى - ﷺ -.

(٥) جبانة مكة: هي المعلاة، وهناك جبانات أخرى.

المعلى[١]، وبها من الجم الغفير من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين، ومن المشاهد العظام المشهورة في هذه الجبانة قبر أم المؤمنين ووزيرة هيبة المرسلين مولاتنا خديجة الكبرى بنت خويلد[٢] أم أولاد النبي -ﷺ- كلهم[٣] عدى

---

(١) باب المعلى: هو الباب المواجه للمعلاة في مواجهة مقابر المسلمين، وكان يسمى باب النبي -ﷺ- كان يخرج منه ويدخل فيه من منزله بزقاق العطارين، وهو منزل خديجة بنت خويلد أم المؤمنين – رضي الله عنها – ويسمى باب الجنائز؛ لأنها كانت تخرج منه، ويقال له أيضًا باب النساء، وباب الحرير حيث يجلس أمامه باعة الحرير في الدكاكين المجاورة. عنه يراجع الكردي: التاريخ القويم، حـ٤ ص٤٢٢.

(٢) خديجة بنت خويلد: السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى زوج النبي -ﷺ- وعمة الزبير بن العوام بن خويلد، وحكيم بن حزام بن خويلد، كان متزوجًا من ابن أبي هالة، وله منه هند وهالة – رضي الله عنهم أجمعين، وبعد وفاة زوجها تزوجت الرسول -ﷺ- بعد أن عاملته في تجارتها وأعجبت بأخلاقه ورد فيها حديث مرفوع عن ابن عباس أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنه عمران، وآسية بنت مزاحم، رواه أحمد والترمذي بإسناد صحيح، قال الحافظ ابن حجر: هذا نص صريح قاطع للنزاع في تفضيل خديجة على عائشة لا يحتمل التأويل، وقال عنها رسول الله -ﷺ- «آوتني حينما طردني، وصدقتني حينما كذبني الناس» توفيت في حياته -ﷺ- فيما سماه المشركون عام الحزن قبل رحلة الإسراء والمعراج، وكان يطلق عليها في الجاهلية الطاهرة، أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم، والأصم جندب بن هرم بن رواحة ابن حجر بن عبد، وكانت رضي الله عنها أم المؤمنين أم أولاد النبي -ﷺ- جميعًا سوى إبراهيم عليه السلام، وتوفيت وعمرها أربع وستون سنة، وتركت أربع بنات من رسول الله ﷺ وولدين – يراجع: ابن حبان: الثقات، حـ١ ص٤٤، وابن عبد البر: الاستيعاب، حـ٢ ص٨٦، وابن حجر: تقريب التهذيب، حـ٢ ص٢٧٠.

(٣) البنات الأربع هن زينب وفاطمة ورقية وأم كلثوم والولدان القاسم وعبد الله ماتا قبل=

سيدنا إبراهيم(١).

[عادات أهل مكة]

وأما أهل مكة المشرفة كلهم ظرف ونظافة في الملابس، وأكثر ملابسهم البياض، ويستعملون الطيب كثيرًا ويكتحلون، ويستعملون السواك بعيدان الأراك(٢)

= الهجرة بمكة وكلهم عدا إبراهيم. يراجع ابن حبان: الثقات، حـ١ ص٤٤، وابن عبد البر: الاستيعاب: حـ٢ ص٨٦، وابن حجر: تقريب التهذيب، حـ٢ ص٢٧٠.

(١) سيدنا إبراهيم: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي العربي ابن رسول الله -ﷺ- وأمه مارية القبطية ووضعته خولة بنت المنذر بن زيد بن أسيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وأما قابلته فهي سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب يقال لها مولاة رسول الله -ﷺ- وهي امرأة أبي رافع مولى رسول الله -ﷺ- وأم بنيه، وكانت قابلة بني فاطمة، ولما مات إبراهيم عليه السلام في مكة في الإسلام نقل ابن عباس عن رسول الله -ﷺ- إن له لمرضعتين في الجنة ولو عاش كان صديقًا نبيًا ولو عاش لأعتقت أخواله من القبط وما استرق قبطي» حديث مرفوع، وكسفت الشمس يوم وفاته فذكر الناس أنها كسفت لوفاته، فقال ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا حياته فإذا رأيتم ذلك فصلُّوا حتى ينكشف ما بكم» ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب، حـ٢ ص٩٢، وابن حجر: لسان الميزان، حـ٣ ص١٤٠.

(٢) عيدان الآراك الأخضر: المقصود به عود يستاك به المسلمون وقد جاء في الشعر قال أعرابي:

فويحك كم ذكرتني اليوم أرضنا ... فلعل حمامي بالحجاز يكون

فوالله لا أنساك ماهبت الصبا ... وما اخضر من عود الآراك فنون

وتدليك الأسنان به سنه، قال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» وفي رواية: «عند كل وضوء»، وعرف الشافعية السواك بأنه: استعمال عود من أراك أو نحوه، وهو عود رطب أي أخضر فمن فعله أتم السنه. يراجع: أبو عبد الله (محمد بن أبي بكر الزرعي): زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة=

الأخضر، وجميع أهل مكة يشربون من عين[1] زبيدة[2]، وإذا كان أول يوم من ذي الحجة تشهر أستار الكعبة الشريفة إلى نحو ارتفاع قامة من جهاتها الأربع، ويجعلون مكان ذاك إزار أبيض، ويسمون ذلك إحرام الكعبة، وتوفر القناديل بمنارات المسجد الحرام، وهو يوم مشهود إشعارًا بالموسم الشريف[3]، كما يكون ليلة الثامن والتاسع أفراح عظيمة بالألعاب النارية كالمحاريق[4]، ومشاعل الضوء على اختلاف ألوانه، وذلك ما بين منى وعرفة * كما يكون صبيحة يوم العيد [٢٦]

= الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ط١٤، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، حـ١ ص١٦٧، وياقوت: معجم البلدان، حـ٤ ص١٢٢.

(١) عين زبيدة: هي بركة ماء أو عين ماء تنسب إلى أم جعفر زبيدة بنت جعفر وتوجد هذه العين في طريق مكة بين المغيثة والعذيب، وكان يطلق عليها عين زبيدة أو الزبيدية. يراجع: معجم البلدان، حـ١ ص٤٠١، حـ٣ ص١٣٢.

(٢) زبيدة: هي أم جعفر زبيدة بنت جعفر المنصور زوجة هارون الرشيد وسمها أمة العزيز أم محمد الأمين جدها كان يرقصها وهي طفلة، ويقول: أنت زبيدة، فاشتهرت فكانت من أهل الخير ومن أهم أعمالها: إجراء عين ماء حنين إلى مكة، وصرفت عليها خزائن أموالها إلى أن جرت إلى مكة، وهي كانت توجد في وادٍ قليل الأمطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات فثقبت أم جعفر الجبال إلى أن سلك الماء من أرض الحل إلى أرض الحرم، وأنفقت على عملها ألف وسبعمائة ألف مثقال من الذهب؛ فلما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأخرجوا دفاترهم لإخراج حساب ما صرفوه ليخرجوا من عهدة ما تسلموه من خزائن الأموال، ثم أمرت بإيصال الماء بعد ذلك إلى عرفات من طريق عين أخري هي عين وادي نعمان. يراجع الكردي: التاريخ القويم، حـ٥ ص ص٣٥٣ – ٣٥٤.

(٣) موسم الحج.

(٤) المحاريق: هي ألعاب العسكر بالبارود وغيره.

موكب عظيم في منى يحضر كل من أمراء الـركبين الشـامي[١] والمصـري[٢]، وكبراء العسكر وساير الأعيان لابسين الملابس الرسمية، واقفين حول الشريف[٣]

---

(١) الركب الشامي: هو قافلة الحج الشامي، وكانت تحمـل محمـلاً فيـه مخصصـات وأوقاف الحرمين الشريفين القادمة من بلاد الشام والدولة العثمانية، وكـان ركـب الحج الشامي عظيمًا جدًا في أبهته واحتفالاته، وكانت القافلة تمر عبر طريق طويل إذ كان فأتى حاملة حجاج بيت الله الحرام من بلاد الشام وكردسـتان وأذربيجـان والقوقاز والقرم والأناضول والبلقان، واهتمت الدول المتعاقبة على بتوفير الأمـن للقوافل فضلاً عن مستلزمات السفر لذا قامت تلك الدول بترميم القلاع الضاربة على الطريق، وكان الركب الشامي في الدولة العثمانية خاضعًا لإمارة الحـج الشـامية والتي كانت تضم إلى أقوى أمراء الشام وأقدرهم على توفير الحماية لقافلة الحـج في ذهابها وإيابها وكان الاستعداد لخروج الركب يبدأ قبل السفر بثلاثة أشهر علـى الأقل، وكان أمير الحج يكلف بمهام في الحجاز للمزيد يراجع: د/ محمـد محمـود السرياني: منازل الحج الشامي في الأردن دراسة في الجغرافيا التاريخيـة، مجلـة الدارة، عدد (١) السنة ١٤٢٥هـ، ص١٣١ – ١٣٣.

(٢) الركب المصري: وهونفس الأمر يصل إلى مكة بأبهة أكبر ويأتي معه الحجاج مـن مصر وغربها حتى أقصى بلاد المغرب. والهدايا والمخصصات وغير ذلك.

(٣) الأشراف: هم ذرية السيدة فاطمة الزهراء ابنه الرسـول الكـريم -ﷺ-، وكـانوا حكامًا على الحجاز كله، فأبناء الحسن في مكة، والحسين في المدينة وفـي ينبـع وبدر وغير ذلك، وفي ظل السيادة العثمانيـة علـى الحجـاز ابتـداءً مـن سـنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م، ظلت البلاد بأيديهم تحت إشراف تركي مصري من جدة والمدينة المنورة.

ينظر: دار الوثائق القومية: سجلات الديوان العالي، س١، م١٨٨ ص٩١، وعمـر أغا (١٠١٠هـ): الاتحاف بنسبة آل الأشراف، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٨٣٤، فقه حنفي، ورقة ١ – ٥، وإسماعيل حقي أوزون: أمراء مكة،=

أمير مكة[١] على حسب مراتبهم تحت رياسة كبير الراكب الشامي، ويخلع على الشريف الخلعة التي ينعم بها عليه السلطان العثماني كل سنة، وهي جبة سوداء مطروزة بالسفلى، وبعد إخراج المدافع يتفرق الموكب، فياله من موقف كريم ومشهد عظيم.

[الرحيل إلى جدة]

ولما قضينا وفرغنا من نسكنا أخذنا الأهبة بالرحيل وعزمنا على الخروج من مكة المشرفة مع القوافل التي تذهب إلى جدة[٢] المحروسة، وكانت إقامتنا

= ص١٣ – ١٦.

(١) أمير مكة: هو المتولي أمر مكة من ذرية رسول الله -ﷺ- من أبناء فاطمة – رضي الله عنها – وكان الشريف يحكم من مكة المكرمة، وله سلطة على شريف المدينة، وكافة أشراف ربع وبدر حنين وينبع وما سواها من بلاد الحجاز، وقد كرّمته الدولة العثمانية فجعلت الحاكم التركي المعروف بشيخ الحرم المكي يحكم من جدة فهو قريب من الجمرك والشونة، والمتحصلات، وكان جزء من دخل مكة المكرمة يصالح الشريف وأسرته، وكانت أسرة الأشراف في مكة من أولاد الحسن من بني بركات، وبني زيد، وبني عبد الله، وكثيرًا ما حدثت صراعات بين بيوتات الأشراف في مكة، خاصة أن الدخول التي كانت تصلهم من مصر، وتركيا، وجمرك جدة، وبلاد أخرى عن ذلك بالتفصيل:

عارف عبد الغني: تاريخ أمراء مكة المكرمة، دار البشائر، سورية، ص٧١٧، وما بعدها. ومحمد فهيم: مخصصات الحرمين الشريفين، ص ص٤٣٩ – ٤٥٤.

(٢) جدة: بضم أول ساحل مكة معروفة سميت بذلك؛ لأنها حاضرة البحر، وأصل الجده الطريق الممتدة، وهي أهم موانئ الحجاز من ينبع، وكانت الميناء الرئيسي الذي ينقل منه إلى مصر في السويس والقصير البضائع وأنواع التجارات، وهو من أهم موانى البحر الأحمر على الإطلاق. يراجع: البكري: معجم ما استعجم، جـ١=

بمكة المعظمة عشرين يومًا كاملة، وكان خروجنا منها عشية يوم الثلاثاء، وكنا طفنا طواف الوداع قبل صلاة العصر، ثم خرجنا من باب الوداع[١] والله أعلم بحالنا من فراق تلك المواطن الشريفة والرحاب المنيفة، وسرنا ليلنا كله إلى أن نزلنا فيها الفجر بقرية تسمى جدة[٢] في صحراء مقفرة، ولها بعض العيون عذبة عليها قبة من النخيل، وبها كثير من القهاوي[٣] من أعواد الحطب والحصور ومعدَّة لمن يريد النزول بها من المارين للاستراحة وشرب القهوة أو الماء، واكتريت واحدة منها وفرش فيها القهوجي[٤] الحصور، وأتى لنا بماء؛ فأكلنا من زادنا وأطعمنا الجمالين والقهواجي [كذا] * واسترحنا بها يوم الأربعاء كله إلى [٢٧]
قرب المغرب؛ فارتحلنا منها ووصلنا إلى جدة صبيحة يوم الخميس بعدما ارتفعت

= ص٣٧١.

(١) باب الوداع: باب في مكة، يقول صاحب أنس الساري والسارب، وإذا خرج الحاج من مكة يستحب له أن يخرج من كدى ولتكن عزيمة وكليته في زيارة النبي -ﷺ- فهي المواجهة لباب الوداع حيث يودع الحاج مكة متجهًا إلى المدينة المنورة زادها الله تشريفًا وتعظيمًا – يراجع: ابن مليح: أنس الساري والشارب: ص٨٩.

(٢) قرية جدة: واد فيه حصن ونخل بين مكة وجدة اسمه الأول حداء ثم تغير إلى جدة، قال أبو جندب الهذلي: «بغيتهم ما بين حداء والحشا» وهي من أرض تهامة في وسط الطريق، وهو موضع نزه طيب. يراجع:
ياقوت: معجم البلدان، حـ٢ ص٢٢٦، ٢٢٩.

(٣) من أبرز المظاهر الاجتماعية وجود القهاوي على طرق مكة بصورة تلفت نظر الرحالة، عن ذلك عبد العزيز دولتشين: الرحلة السرية، ص ص ١٤٤.

(٤) القهوجي: قهوجي باش هو من يكلف بتقديم القهوة للسلطان أي رئيس القهوجية، ومنها تفرعت وظيفة القهوجي حتى صار يطلق على كل من يقدم القهوة: يراجع: حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص١٠٥.

الشمس سالمين آمنين والمسافة بين مكة وجدة مسافة القصر(١)، ويكثر المسير بينهم على الحمير السيارة(٢)، فيصلها في نحو تسع ساعات، ولم أر أسرع مضيًا من حمير الحجارة(٣) لكنها متعبة غاية [التعب]، فلذلك آثرت الركوب على الجمل لما فيه مشيه من الراحة والطمأنينة.

وجدة مدينة كبيرة على ساحل البحر الأحمر، وهي مرسى الحجاز العظيمة للحجاج والتجارة من سائر البلاد وغالب سكانها العرب والهنود ثم المغاربة، ولها أسواق عامرة مقبية(٤) بالخشب، وبها جوامع حسنة والمسجد الكبير(٥) من أجمل مساجدها، وفيها حصون متقنة البناء وقشلات العسكر، وبها ديار جميلة المنظر لبعض تجار المسلمين وغيرهم(٦)، وأغلب طرقها واسعة تنظف وترش بالماء كل يوم، ثم بعد صلاة الجمعة خرجنا راكبين على الحمير لزيارة المحل الذي يقال: أن

---

(١) وهي مسافة: ستة عشر فرسخًا وهو ما يعادل ٨٥ كم تقريبًا.

(٢) الحمير السيارة: من وسائل.

(٣) حمير الحجارة: هي الحمير التي تحمل الحجاج وأمتعتهم مسافة قصيرة بين جدة ومكة المكرمة، وربما سميت بذلك؛ لأنها تسير في طريق حجري بين المدينتين أو أنها كانت للحجارين في هذه الأماكن.

(٤) يشير أيضًا إلى موضوع مهم وهو كثرة المجاورين والتجار من غير الحجازيين. يشرح صورة اجتماعية وهي وجود الأسواق المقببة المسماة بالقيساريات.

(٥) المسجد الكبير: بجدة وهو مسجد كبير مبارك منسوب إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ومنهم من ينسبه إلى هارون الرشيد -رضي الله عنه- يراجع الكردي: التاريخ القويم، حـ٦ ص٣٠٦.

(٦) وجدناه يرصد غير مسلمين من التجار ومسلمين كما رصد مظاهر تنظيف الطرق ورشها بالماء احتفاءًا واحتفالاً بالأماكن المقدسة.

فيه قبر أم البشر حواء[١] في مقبرة خارجة عن البلد، وطول قبرها قريب من ثلاثمائة ذراع، وممن جزم بأن قبرها بجدة ابن خلكان[٢] والله أعلم بصحة ذلك، وكانت إقامتنا فيها عدة أيام.

[من جدة إلى بلاد الشام]

[٢٨] وفي صبيحة يوم الأحد رابع عشر ذي الحجة ركبنا منها * صحبة بابور

---

(١) قبر حواء: اشتهر لدى العامة والخاصة أن قبر حواء أم البشر عليهما السلام في جدة في الجبانة المعروفة والمشهورة، وكانت عليه قبة مشيدة من قديم الزمان واشتهار قبرها لا يستند إلى دليل شرعي قاطع ولا إلى تاريخ صحيح ثابت غير أنه بمرور الزمن رسخ في أذهان الناس، ويقول في ذلك البتنوني: «ولا يبعد أن قبر حواء كان من الهياكل المقدسة في الجاهلية، ومما أثر الشرك في هذه البلاد، ودالت به دولة الوثنية وهدمت هياكلها التي كان من ضمنها بالطبع هذا الهيكل بقي أثره في نفوس القوم برًا بحق الأمومة، وأقاموا له قبة لا ندري متى كان تشييدها لتكون مزارًا للناس».

الكردي: التاريخ القويم، حـ٥ ص٣٣٩ - ٣٤٠، والبتنوني: الرحلة الحجازية، ص١٣

(٢) ابن خلكان: هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الأربلي القاضي شمس الدين أبو العباس الشافعي المعروف بابن حلكان، ولد بإربل سنة ٦٠٨هـ، وتوفي سنة ٦٨١هـ، وصنف وفيات الأعيان في أبناء الزمان في التاريخ والتراجم، مطبوع وغير ذلك وكانت له رحلات عديدة إلى حلب ومصر وسكن مصر والشام، وولي القضاء عشر سنين، ثم عزل بعز الدين الصائغ، وأقام معزولاً بمصر، ثم أعيد إلى قضاء الشام، وكانت وفاته بمدرسة التجيبية بدمشق، ودفن بسفح قاسيون.

يراجع: سركيس: معجم المطبوعات، حـ١ ص٩٨، والبغدادي: هدية العارفين، حـ١ ص٥١.

نمساوي قاصدين بيروت[١] الشام – إن شاء الله تعالى – وركبت معنا خمسمائة من الحجاج، وبعد الزوال من يومنا هذا أطلق البابور، وما أكمل اليوم حتى تغير الهواء وكثرت الرياح واشتد هيجان البحر حتى أشرفنا على الغرق، ولكن الله سلم – إن ربي لطيف لما يشاء، وفي صبيحة يوم الأربعاء وصلنا لجبل الطور[٢] وبمجرد ما أرسينا فيه صعد إلينا طبيب الكرنتينة[٣] للفحص على جملة الحجاج، ثم أخبر بأن نزولنا كان لا يمكن ولا بعد إقامتنا بالبابور سبعة أيام ورجع لحاله، وبقى الحجاج بعضهم فوق بعض في حالة يرثى لها من شدة الضيق، وتجئ إلينا مرة في اليوم فلوكة حاملة مؤنة ردية بثمن غال ولا يشترى الإنسان منها ما يلزم لضروريته التي لا بد منها إلا بعد مشقة عظيمة من كثرة الازدحام والهرج، وبعد سبعة أيام رخصوا لنا في النزول إلى المباخر وركب الحجاج في قوارب وبابور

---

(١) بيروت الشام: تقييدًا لها عن بيروت الغرب وهي فيعول من البرت وهو الرجل الذليل وفي القاموس: البُرت بالضم السكر الطبرزد، والرجل الذليل الماهر، وبيروت بلاد الشمس، وهي عاصمة الدولة اللبنانية حاليًا، وهي مدينة ساحلية تطل على البحر المتوسط، ويوجد بها مدرسة الشيخ عبد الرحمن الأوزاعي، وبها أي بيروت المسلمون والنصارى والمسلمون لاسيما من الشافعية، والنصارى من الكاثوليك وهم الباقون من الحملات الصليبية. يراجع: النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ص٧٧ – ٧٩.

(٢) جبل الطور: هو جبل في مدينة الطور التي تحدثنا عنها قبل نادي الله سبحانه وتعالى عليه موسى عليه السلام وكلمه، وهو جبل كبير مطل على فلسطين، والأردن، وبيت المقدس، وسيناء، ويقع على جبل الطور دير سانت كاترين وتوجد به مكتبة من أكبر المكتبات في العالم. يراجع ياقوت: معجم البلدان، حـ٤ ص١٧.

(٣) الكرنتينة: يلاحظ أنه ذكرها قبل ذلك الكرنتيلة (سبق الحديث عنها في مقدمة التحقيق (القسم الأول)).

صغير يجرها، وبعد النزول أعلن أحد الملاحظين بأن لا نأخذ معنا أمتعتنا إلا الفراش، وبعض الملابس الخفيفة والباقي يترك في البابور حتى يضيع ذلك على أيديهم، وما نزلنا للير إلا بعد محنة عظيمة، ثم إن من دفع من الحجاج نصف ليرة[١] مع كسر لكل واحد أدخل لموضع التبخير، ومن لم يدفع منهم ذلك منع من الدخول إليها فيظل نهاره تحت الشمس المحرقة، وربما أبقوا بذلك * يومين أو [٢٩] ثلاثة حتى ينتهي تبخير الحجاج الذين أدوا الواجب وعندهم شروعهم عند التبخير تنزع ثيابهم بأجمعها في مكينة التبخير، ثم يأمر الطبيب باصطفاء الحجاج ليختبر صحتهم ثم يرش عليهم بمدة كريه الرائحة، ومتى تم تطهيرهم أخرجوا من غير الطريق التي سلكوها أولاً عند دخولهم، فيجدون في محل آخر أمتعتهم ملقاة على الأرض تبخيرها جميعها فمنها ما هو محروق، ومنها ما يقطر ماءً تصعد منه روايح كريهة ولا تسمع إلا صياح الحجاج، فهذا يبكي على حوايجه حرقت له، وهذه تلطم خديها على حليتها ضاع لها، ثم يخرجون من ثمة إلى محجر الكرنطينة محاطين بهم العساكر النظامية، وهذا الموضع كلها رمال بعيدة المسافة يقطعها الحجاج على أرجلهم سواءً أكانوا رجالاً أو أطفالاً أو نساءً في شدة الشمس الرمضاء ولا شفقة ولا رحمة.

[وصف الحجر]

والحجر المذكور مشتمل على صفوف خزاين القرين محاطًا عليها بشباك من السلك كالقفص، وأما ضروريات الأكل والشرب التي تباع هناك بثمن غال تعافها النفوس لولا الضرورة، وفي كل يوم يكشف الطبيب على الحجاج بحيث إذا رأي

---

(١) ليرة: الليرة عملة إنجليزية من الذهب، د/ السيد الدقن: دراسات في تاريخ الدول العثمانية، المطبعة الفنية بمصر، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١١٨.

أحد الحجاج انحرف مزاجه انحرافًا ما فإنه يدخلها * طوعًا أو كرهًا ويذهب به [٣٠] إلى المستشفى ويحول بينه وبين رفقائه ولا تسأل على معاملتهم إياك إذ يقصر العكم عن وصفها، ويذوب الفؤاد من هولها وحين يقرب انتهاء مدة الكرنطينة بنحو ثلاثة أيام يرخص الطبيب للحجاج الحضور على تبخير صناديقهم، فلا تسري جلها إلا مكسورة والحوايج التي كانت فيها ممزقة تلعب فيها ويغطيها الغبار، ولما رأيت هذا الفساد الفادح فلم يسعني إذ ذاك إلا أني بذلت عليها دراهم من طرف خفي للملاحظين الذين يتفقدون الصناديق أو تشكل بالأخف الضررين، وبسبب ذلك سلمت حوائجي من الآفات والحمد لله، هذا بعض ما يقاسيه الحجاج في محجر الطور[١]، وقد ذكرته على سبيل الجملة وإلا فلا يسعني مطوله وإلى الله ترجع الأمور، وكانت إقامتنا على هذه الحالة التي تتقطر منه القلوب عشرين يومًا ما بين البر والبحر غفر الله للجميع فيها الذنوب آمين.

[مغادرة الطور (من الطور إلى بيروت)]

وفي صبيحة يوم الثلاثاء رجعنا للبابور عند الزوال أطلق بنا وفي الغد وصلنا لمرسى السويس وأرسينا فيها بقية اليوم كله مع الليلة، وبعد ظهر يوم الخميس أقلع البابور منها، ودخل الخليج[٢] الموصل بين البحر الأبيض والأحمر

---

(١) محجر الطور: تحدثنا عنه في مقدمة الدراسة.

(٢) قناة السويس: هي قناة مائية ربطت البحرين الأبيض بالأحمر، وهي فكرة قديمة حاولها الأقدمون، وقامت أفكار مشابهة لها مثل قناة سيزوستريس، وقناة أمير المؤمنين، كما فكر فيها العثمانيون، وبدئ في الأفكار الجدية في عهد الفرنسيين، ثم في عهد محمد علي واستغل فردناند دي ليسبس صداقته بسعيد باشا، واستصدر منه حق الامتياز، وتمت في عهد الخديو إسماعيل ١٨٦٩م، وافتتحت في ذات=

الشهير بالترعة العريضة[١]، غير أن بعض جهاتها ضيق كأنه وادٍ من الأودية بحيث لا يجتاز * فيها إلا مركب واحد وجميعها أماكن معدة لوقوف المراكب إذا [٣١] عرضتها مركب أخرى، ولذلك يجعلون علامات على أعمدة مرتفعة في البر يمينًا وشمالاً مرقومًا على رأسنا مقدار عمق كل موضع يحسب ليعمل حصاة المراكب بمغتظها عند دخولهم إليها، وكذلك نصبوا على شاطئيها ديارًا (........)[٢] للتغراء[٣] وعند الغروب أرسينا بالإسماعيلية وبتنا فيها بقية الليل كله، وفي

= التاريخ وأقيم لها احتفال باهر وطولها ١٦٤ كيلو مترًا تقريبًا، وهي تبدأ من بورسعيد في الشمال على البحر المتوسط وتنتهي بالسويس على فم خليج السويس، وإدارتها في الإسماعيلية في وسطها تقريبًا، وهي تعد أهم ممر مائي عالمي صناعي؛ لأنها ربطت بين الشرق والغرب بدلاً من طريق رأس الرجاء الصالح، وكان في مصر بديلاً عن طريق رشيد القاهرة السويس، أو رشيد القاهرة القصير عبر النيل.

للمزيد يراجع: الرافعي: عصر إسماعيل، دار المعارف، القاهرة، جـ١ ص ، جـ٢ ص .

(١) الترعة العريضة: هي قناة السويس ويقول عنها المختار الولاتي بالطرعة وهو في العامية المغربية وقد أخذتها الباخرة من بورسعيد إلى (الطرعة) قناة السويس في مرحلة واحدة فأقام يومًا واحدًا في بورسعيد (بورة السعيد) ثم دخل الطرعة، وصار يسير فيها هونًا ويرسي عند العصر، ويبيت حتى أرسى في حرس السويس بعد ليلتين. الحافظ المختار الولاتي (ت١٣٣٠هـ/١٩١٢م): الرحلة الحجازية، تخريج وتعليق د/ محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، د. ت، ص١٦٧.

(٢) نقص من الأصل.

(٣) التغراء: التغراء والطغراء مصطلح يطلق على توقيع السلاطين العثمانيين، وهي من التركية «توغرول» وهي بمعنى الصقر الذي يبسط جناحيه، وهذا التوقيع يشبه في رسمه هذا الصقر وبذلك دخل في العربية والفارسية والتركية، وكان يوقع به=

صبيحة يوم الجمعة أقلعنا منها، ومنذ خروجنا من سويس والبواخر العظماء تمر علينا حتى أنه كان يخيل إلينا أنا راكبون في قوارب قرب (كـذا)[١]، والحالـة أن سير البابور بهذين اليومين كان بطيئًا جدًا[٢]، احترازًا من الغرز[٣] في الرمل مع كثرة الآلات البخارية الرافعة للرمل إلى أن وصلنا لمرسى (بورت[٤] سعيد[٥]) عند

= على أنه توقيع للسلطان علـى الفرمانـات والبـراءات والقـوانين والمسـكوكات والقرارات الرسمية، وكانت هذه موشحة بالطغراء الغراء، والطغـراء السـلطانية للسلطان، وهي في التركية طغرا، وفي الفارسية نشـان، وفـي العربيـة توقيـع، واشتهر توقيع كل مسئول بعد ذلك بالطغراء، وهو ما يشير إليه المؤلف.

يراجع: حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ص٨٤ – ٨٥.

(١) إما أنه يقصد أنها قوارب صغيرة، أو كالقرب.

(٢) كان المؤلف دقيقًا جدًا في مشاهداته حتى لكأنه يذكر البطء الذي كـان يسـير بـه البابور، وعلل ذلك بأن كثرة الآلات البخارية هي التي كانت قد توقع بالبابور فـي الرمال.

(٣) الغرز: هذه المسألة لا تزال قائمة حتى اليوم في قناة السويس.

(٤) بورت: لفظ بريطاني بمعنى ميناء.

(٥) بورت سعيد: هي مركز محافظة القنال، أنشئت سنة ١٨٥٩م في الموضـع الـذي اختاره المهندس دي ليسبس حين ابتدأ في حفر قناة السويس، وفي سـنة ١٨٦١م أصبحت قرية، عدد سكانها ألفا نسمة، ثم عمرت بالسكان لوجودهـا عنـد مـدخل القناه، حتى بلغ سكانها عند افتتاح هذه القناة في سنة ١٨٦٩ عشرة آلاف نفـس، وفي سنة ١٨٨١م بلغ عدد سكانها ١٧ ألف نسمة ولما وصلت إليها المياه العذبة من ترعة الإسماعيلية سنة ١٨٩٥م تقدمت تقـدمًا عظيمًـا حتـى أصـبحت نـدًا للإسكندرية، وزاد عدد سكانها حتى بلغ سنة ١٩٠٣م ١٤٢ ألف نسمة، وخططـت المدنية تخطيطًا حديثًا، وأصبحت الممر الرئيسي لتجارة العالم بين الشرق والغرب، وتنقسم إداريًا كما يذكر رمزي قبل سنة ١٩٤٥م إلى قسم أول وقسم ثان، وقسم=

الساعة الثانية من يومنا هذا، ووقفنا بها نحو الساعتين، ولم ينزل إليها من الحجاج أحد بتمجيد من الحكومة المصرية[١] ومنظرهاته المرسى من جهة البحر جميل فائق الغاية.

[الوصول إلى بيروت]

ثم قفلنا منها إلى أن وصلنا إلى مرسى بيروت الشام عشية يوم السبت، وباب البابور راسيًا بها، وفي صبيحة يوم الأحد نزلنا بمحجر الكرنطينة[٢]، وأقمنا تحت ملاحظة قانونها[٣] خمسة أيام في أرغد عيش كأننا نزهة والحمد لله.

[٣٢] وشتان ما بين محجر الطور[٤] من وجوه، وفي عشية * يوم الخميس انقضى حكمها ودخلنا البلد سالمين والحمد لله بعد أن تلقانا أرباب محمل الكرنطينة الفقيه العلامة الشريف البركة سيدي الحاج محمد بن أبي طالب، وأحلني وأكرمني ورحب بي وأضافني إلى بيته فأحسن الضيافة والقِرَى إلى أن ساقها من ثمه، فجزاه الله على الاعتناء خيرًا، وكذلك أحباءه[٥] من أهل تلك البلدة؛ فإنهم بالغوا في ضيافتنا، وأظهروا غاية الترحيب والاعتناء بنا، وما

= ثالث، والمناخ، والمنيا.

يراجع: رمزي: القاموس الجغرافي، ق٢ حـ١ ص٦.

(١) أي بأوامر الحكومة المصرية.

(٢) محجر الكرنطينة بيروت: سبق التعريف بها في مقدمة التحقيق.

(٣) المقصود بها: تعليمات أوامر ضابط وكبار رجال الحجر الصحي.

(٤) محجر الطور: سبق التعريف بها في مقدمة التحقيق.

(٥) الصواب: أحباؤه.

قصروا في الإكرام والبرور، بل سروا بمقدمنا غاية السرور، وكل أحد منهم استدعاني لمنزله البهي، وأكثروا من الطعام الطيب الشهي، فجزاهم الله عنا أحسن الجزاء، وممن لقيته من علمائها، وفقهائها وأيمتها وقدوتها، وتبركت به، ودعاني بما نرجو قبوله العالم العلامة النبيه الفهامة المحدث الحافظ الحجة الذائع الصيت المتقن المتفنن القدوة الناظم الناثر، أصيل المسائل، المجتهد في تحصيل ما تصدى له من التآليف الكثيرة، والتقاليد المفيدة، فريد عصره، وأسيوطي زمانه[(١)]، المتفق على جلالته ومكانته، المتقدم في السيادة والسياسة الدينية والدنيوية؛ الشيخ يوسف بن إسماعيل البنهاتي أفندي[(٢)] رئيس محكمة الحقوق

---

(١) أسيوطي زمانه: إشارة إلى كثرة علمه فشبه الإمام السيوطي وهو جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين بن محمد سابق الدين بن فخر الدين عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر الخضيري السيوطي المصري، مولده سنة ٨٠٩هـ/ م وتوفي في التاسع من جمادى الأولى لسنة ٩١١هـ/ م وله مؤلفات تزيد على الأربعمائة، من أشهرها: «السعادة في أسباب الشهادة»، و«الابتهاج في مشكل المنهاج»، و«إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء»، و«الإتقان في علوم القرآن»، و«إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة»، و«الأحاديث المنيفة في السلطنة الشريفة»، و«المزهر في علوم اللغة»، وغير ذلك كثير. يراجع: البغدادي: هدية العارفين، حـ١ ص٢٧٨.

(٢) يوسف بن إسماعيل النبهاني: يوسف بن إسماعيل النبهاني، كان رئيسًا لمحكمة الحقوق في بيروت، وترك مؤلفات مهمة منها: «إتحاف السلم بإتحاف الترهيب والترغيب من البخاري ومسلم»، و«أحاديث الأربعين في وجوب طاعة أمير المؤمنين»، و«الأحاديث الأربعين في أمثال أفصح العالمين»، و«أحسن الوسائل في نظم النبي الكامل ضمن مجموعة»، و«إرشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى»، و«الأساليب البديعة»، و«الاستغاثة الكبرى بأسماء الله=

البيروتية[١]، متع الله به الأنام، ونفع بعلومه الخاص والعام، ومنهم الفقيه [النبيه الإمام العلامة المحدث] الأفضل * العربي الواعظ الأجل المذكر الناصح الأنبل، بيت [٣٣] العلم والجلالة، ومتبوع الفخر والأصالة والأخلاق السنية، والأحوال الصالحات المرضية المن الناسل[٢] البركة، مفتي السادات الحنفية[٣] الشيخ عبد الباسط

= الحسنى»، و«الأسمى فيما لسيدنا محمد من الأسما»، و«أفضل الصلوات على سيد الصلوات»، و«جامع كرامات الأولياء»، و«ترجيح دين الإسلام»، و«تهذيب النفوس في ترتيب الدروس» و«هو مختصر رياض الصالحين»، و«جامع الصلوات وأسباب التأليف»، و«جواهر البحار في فضائل النبي المختار»، و«حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين»، و«حزب الاستغاثات بسيد السادات»، وله مؤلفات أخرى كثيرها ذكر سركيس في معجمه. للمزيد: سليم سركيس: معجم المطبوعات، جـ٢ ص١٨٣٨ – ١٨٤٢.

(١) محكمة الحقوق البيروتية: لا يُعرف متى أنشئت، وهل المقصود بها المحكمة الشرعية وهو الأقرب للصواب، أما أنها محكمة أسست حديثًا لتواكب تطبيق القوانين المدنية التي ظهرت بعد خروج العثمانيين بنظامهم القضائي من بلاد الشام – المحقق.

(٢) يقصد به كثير النسل.

(٣) مفتى السادات الحنفية: إشارة إلى نظام الإفتاء في الدولة العثمانية، والتي كانت تجعل الإفتاء على المذاهب الأربعة (الحنفي – المالكي – الشافعي – الحنبلي)، وهذا النظام متبع منذ عهد العثمانيين في مصر والشام والحجاز سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م حيث طبق هذا النظام من سنة ٩٢٧هـ/١٥٢١م في عهد السلطان سليمان القانوني، وظل هذا النظام معمولاً به حتى نهاية سيطرة العثمانيين على البلاد العربية.

يراجع: د/ عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، جـ١ ص

الفاخور[١] – حفظه الله بمنه، وأدام النفع بطول حياته. آمين.

ومنهم نزيل غزة[٢] المدينة المباركة، العالم الناسك الورع البركة المتجرد للطريقة الصوفية، الآخذ بزمام الشريعة النبوية المحي بأقواله وأفعاله آثار السنة المصطفوية[٣] المسند الشريف سيدي محمد مرتضى بن أبي طالب الحسني

---

(١) الشيخ عبد الباسط: هو الشيخ عبد الباسط بن علي الفاخوري من أسرة الفاخورية البيروتية المعروفة، مولده سنة ١٢٤٨هـ. مفتي بيروت، تولى هذا المنصب في أواخر القرن التاسع عشر قبل المفتي مصطفى نجا، كان متقشفًا زاهدًا، له مؤلفات كثيرة منها: «الكفاية لذوي العناية في الفقه»، و«تحفة الأنام في مختصر تاريخ الإسلام» المطبوع في سنة ١٩٤٢م، وقد أعيد طبعة مرة ثانية، ونبذه يسيرة من أقواله ﷺ، والأربعينيات في الحديث والفتاوى، وكانت وفاته سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م.

يراجع للمزيد: البغدادي: إيضاح المكنون، حـ١ ص٥٤١، وهدية العارفين: حـ١ ص٢٨٥، والزركلي: الأعلام، حـ٣ ص٢٧١.

(٢) غَزّة: بفتح أوله وتشديد ثانية بعده هاء التأنيث موضع بديار جذام من مشارق الشام، وبغزة مات هاشم بن عبد مناف من أرض فلسطين على أطراف الشام، وهي الحد الفاصل بين الشام وديار مصر، وبين غزة ودمشق ثمانية ٣ أيام، دفن فيها هاشم بن عبد مناف فنسبت إليه، وبينها وبين رفح أيام، وفتحت على يد معاوية ابن أبي سفيان على عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنهم أجمعين –، وقد بشر بفتح غزة رسول الله –ﷺ– مع عسقلان فقال: أبشركم بالعروسين غزة وعسقلان، وغزة أحد إقليمي فلسطين الخاضعة للحكم الذاتي حاليًا في مطلع القرن الحادي والعشرين الميلادي – يراجع في ذلك: البكري: معجم ما استعجم، حـ٣ ص٩٩٧، وياقوت: معجم البلدان، حـ٤ ص١٢٢.

(٣) يقصد كبير رجال الصوفية العلماء في عصره.

الجزائري[١] حفظه الله بمنه، ومتع المسلمين بطول بقائه آمين.

ومنهم ابن عمه المتقدم الذكر آنفًا العلامة المشار إليه والباع الأقوت في الفكرة الصائبة الوقادة في النوازل، والفتوى، والمورد الروى والمُجلس الفصيح البهي المتواضع الكريم الأخلاق الناسك، حافظ مذهب إمامنا مالك[٢]، الشريف العفيف ذو القدر المنيف، أبو عبد الله سيدي الحاج محمد بن أبي طالب الجزائري[٣]، أيد الله به الانتفاع وزاده من التفوق والارتفاع، ومنهم الفقيه الشاعر المغلف النبيل رافع راية الأدب على كامل التحصيل، صاحب القلم البارع في الإنصات والإشهاد والترسيل المشهور بالنبهة على الإجمال والتفصيل * فرزدق[٤] وقته مصطفى [٣٤]

---

(١) محمد بن مرتضى بن أبي طالب الحسني الجزائري: لم نعثر له على تعريف. المحقق.

(٢) مالك: هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري المدني، عالم المدينة وإمامها، أحد المجتهدين الأربعة (أبو حنيفة – مالك – الشافعي – أحمد بن حنبل)، وكان يطلق عليه إمام دار الهجرة من كبار العلماء المسلمين، كان مذهبه مبنيًا على الآثار، بعيدًا عن الرأي، وكان يقول: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نور يضعه الله في القلب له مؤلفات منها: المدونة والموطأ، أخذ عنه الشافعي، وكان يقول – أي الشافعي – عنه: «إذا ذكر العلماء فمالك النجم، وإذا جاء الحديث عنه فاشدد يديك به»، رويت عنه الروايات الكثيرة، وانتشر مذهبه في بلاد الأندلس والمغرب العربي، وبعض مصر والجزيرة لاسيما المدينة المنورة فهو إمامها، كانت وفاته سنة ١٧٩هـ / م، ولديه من العمر تسعون عامًا ودفن بالمدينة المنورة في البقيع، وتوفي في عهد الرشيد. يراجع: القنوجي: أبجد العلو: جـ٣ ص١٢٢.

(٣) لم أعثر له على ترجمة، ويبدو أنه هو محمد بن مرتضى السابق ذكره. المحقق.

(٤) فرزدق: يشبه الشيخ الغسال الشيخ الجزائري بالفرزدق في الأدب وأما الفرزدق فهو أبو فراس همام بفتح الهاء وتشديدها بن غالب بن ناجية بن عقال بن محمد=

نجا[١] أفندي، وممن لقيته من ذو[٢] الهيئات والوجاهة والمكانة والحظوة والأخلاق المرضية المتربي في المذاهب السامية الرسمية[٣]، سعادة عبد القادر قباني[٤] أفندي، صاحب جريدة: ثمرة

= بن سفيان التميمي المعروف بالفرزدق الشاعر، كان أبوه يسكن الكوفة، والفرزدق دار البلاد، وتوفي بالبصرة سنة ١١١هـ، كانت ولادته سنة ٣٨هـ، له ديوان شعر وقصائد الغراء في الرثاء والفخر والهجو والمديح، مشهور كان علويًا، واشتهر بهجائه لجرير الأموي، كتب عنه الشيعي عبد العزيز بن يحيى الجلودي ت٣٣٢هـ أخبار الفرزدق، وكذلك علي المدائني ت٢٢٥هـ، ألف «أخبار الفرزدق»، وابن حبيب البغدادي محمد بن حبيب بن أمين بن عمرو ت٢٤٥هـ، و«نقائض جرير والفرزدق»، وكذلك ابن المثنى التميمي ٢٠٣هـ «نقائض جرير والفرزدق»، وغير ذلك، يراجع في ذلك البغدادي: هدية العارفين، حـ١ ص٣٠٦، ٣٥٧، ٤٥٣، ٧١٧.

(١) مصطفى نجا: وهو مصطفى بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن عبد القادر نجا، مفتي بيروت سنة ١٣٧٧هـ، إلى أن توفي، مولده سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م، ترك مصنفات منها «نصيحة الإيمان في التربية والتعليم»، و«كشف الأسرار» (تصوف)، و«أرجوزة في التربية والتعليم»، و«ثلاثة موالد» و«تفسير جزء عم»، و«إرشاد المريد» (مخطوط) في التجويد، وله نظم جمع في ديوان (مخطوط)، وكانت وفاته سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م، وتولى بعده إفتاء بيروت عبد الباسط الفاخور. يراجع: الزركلي: الأعلام، حـ٧ ص٣٤٦.

(٢) من ذي.

(٣) المذاهب السامية الرسمية: يقصد المبادئ العالية الأخلاق عند الأعيان.

(٤) عبد القادر قباني: هو محمد بن علي بن عبد القادر بن محمد القباني البيروتي الطائل في الفيوضات والدلائل، ترك مؤلفات كثيرة منها: «انجيل تولستوي وديانته»؛ عربه عن الروسية، «تاريخ الحرب العثمانية الإيطالية» (مطبوع في=

الفنون[١].

ومنهم رفيقه الكاتب البارع المتقن المحرر الضابط البليغ المتفنن بل عين الأدب، وقرة معدن لسان العرب نابغة الزمان، ووحيد العصر والأوان، ذو السمت الحصين الشيخ أحمد طبارة[٢] حسن أفندي[٣].

= مصر)، كما ترجم كتاب: «حقوق المرأة في الإسلام» لمؤلفه أحمد بك أجايف الكاتب الروسي، «حكم النبي لتولستوي والدستور»، و«الأحرار»، و«سياحة في الروسيا»، و«مذهب تولستوي»، وتآليف أخرى: للمزيد يراجع: سليم سركيس: معجم المطبوعات، حـ٢ ص١٤٩٣.

(١) جريدة ثمرة الفنون: كما يفهم من النص جريدة ظهرت في لبنان لهذا الصحفي.

(٢) أحمد طبارة: هو أحمد بن حسن بن محيي الدين طبارة، مولده سنة ١٨٧١م، ووفاته سنة ١٩١٦م، كان صحفيًا من بيروت، أحد أعضاء جمعية بيروت الإصلاحية، أسس صحيفة الاتحاد العثماني، ثم جريدة الإصلاح، حضر المؤتمر العربي الأول، وهو مؤتمر دعت له فرنسا لتوفير الشرعية للمطالبة بانسحاب العثمانيين من البلاد العربية سنة ١٩١٣م / م، وهو المؤتمر الذي حضره الخالدي، عاد ليحكم عليه بالإعدام في أحد ميادين بيروت العامة في ١٦ مايو ١٩١٦م.

(٣) الأفندي: من اللغة التركية أفنديس، وهو كان صاحب مكانة رفيعة في العصر العثماني، ففي مصر مثلاً كانوا أربعة عشر فردًا عليهم كبير، وقد تحدث عنهم بالتفصيل حسين أفندي الروزنامجي، فقال كبيرهم الروزنامجي نفسه، والحاكم عليهم وخدمته تحصيل الأموال الأميرية وصرفها في مرتباتها المترتبة بموجب دفتر السلطان سليم، وله عوائد على جانب الميري، وعلى البهار وغلال على جانب الباشا، والأفندية كانوا يمنحون فراوى في حين مقابلة الباشا وحين قدومه في العادلية، وحين طلوعه بالقلعة، وحين تشهيله مال الخزنة، وحين عزلة ومن تحته أي الروزنامجي وكيدار واحد، ومن تحت يده قلفاوات أربعة أصحاب كدوكات=

ومنهم الفاضل الأسعد الموفق الأرشد ذو الوجاهة والفخامة، والمكانة المحترمة العظيمة حضرة محمد باشا أفندي[١] القسنطينية[٢] إلى غير ذلك من

= يراجع: وعلى الأفندي الروزنامجي: ترتيب الديار المصرية، نشره د/ محمد شفيق غربال تحف عنوان: (مصر عند مفرق الطرق)، مجلة كلية الآداب، جـ١ مايو ١٩٣٦م، ص٢٥ – ٢٦.

Show, SlanforD, py: ottoman Egypt in the Age of the French Revolution by Huseyn Efendi Cambridge, massa chu setis 1964, p – 42 – 43.

(1) محمد باشا أفندي: لم نعثر له على ترجمة. المحقق.

(2) القسنطينة: خطأ وهو يقصد القسطنطينية مدينة الروم، أنشئت في عهد قسطنطين الأول سنة ٣٣٠م، وصارت عاصمة الأرثوذكسية في العالم، وظلت كذلك حتى سقطت في أيدي المسلمين سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م، وكانت مدينة حصينة بثلاثة أسوار عالية ترتفع إلى سبعين ذراعًا إلا الثالث فكان لا يزيد على ثلاثين ذراعًا، وكانت محصنة بقلاع وخنادق ضخمة حتى لا يستطيع أحد أن يغزوها، واستطاع السلطان المسلم محمد الفاتح رغم كل تلك التحصينات فتحها، وكان فتحها عزًا ونصرًا للإسلام والمسلمين، ودخلها الفاتح ٢٥ مايو ١٤٥٣م، وقد عامل أهلها معاملة طيبة، وفتح الباب لمن يريد الرحيل عنها بلا مشقة بكل أمواله، وعلى الرغم من ذلك اتهمه الأوربيون من المؤرخين والسياسيين باتهامات خطيرة بلا دليل حول القضايا الحضارية، سماها مدينة إسلامبول أي دار الإسلام أو استانبول أي دار السعادة أي العاصمة، وحرف الاسم بعد ذلك إلى اسطنبول، وظلت عاصمة للمسلمين حتى حولها إلى مدينة تاريخية مصطفى كامل أتاتورك وأختار أنقرة ابتداءً سنة ١٩١٥م، ولا تزال المدينة في رحاب الإسلام حتى اليوم، والمدينة لها مكان استراتيجي مهم إذ تقع على مضيق البسفور وتحيط بها المياه من جهات ثلاث؛ لأنها تشبه المثلث المتساوي الساقين رأسه تجاه البسفور وقاعدته تجاه العكس من ذلك عنها يراجع: د/ عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦، جـ١ ص٧٧ – ٨٥، ود/ السيد الدقن: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢٧، وعاشق=

الأعيان الفضلاء والأدباء والنجباء والنبلاء.

وأما صفة هاته المدينة[١] على سبيل الجملة، فهي من أعظم مراسي ولاية الشام[٢]، وهي جميلة الوضع في فسيح جبل[٣] مطلة على البحر[٤]، وحولها جبل لبنان[٥]، جميل المنظر، وديارها محصنة الحيطان من خارج، وكل دار فيها رياض[٦] مشتمل على أصناف أشجار وأنواع الأنوار، وفيها جوامع حسان متقنة البناء، وأعظم جوامع البلد الجامع المنسوب لسيدنا يحيى عليه السلام[٧]، وهو

= أفندي: جد العاشق في الذيل على الشقائق، تحقيق عبد الجواد صابر إسماعيل، مكتبة الحسين الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٩، حاشية ص٤٨.

(١) هي بيروت.

(٢) ولاية الشام: فتحت بلاد الشام ابتداءً من معركة اليرموك الحاسمة سنة ١٤ – ١٥هـ، وأصبحت دمشق عاصمة الإسلام الأولى ٤٠هـ في عهد معاوية بن أبي سفيان، وظلت حتى سنة ١٣٢هـ حينما سقطت الدولة الأموية، ومع ذلك لم تفقد دمشق ولا بلاد الشام أهميتها، وفي التاريخ الحديث كانت أولى الأقاليم التي انضمت إلى الدولة العثمانية عقب معركة مرج دابق في رجب سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، ومن ذلك التاريخ، وصارت دمشق عاصمة بلاد الشام، وبها عدة ولايات، ولاية بيروت، ودمشق، وصيدا وعكا وعدة متصرفيات منها القدس.

(٣) هو جبل لبنان الآتي ذكره.

(٤) بحر الأبيض المعروف بالبحر المتوسط.

(٥) جبل لبنان: هذه المنطقة اللبنانية المعروفة الآن، وقد ذكرها الشيخ النابلسي في رحلته فقال فيها: «ووجدنا هناك على يسارنا جبلاً ذكروا لنا أن اسمه جبل لبنان، وأن فيه مزارًا لأربعين من رجال الغيب – كذا – وفيه قبر مريم ابنه عمران عليهما السلام فقرأنا الفاتحة وأهديناها إلى من دفن في هذا الجبل المبارك المذكور». يراجع النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص٧٠.

(٦) رياض: حدائق وهي ما تتصف به بيروت بالفعل.

(٧) جامع يحيى عليه السلام: يوجد هذا الجامع في قرية سبسطية بفتح السين، وفتح=

جامع مبارك كبير نظيف، وفيها جملة مدارس علمية أدبيـــة[١]، وأغلـــب مبـــادئ الفنون علم الرياضة[٢]، وفي هاته البلدة أسواق كبيـــرة، ومخـــازن * عـــامرة، [٣٥] وتجارة رائجة، وحمامات نظيفة متقنة التحصين، فترى المياه الجارية التي تجري إليها إلى السقايات[٣]، من السبيل من نهر الكلب[٤] وأغلب طرقها واسعة نظيفـــة محفوفة بالأشجار، والعربيات تمر بينها على النسق الأرباوي، وأما أنواع الفواكه والخضر والحلوات فحدِّث ولا حرج، والحاصل فإن هذه المدينة فائقة في الحســـن والجمال، وكانت إقامتنا فيها عدة أيام.

= الباء الموحدة، وسكون السين بلدة من نواحي فلسطين قرب نابلس، بينها وبين بيت المقدس يومان، بها قبر زكريا وابنه يحيى، وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، وهذا الجامع يرى النابلسي أنه: كان كنيسة وتحول إلى جامع، وهو كلام يحتاج إلى دليل، وبالقرب من الجامع مغارة فيها قبر نبي الله يحيى، وهي بالقرب من وادي الزيتون في منطقة بها عيون الماء الكثيرة.
يراجع: النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص١٠٣.

(١) أهم المدارس: يقصد المدارس الحديثة المواكبة للتطور الأوربي وليست المدارس التقليدية القديمة. الباحث.

(٢) علم الرياضة: يقصد الرياضيات والعلوم الطبيعية.

(٣) السقايات: يقصد الفروع الصغيرة المتفرعة من النهر إلى مختلف المناطق.

(٤) نهر الكلب: ذكره النابلسي في رحلته فقال: «هو نهر بين جبلين كل منهما مرتفع سحيق، وهو نهر عظيم، وماؤه حلو زلال شفاء للسقيم يصب في البحر المالح فيقابل بوجهه البشوش ذلك الوجه الكالح، وعليه جسر متين بقناطر من الحجارة اللطيفة التكوين، وإنما سمي بنهر الكلب؛ لأن الفرنج في الزمان الأول صوروا هناك صورة كلب كبير من الحجر، وجعلوا فيه رصدًا إذا جاء العدو ينبح عليه فيسمعون ذلك النباح فيتأهبون لحرب العدو بأنواع السلاح فجاء بعض الناس فكسره، وألقاه في ذلك النهر فسمي بذلك نهر الكلب، وهو بين بيروت وصيدا من سواحل الشام - يراجع النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص٧٧.

[السفر إلى بلاد المغرب عبر مارسيليا[(١)]]

وفي عشية يوم الثلاثاء فاتحة صفر الخير سافرنا منها صحبة البابور، والفرنسيون قاصدين مرسيلية، وبعد الزوال من يوم الأربعاء عند الساعة الثانية وصلنا إلى بورت سعيد فنزلنا إليها فإذا هي مرسى[(٢)] ظريفة ذات بنيان جميل المنظر عامرة الأسواق، وويجن فيها ماء النيل ألفينا فيها كثرة الفواكه والخضر، وتزودنا من ذلك ما يكفينا رجعنا للبابور، وقفلنا من ثمه إلى أن وصلنا للإسكندرية صبيحة يوم الخميس فنزلنا إليها واسترحنا فيها واغتنمنا زيارة ساداتنا ودعونا الله بما نرجو قبوله، وبعد صلاة ظهر يوم الجمعة بجامع الإمام البوصيري -ﷺ- رجعنا للبابور بعد أن تزودنا منها ما دعت الحاجة إليه من أهبة السفر وعند العصر أنطلق بنا، ولما وصلنا الغليون[(٣)] كثرت علينا الرياح،

---

(١) مارسيليا: مدينة فرنسية تقع على البحر المتوسط، تعد أهم المواني الفرنسية، ويقع فيها مبنى للحجر الصحي متسع جدًا، يظل الركاب فيه مدة ثمانية عشر يومًا ثم يخرجون منها إلى بلدانهم ومصالحهم، وفي هذه المدينة كما ذكر رفاعة الطهطاوي الكثير من القهاوي، والمحلات، والمتاجر، والخمارات (المحاشش) شوارعها فسيحة بصورة كبيرة، ومليئة بالفنادق، وأقرب مدينة داخل فرنسا بينها، وبين باريس ليون، وبينها وبين باريس مسافة مائتان وأحد عشر فرسخًا فرنساويًا.
يراجع: الطهطاوي؛ تخليص الإبريز، ص ص٣٢ – ٣٨.

(٢) مرسى بورسعيد: سبق التعريف به.

(٣) الغليون: هي محرفة عن اللفظ الفرنسي قاليون Galion، وهي نوع من السفن في الأسطول العثماني، وهي أكبر السفن في الأسطول العثماني، وقد ظهرت في أوربا في القرن الحادي عشر الميلادي، وكانت شراعية، وتطورت في القرن الخامس عشر؛ والذي يليه إلى أفضل طراز، وقد صنعت أول ما صنعت عند العثمانيين، وكانت شراعية في عهد السلطان بايزيد الثاني، ثم القانوني سليمان الكبير، وفي=

واشتد هيجان البحر، ولكن الله سلم، وفي صبيحة يوم * الأربعاء وصلنا لمرسلية [٣٦] فإذا هي مرسى(١) من أعظم مراسي فرانسة(٢) في البحر الأبيض، وهي ذات حوضين عظيمين لأمن المراكب، وترى فيها من البابورات والمراكب ما يشبه الغابات المحتبكة، وكان نزولنا فيها بفندق كبيرة(٣) قريبة من المرسى على يد

= القرن الثامن عشر استخدمت في حروب كريت، واستخدمت في معارك بحرية ضد البنادقة، وألحقت بهم الهزائم في عام ١٨٦٢م وقد صنعت في المصانع البحرية العثمانية إلى عهد السلطان عبد العزيز، وبعد اختراع البواخر لم يستعمل هذا النوع من السفن الشراعية، وقائد الغليون يطلق عليه غاليونجي يراجع: فقرة مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص١٠٦.

(١) مرسى مارسليا: سبق التعريف به.

(٢) فراسنة: يقصد فرنسا الدولة الحالية المعروفة عاصمتها مدينة باريس، وتقع في جنوب وسط أوربا من شرقها، يحدها إيطاليا، ومن الجنوب البحر المتوسط، ومن الغرب أسبانيا، وفرنسا كانت مملكة حتى قامت الثورة الفرنسية ١٧٨٩م، وأعدم لويس السادس عشر ثم قامت حكومة الإدارة، وقام صراع بين الراغبين للمكلة والجمهورية في القرن التاسع عشر ودخلت في صراع مع ألمانيا سنة ١٨٧٠م، ففقدت بمقتضاه الإلزاس واللورين وخسائر أخرى تمت استعادتها بعد الحرب العالمية الأولى بمقتضى معاهده فرساي ١٩١٩م، وشاركت في الحرب العالمية الثانية، وقام ديجول بجهود جبارة في إعادة بنائها ونجح إلى حد بعيد، وفرنسا من الإمبراطوريات العظمى الاستعمارية في العالم خلال ق١٩م والنصف الأول من القرن العشرين، وهي عضو في منظمة الأمم المتحدة، ومن الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن، وتحاول حاليًا إظهار صورتها كدولة شريفة تقر مبدأ «عدم الإنحياز» وهو وهم، وعدد سكانها حوالي ٥٥ مليون نسمة، وفرنسا صاحبة فضل على الثقافة المسيحية، والمسلمون فيها أكبر تجمع إسلامي في أوربا.

(٣) فندق: هو المكان المعروف بمبيت الغرباء، وكان يطلق عليه في الحضارة=

التاجر السيد محمد عبد الرحمن الحلو الفاسي[١]، إنه هو الذي كان يأخذ بيدنا، وبعدما أخلدت للراحة خرجت النظر هاته البلدة، فإذا هي كبيرة جدًا ذات بناءات جميلة متينة الصنعة، وبها ديار رفيعة ذات طبقات عديدة، ولها حديقة ظريفة مشتملة على أصناف الأشجار وأنواع الأنوار ذات مياه وافرة مجلوبة إليها ولساير سقايات البلد، ودورها من مسافة بعيدة، كما أن بها دارًا كبيرة مبنية كلها من الرخام المنقوش[٢]، وتسمى «قصر البورص»[٣] يَجتمعُ فيها مرتين في اليوم الألوف من تجار وأهالي، وغيرهم لحفل معاملة التجارة، وبالجملة فإن هاته المدينة حرفة عظيمة للتجارة، ويرى مصداق ذلك من كثير العربيات وبابورات البر المراكب والقوارب لوضع البضائع وصفها إلى سائر الأقطار، وترى المزاين والأهرام الكبيرة فيها من أنواع السلع والتحف ما يُحَيِّر الأفكار، ويتعب النظر، ورؤية هذه الأمور كلها موعظة لمن تأمل وتبصر ومتعة تُبْصَر لمن كان حظه النظر، وذلك كله من * آيات الله، وكانت إقامتنا في هذه البلدة عدة أيام. [٣٧]

[الوصول إلى الجزائر]

وفي عشية يوم الخميس سافرنا منها صحبة بابور «طبانية أطواس»[٤]،

= الإسلامية الخان، وسمي «فندق»؛ لأنه في مكان على هيئة البندق في مدينة البندقية.

مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص١٠٢.

(١) محمد عبد الرحمن الحلو الفاسي: لم أعثر على الترجمة.

(٢) الرخام المنقوش: الفسيفساء.

(٣) قصر البورص: يقصد قصر البورصة وهي وكالة لبيع المنتجات.

(٤) اسم السفينة وربما كان باللغة الفرنسية.

وفي صبيحة يوم السبت قبل الشروق وصلنا لمرسى الجزائر بخير عافية، وكان نزولنا بها عند التاجر الفاضل سيدي محمد بك الفاسي[١] وما قصر معنا في البرور والاعتناء «كثر الله خيره»[٢]، وهاته البلدة كبيرة، وفي وسطها بطحاء وحديقة ظريفة، وهناك الجامع الكبير[٣]، وفيه كنت أصلى، وهو مفروش بالحصر النظيفة، وجملة ما فيها من جوامع الخطبة أربعة، وكلها في غاية الصيانة، والقيّمون بها من الأئمة، والمؤذنين، والمدرسين وغيرهم لهم مرتبات كافية، وفي داخل البلد وخارجها مقامات للأولياء، محترمة معظمة، ومن المشاهد العظام التي زرتها ثمة ضريح العارف بالله سيدي عبد الرحمن الثعالبي - رضوان الله على الجميع - ونفعنا بهم، وهاته البلدة عامرة بالأسواق، وأحسن ما فيها سوق الخضر إتقاناً ونظافة كحماماتها، وقد اغتسلت في أحدها فإذا هو على نحو المشرق، وأغلب طرقها واسعة مجصصة[٤] الوسط لمرور العجلات تنظف وترش،

---

(١) محمد بك الفاسي: لم أعثر له على ترجمة.

(٢) جملة عامية ضمنها كلامه.

(٣) الجامع الكبير: وصف هذا المسجد ليوالإفريقي فقال عنه: جامع بهي كبير جدًا يقع على حافة البحر، وتمتد أمام الجامع ساحة جميلة جدًا مجددة فوق سور المدينة ذاته، وكذلك تحدث عنه ياقوت بأنه مسجد جامع.

يراجع: ابن الوزان الزياني: وصف أفريقيا، ترجمة د/ عبد الرحمن حميدة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٤٠٨، وياقوت: معجم البلدان، حـ٢ ص١٣٢.

(٤) مجصصة: أي مبنية بالجص وهو النورة وأخلاطها وهي الجص والأسمنت، وغيرها وتسمى الصاروج حينما تطلى بها الحياض والحمامات، وقيل: النورة غير الجص، ويطلق عليه أيضًا الدلوك؛ لأنه يدلك به الحجر، والدام من دم بدمه طلاه بالنورة وجصصه.

وفي الليل يوقد فيها الضوء الكهربك(١) وخارج البلد على مسافة بعيدة موضع يقال لها: مصطفى(٢)، وقد ذهبت إليها في بابور البر، فإذا هو محل منشرح منظره بهيج، ذو * أشجار، ومياه متدفقة، وبساتين، وديار عامرة، ومن جهة [٣٨] شاطئ البحر حمامات من الخشب على ماء البحر عندهم لفصل الصيف، وحولها قهاوي ومحلات للجلوس، وكانت إقامتنا في هذه المدينة المعتبرة – أعادها الله دار إسلام(٣) – عدة أيام، وفي صبيحة يوم الثلاثاء عند الساعة السابعة ذهبنا منها صحبة بابور البر عند الغروب وصلنا لمدينة وهران(٤)، والمسافة التي

يراجع: الزبيدي: تاج العروس، جـ١ ص٧٧١٣.

(١) الكهربك: أي الكهربي وهي الإضاءة الكهربية المعروفة الآن لفتت نظر صاحب الرحلة، ربما لأنها لم تكن منتشرة في بلاد المغرب حينذاك. المحقق.

(٢) لم أعثر لها على تعريف.

(٣) إشارة إلى أنها كانت في احتلال فرنسا – المحقق.

(٤) وهران: بفتح أوله وسكون ثانية وآخره نون مدينة على البر الأعظم من المغرب، بينها وبين تلمسان سرى ليلة، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر، وأكثر أهلها تجار، ومنها إلى تونس ثماني مراحل، وقال عنها أبو عبيد البكري: وهران مدينة حصينة ذات مياه سائحة وأرجاء، ولها مسجد جامع، وبنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون، وجماعة من الأندلسيين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبني مُسقن فاستوطنوها سبعة عام ٢٩٠هـ إلى ٢٩٧هـ، وتغلبوا على مدينة وهران، ثم أعيد البناء لها فعادت أحسن ما كانت، وولى عليهم داود بن صولاب، فطرد من فيها، وبددهم وأحرقها ثانية وحزَّبها، وكذلك بقيت سنين، ثم تراجع الناس إليها، وبنيت وينسب إليها أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمذاني الوهراني عن أبي بكر أحمد ابن جعفر القطيعي، روى عنه ابن عبد البر وأبو محمد بن حزم الحافظ الأندلسي، وهي مدينة بينها وبين تلمسان =

بينهما كلها عمارة من مدن وقرى وأحنة وحراشة؟ وغير ذلك، وبتنا فيهـا تلـك الليلة بقطر [كذا] في الغد الذي هو يوم الأربعاء سافرت منها، ولم يسعني المقـام بها حيث دفت لمرسى إميلية(١)، وفي صبيحة يوم الخميس أرسينا عليها، ونزلنـا بدار سكنى حبيبنا الفاضل الطالب سيدي علي السوسي(٢) المصقعي وما قصر في

= مرحلتان، وقيل: بل هي ثلاث مراحل، وهي مدينة مسورة تراب متقن، وبها أسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارات نافقة، وهي تقابل مدينة ألمرية من ساحل بحر الأندلس، وهي اليوم من دولة الجزائر الكبرى، يراجع: ياقوت: معجم البلدان، حـ٤ ص٣٠٥، والإدريس: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، حـ١ ص٧٦.

(١) إمليلية: مدينة مليلية بالفتح ثم الكسر وياء تحتها نقطتان ولام أخرى مدينة بالمغرب قريبة من سبتة على ساحل البحر، وهي مدينة حسنة متوسطة ذات سور منيع، وحال حسنة على البحر، وكان لها عمارات متصلة وزراعات كثيرة وبها بئر، بينها، وبين باريس مائة ميل، وإلى وهران ثمانون ميلاً، ويجاورها مدينة تطوان، وهي قرية من طنجة وهي مدينة مسورة بسور حجارة، وفيها مسجد جامع وحمام وأسواق، ويقال أن موسى ابن أبي العافية المكناسي جددها، وفيها ظهرت دعوة الأدارسة ١٧٢هـ. يراجع:
الإدريسي: نزهة المشتاق: حـ١ ص١٦٩، وياقوت: معجم البلدان حـ٤ ص١٦٠، والحميري: الروض المعطار، حـ١ ص١٤٥، ٥٤٥.

(٢) السوس: منطقة واسعة تقع فيما وراء الأطلس باتجاه الجنوب تجاه منطقة حاجة عند نهاية بلاد البربر، وتبدأ عند المحيط غربًا، وتنتهي في رمال الصحراء جنوبًا، وتنتهي شمالاً عند الأطلس وتنتهي في الشرق في النهر المسمى نهر السوس الذي استمدت المنطقة منه اسمها، وأشهر مدن السوس من الغرب إلى الشرق مدينة ماسَّة تيوات وتارودنت، وأغادير، وتيدس، وتاغاوست، ومن أشهر معالم المنطقة جبل الهلالة، ونهر السوس وهي منطقة يكثر فيها زراعة الغلال كالقمح والشعير، يسقط فيها الثلج في جميع الفصول وسكان السوس من البربر والعرب وأكثرهم=

البرور، وفرح بمقدمنا غاية الفرح، وهاته المدينة من مستعمرات[١] أسبانيا متخذة عندها لسجن مرتكبي الجرايم الفظيعة، ولتنظيف الطرقات، ولغير ذلك من الأشغال الشاقة[٢] وعليهم ورديات في عساس من العسكر حاملة السلاح....[٣] عليهم، ومن علامات هؤلاء المساجين حلق اللحية كلها حتى الشارب، ولبس البرفيطة[٤] (كذا) من الدوم[٥]، وكسوة مخصوصة بهم ليمتازوا بها عن غيرهم، وبهذه البلدة عدة تجار [من] المسلمين من أهل طنجة[٦]

= نبلاء وبواسل.

للمزيد: ليو الأفريقي: وصف أفريقية، ص ص١٢٤ – ١٣٣.

(١) مستعمرات، لفظ خاطئ، وهو احتلال؛ لأن الاستعمار من طلب العمارة، لأن الألف والسين والتاء للطلب، وهي دعوى طلب العمارة، وهو ما يروج له الأوربيون الذين يدَّعون هذه الدعوة التي ليست على حقيقتها، وإنما هم طالبوا اقتناص الثروات، وجاء لفظ العمارة بمعنى التعمير في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ وقال أيضًا: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وفرق كبير بين العمارة واستنزاف الثروات.

(٢) عقوبة للمجرمين وتوجد حتى الآن في القانون المصري.

(٣) ناقص من النص الأصلي.

(٤) البرفيطة: هي غطاء الرأس والمعروفة في بلادنا بالبرنيطة وهي زي أوربي خالص انتقل لبلادنا بعد الاحتلال الأوربي للعالم الإسلامي وأقاليمه.

(٥) الدوم: هو نوع من الزراعات.

(٦) طنجة: مدينة أزلية آبارها ظاهرة بناؤها بالحجارة قائمة، والمدينة العامرة على ميل من البحر، وليس لها سور، وهي على ظهر جبل، وماؤها في قناة يجري إليهم وبين سبته وطنجة مسيرة يوم، وبينها وبين القيروان ألفا ميل، وينسب إليها الرحالة ابن بطوطة، وأبو عبد الملك مروان بن عبد الملك بن سنجون اللواتي=

وتطوان[١] وغيرهم يتعاطون * التجارة مع قبائل الريف، وكان[٢] إقامتنا بها أيامًا [٣٩] قلائل، وفي صبيحة يوم الجمعة سافرنا صحبة البابور المسمى بجبل موسى وسرنا ليلنا كله، وفي صبيحة يوم السبت عند الساعة التاسعة وصلنا لجبل

= الطنجي، وهي مدينة عامرة حسنة لها أسواق وصناع وفعله، وبها ميناء به إقلاع، وهي على أرض متصلة بالبر فيها مزارع وغلات، وسكانها معظمهم من البربر، أو أبناء الأندلس من العرب، وهي من أهم مدن العدوة في المغرب، وهي من أهم كورات المغرب، ومدينتها العظمى تسمى «فاس»، وهي الآن من أهم بلاد المغرب. يراجع: ابن الوردي: خريدة العجائب ومزيدة الغرائب، حـ١ ص٨، والإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، حـ١ ص١٦٨، وياقوت: معجم البلدان، حـ٣ ص١٧١.

(١) تطوان: بلدة مشهورة في شمالي المغرب الأقصى على ساحل البحر المتوسط أسست قبل الإسلام لتخلف جارتها تمودة الرومانية، وقد خرجت تطوان القديمة، وخلت من السكان في مستهل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ثم جدد بناءها في آواخر هذا القرن نفسه المهاجرون الأندلسيون الذين نزحوا إلى المغرب قبيل سقوط مملكة غرناطة، وكانوا قلة لا يتجاوزون أربعين أسرة، وتلاحقت وفود المهاجرين من الفردوس المفقود لتسكن المدينة المجددة في فترات متقطعة إلى أن قضى الملك فيليب الثالث بطرد جميع الموريسيكيين من أرض شبه جزيرة أيبيريا عام ١٠١٨هـ/١٦٠٩م فعبروا البحر إلى العدوة الإفريقية، واستقر عدد كبير منهم في تطوان، وكانت مقر الجهاد للمسلمين ضد الأسبان، ومدينة تطوان صارت إحدى أهم الأقاليم المغربية الكبرى، وهي على ساحل البحر المتوسط.

يراجع: محمد صبحي: الزواية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص١٨٢ – ١٨٣.

(٢) كذا في الأصل والصواب وكانت.

طارق[١] سالمين والحمد لله.

وكان نزولنا عند محبنا الفاضل وكيل سيدنا الأرضي الطالب السيد عبد السلام بوزيان[٢]، وما قصر معنا في البرور، بل دخل عليه السرور العظيم بمقدمنا حتى كاد أن يصير فرحًا، فجزاه الله عنا أحسن الجزاء، وبمجرد وصولنا إليها طيرت الأعلام بواسطة السلك[٣] لنا، وفيه مولانا البركة الأجل السيد الحاج محمد الطريسي[٤]، فأجابني حينًا بأن نقدم على طريق سبتة[٥]، فامتثلت إشارته

---

(١) جبل طارق: مدينة المضيق على البحر المتوسط وهي أول منطقة نزلها المسلمون بعد طريق بينها وبين شذونة ثلاثة أيام، ويسمى جبل الفتح لأن مبدأ الفتح منه ونسب إلى طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس، وهذا الجبل يظهر في البحر من سبته، وهو عال في البحر، وفيما بينه وبين الجزيرة الخضراء، والبحر، عرضه اثنا عشر ميلاً من جبل طارق إلى سبته، وهي ميناء (مرسى)، وبنيت المدينة في عهد خلفاء بني عبد المؤمن حيث ندب إليها البناة والنجارين، وقطاع الحجر للبنيان والجيار من كل بلدة، وخطت فيه المدينة، وقدم إليها من المال ما يعجز كثرة واتخذ فيها الجامع، والقصر، وقصور للسادة، وسميت بمدينة الفتح – يراجع: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، جـ١ ص٩٠، وابن بطوطة: الرحلة، جـ١ ص٣٣٥، والحميري: الروض المعطار، جـ١ ص٢٨٢، والإصطخري: المسالك والممالك، جـ١ ص٢٨.

(٢) عبد السلام بوزيان: لم أعثر له على ترجمة.

(٣) بواسطة السلك: يقصد الهاتف.

(٤) لم أعثر على ترجمة.

(٥) سبتة: على زقاق بحر الأندلس ترى منها البرين وهي أحد المعابر المشهورة، ومدينة سبته إلى جانب الخضراء وسبتة لها ميناء في البساتين والمزارع والمياه وأكثر فواكه سبتة التين والعنب، ولها جبل مانع لا يستطيع الصعود إليه، وهي=

وتوجهنا على بركة الله إليها صبيحة يوم الثلاثاء بعد إقامتنا بجبل طـارق ثلاثـة أيام، وذلك صحبة بابور البوسطة(١) الذي يتردد بينها وبين الخزيرات [كذا] عنـد الساعة العاشرة من يومنا هذا وصلنا لسبتة بالسلامة، وبنفس [يـوم] الوصـول بلاتوان اكترينا كروسته، وتوجهنا عليها للحدادة، وعند الزوال وصلنا إليها وتبنا هناك عند محبنا الأراضي فايد الحدادة الطالب السيد عبد السلام السعيدي(٢)، وما قصر في الترحيب، وأظهر فرحًا علينا، وفي الغد الذي هو يوم الأربعـاء ذهبـت منها برًا على طريق قبيلة أنجرة(٣)، وفي عشية يومنا هذا متم صفر الخير عـام ستة عشر وثلاثمائة وألف وصلنا ثغرنا السعيد(٤) أمنه الله مـن كـل مكـروه * [٤٠]

= تقابل الجزيرة الخضراء من الأندلس، وهي سبعة جبال صغار متصلة بعضها ببعض معمورة، طولها من المغرب إلى المشرق نحو ميل ويتصل بها من جهة المغرب، وعلى ميلين منها جبل موسى وهو منسوب لموسى بن نصير، فاتح الأندلس، وبها تجارة وقصب السكر – يراجع في ذلك:

الإدريس: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، حـ١ ص١٦٨، وياقوت: معجم البلدان، حـ١ ص٤٩٤، وابن خرد اذبة: المسالك والممالك: حـ١ ص٢٠، والمقدس: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، حـ١ ص٨٣، وابن بطوطة: الرحلة، حـ١ ص١٥٤.

(١) هو الحافلة التي تنقل البريد فسمي باسمها. والبوستة البريد باللغة التركية.

(٢) عبد السلام السعيدي: لم أعثر له على تعريف.

(٣) أنجرة: قرية بين تطوان وطنجة منها الشيخ ابن عجيبة الحسن الأنجري أحمد بن محمد بن مهدي المتوفى سنة ١٢٢٤هـ، لما استولى البرتغاليون على مدينة سبتة رحل المسلمون منها إلى أنجرة فعمرت أنجرة بذلك.

يراجع: الزركلي: الأعلام حـ١ ص٢٤٥، حـ٧ ص٥.

(٤) طنجة.

ونازلة، وحمدنا الله سبحانه على السلامة من ركوب الأخطار والنجاة عن غوائل الأسفار، ونسأله سبحانه وتعالى إتمام النعمة الغزارة، ودوام العافية، وحسن الغرارة، وفي منزل الدار، وفي تلك الدار، اللهم اختم لنا بالسعادة التي ختمت بها لأوليائك الأبرار، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقاء، يا حليم يا غفار، واحشرني في زمرتهم مع المصطفين الأخيار بحال سيدنا ومولانا محمد المختار -ﷺ- وآله وصحابته الأخيار الأطهار، وفي زمرة[١]، المهاجرين والأنصار وسلم تسليمًا بطيب الأعطار مادامت الأعصار، ودارت الأدوار، وتعاقب الليل والنهار فسبحان ربك رب العالمين[٢].

(١) ساقط.

(٢) نهاية الرحلة بخط المؤلف يقول: «وهاهنا انتهت الرحلة المباركة لجامعها الفقير عبد الله الكريم المتعال الحسن بن محمد الغسال القائل بأفصح مقال، اللهم جاوز عن الماضي وأصلح الحال والمآل، وكان الفراغ من تقييدها في منتصف جمادى الأولى عام ستة عشر وثلاثماية وألف، رزقنا الله خيره وخير ما بعده. آمين.

وانتهى نسخ من نسخها من خط نسخه من

نسخة مؤلفها بثغر طنجة المحروسة

عشية يوم الخميس حادي عشر محرم الحرام

فأتم عام ١٣٢٤هـ

الفقير

عبد السلام بن محمد الخليفي

الورقة الأخيرة من المخطوط

ثالثًا : فهارس النص

أولاً: فهارس القرآن الكريم

ثانيًا: فهرس الحديث الشريف:

ثالثًا: فهرس المصطلحات الحديثية

رابعًا: فهرس المصطلحات الفقهية:

خامسًا: فهرس المؤلفات

سادساً: فهرس الصحف والمجلات

سابعًا: فهرس النقود والعملات

ثامنًا: فهرس القبائل والطوائف والجماعات والفرق

الموضوع	الصفحة

تاسعًا: فهرس أسماء الأمكنة والبقاع

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

عاشراً: فهرس المناصب والوظائف

الحادي عشر: فهرس المؤسسات والمنشآت

الثاني عشر: فهرس الأعلام

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات

- الإسحاقي (الوزير):
- الرحلة الحجازية

مخطوط بمكتبة فضيلة الشيخ محمد بوخبزة صورة بحوزتي مصـورة مـن تطوان المغرب.

- ابن حجر العسقلاني:
- اللمحة اللطيفة في ذكر أحوال كسوة الكعبة الشريفة،

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤١٤٢ تاريخ.

الحسن الغسال (الشيخ الطنجي):

- إثبات الخوارق بما ورد في الرعد والصواعق،

مخطوط بمكتبة الشيخ بوخبزة تطوان المغرب.

- إجابة عن سؤال عن إيمان المسلم

مخطوط ضمن المجموع موجود بمكتبة الشيخ محمد بوخبزة تطوان المغرب

- استفتاء ورد إلى الشيخ عن لعب الكرة ضمن مجموع الشـيخ فـي مكتبـة الشيخ بوخبزة.
- انعقاد الإجماع على حليّة أكل الصيد

برمي البارود

ضمن المجموع السابق.

- تقييد طاعة الإمام.

ضمن المجموع السابق.

- تقييد لطيف ومختصر شريف

في كيفية ذكر اسمه اللطيف وما يتعلق بهذا الاسم الشريف

ضمن المجموع السابق

- دراسة لبعض أبيات الشيخ الأديب المرتضى بن محمد الطيب ابن أبي مرجان ضمن المخطوط السابق.
- الخاطر في حياة الخضر عليه السلام

ضمن المخطوط السابق.

- الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك

مخطوط بمكتبة الشيخ بوخبزة صورة في مكتبة المعهد التاسع لجامعة الدول العربية تحت رقم ٢٢٧٥ تاريخ.

- رسالة في الهجرة من دار الهوان والخسرة

مخطوط ضمن المجموع السابق.

- سلسلة الذهب في الآمن من العذاب

مخطوط ضمن المجموع السابق.

- مفتاح التيسير في أحكام التسعير

مخطوط ضمن المجموع السابق.

- نصيحة في حق الأيتام

مخطوط ضمن المجموع السابق

- وصية الفقير الوجل عند ربه

مخطوط ضمن المجموع السابق

- عبد المجيد المنالي:

- بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام

مخطوط بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم ١٤٣٤ تاريخ

- عمر أغا:

- **الاتحاف بنسبة آل الأشراف مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٣٤ فقه حنفي**

- **القليوبي شهاب الدين أحمد.**

- **نبذة لطيفة في مباحث شريفة في تاريخ مكة والمدينة والقدس الشريف.**

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (   )

- **مجهول:**

- **رسالة في وصف المدينة.**

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٤٤ تاريخ

ثانيًا: المصادر المطبوعة

- إبراهيم رفعت (أمير اللواء).
- مرآة الحرمين، القاهرة. د. ت.
- أحمد الرهوني:
- الرحلة المكية نشر معهد فرنكو تطوان المغرب ١٩٤١م.
- الإدريسي:
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق
- الاصطخري:
- المسالك والممالك
- الأنصاري (عبد الرحمن المدني):
- تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من الأنساب تحقيق محمد العروسي المطوي تونس ١٩٧٠.
- ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور الهيئة المصرية العامة للكتاب نشر محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.
- البتانوني: محمد لبيب.
- الرحلة. القاهرة .د. ت.
- البخاري: محمد بن إسماعيل الجعفي مولاهم. ٢٥٦هـ / ٨٦٩م.
- الجامع الصحيح. نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- بدر الدين العيني:

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري الأستانة ١٣٠٨هـ.

- ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ت ٧٧٩هـ.
- الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار طبعة الشعب دار التحرير، القاهرة، د.ت.

- البغدادي: إسماعيل باشا.
- هدية العارفين في أسماء المؤلفين دار الفكر بيروت لبنان ١٩٩٢م.

- ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن ٨٧٤هـ / ١٤٢٩م.
- النجوم الزاهرة في سلوك مصر والقاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

- الجزيري (الشيخ عبد القادر الأنصاري):
- درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

- حاجي خليفة: المولى الرومي.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

دار الفكر العربي، بيروت لبنان ١٩٩٢م.

- الحارث ابن أبي أسامة.
- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث

تحقيق حسن أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م

- ابن حبان:
- الثقاة

- ابن الحجر العسقلاني:
- الإصابة في معرفة الصحابة أربع مجلدات، القاهرة، ١٣٥٨هـ.
- إنباء الغمر بأبناء العمر تحقيق حسن حبشي ٣ أجزاء لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
- تقريب التهذيب دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، طبعة مقابلة على نسخة المؤلف، طبعة ثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- تهذيب التهذيب دار الفكر العربي.
للطباعة والنشر بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الحميري:
- الروض المعطار
- ابن خرداذبة:
- المسالك والممالك
- ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمن ٨٠٨هـ)
- تاريخ ابن خلدون المعروف بكتاب العبر في ديوان المبتدأ والخبر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- الذهبي:
- سير أعلام النبلاء تحقيق شعب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ.
- الزبيدي الشيخ مرتضى.
- تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ت.
- الزياني:

- الترجمانة الكبرى في أخبار العالم شرقًا وغربًا
حقق وعلق عليه عبد الكريم الفيلالي
دار نشر المعرفة الرباط المغرب ١٤١٢هـ/١٩٩١م

- أبو سالم العياشي:
- ماء الموائد المعروف بالرحلة العياشية
- السبكي: تاج الدين عبد الوهاب
- معيد النعم ومبيد النقم تحقيق محمد أبو العيون ومحمد علي النجار وأبو زيد شلبي
مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٩٥م

- السخاوي: شمس الدين محمد.
- الضوء اللامع بأعيان القرن التاسع ٦ أجزاء منشورات دار مكة، بيروت، لبنان، د.ت.
- ابن سعيد المغربي.
- المغرب في ترتيب المغرب
- السمهودي: نور الدين علي.
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ت ٥٨١هـ.
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين.

- الدر المنثور دار الفكر بيروت ١٩٩٣م
- الشامي (محمد بن يوسف الصالحي ٩٤٢هـ)
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد
تحقيق عادل أحمد عبد الموجود
دار الكتب العلمية بيروت لبنان
١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- الصفدي:
- الوافي بالوفيات. باعتناء س. د يد رينغ وآخر، الطبعة الثانية دار صادر بيروت، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م.
- الطبري: (أحمد بن عبد الله المعروف بمحب الدين).
- ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى مكتبة القدس القاهرة، ١٣٥٦هـ
- الطبري: (محمد بن جرير).
- تاريخ الرسل والملوك تحقيق من أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- الطهطاوي (رفاعة بدوي رافع).
- تخليص الإبريز في تلخيص باريز تقديم يونان لبيب رزق، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٦هـ
- عاشق أفندي:
- جد العاشق فى الذيل على الشقائق تحقيق عبد الجواد صابر إسماعيل. مكتبة الحسين الإسلامية القاهرة ١٩٨٩م.
- ابن عبد البر:

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب تحقيق علي محمد البجاوي طبعة أولى دار الجيل، بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

– ابن عبد الحق البغدادي.

- مراصد الاطلاع عن أسامي الأمكنة والبقاع تحقيق علي محمد النجاوي طبعة أولى دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.

– ابن عبد الغني شلبي:

- أوضح الإشارات فيمن تولى مصر من الوزراء والباشات.

تحقيق د/ عبد الرحيم عبد الرحمن، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٧٨م.

أبو عبد الله (محمد بن أبي بكر الزرعي).

- زاد المعاد في هدى خير العباد مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية بيروت تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخر ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

– أبو عبيد الله البكري: (٤٨٧هـ/١٠٩٥م).

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع تحقيق جمال طلبة الطبعة الأولى دار الكتب العربية، بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

– ابن العماد الحنبلي:

- شذرات الذهب في بأخبار من ذهب ٨ أجزاء القاهرة، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٢م.

– علي مبارك: (باشا)

- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها الشهيرة والقديمة الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٨٣م.

– العيدروس: محيي الدين عبد القادر.

- النور السافر بأخبار القرن العاشر القاهرة د. ت.

- الفراهيدي (الخليل بن أحمد ١٧٥هـ):
- العين تحقيق مهدي المخزومي. إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت.
- الفيومي:
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي جزءان المكتبة العلمية بيروت
- ابن قتيبة:
- عيون الأثر

سلسلة الذخائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠٥م.
- القنوجي: (الحسن بن صديق).
- أبجد العلوم العرش المرقوم في بيان أحوال العلوم دار الكتب العلمية تحقيق عبد الجبار ذكار، بيروت. ١٩٧٨م.
- ابن كثير:
- البداية والنهاية، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، طبعة أولى، دار الغد العربي القاهرة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ١٣٩٦هـ/١٩٧١م.
- محمد مخلوف:
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية دار الفكر ١٣٢٥هـ.
- المراد آبادي (رفيع الدين الهندي ١٢٠١هـ).
- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم نشر المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ٢٠٠٤م.

- المقدسي: محمد بن احمد بن أبي بكر البناء ت ٣٨٠هـ تقريبًا.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. دار صادر بيروت، عن طبعة ليدن ١٩٠٩م.
- المقريزي: أحمد بن علي.
- الخطط المقريزية المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة.
- ابن مليح:
- أنس الساري والسارب
- النابلسي: الشيخ ابن عبد الغني ١١٤٣هـ.
- الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى مصر والشام والحجاز الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٦م.
- ابن النجار:
- الدرة الثمينة
- ابن النديم: (محمد بن إسحاق أبو الفرج)
- الفهرست. دار المعرفة بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م
- الهواري (أحمد الأستاذ الصحفي).
- دليل الحج والسياحة. الرباط المغرب.
- ابن الوردي:
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب
- الورثيلاني (الحسين بن أحمد).
- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار.
مطبعة بيير فونتانا الجزائر.

وبيروت لبنان ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

الوزان الزياني (ليو الأفريقي)

- وصف أفريقيا.

ترجمة د/ عبد الحميد حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥م.

- الولاتي: (محمد بن المختار).

- الرحلة الحجازية. تخريج وتعليق د/ محمد حجي دار الغرب الإسلامي الرباط.

- ياقوت الحموي:

- معجم البلدان. دار الفكر بيروت

ثالثًا: المراجع

- أحمد تيمور:
- معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية

تحقيق د/ حسين نصار مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- أحمد الخياري:
- تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، الطبعة السادسة جدة ١٤٢٣هـ.
- أحمد السعيد سليمان (دكتور):

تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل الطبعة الثانية دار المعارف، القاهرة. ١٩٧٩.

- أحمد رجب محمد علي (دكتور).
- عمارة المسجد النبوي.
- إلياس سركيس:
- معجم المطبوعات منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجف ١٩٢٨م.
- حسام عبد المعطي: (دكتور)
- العلاقات المصرية الحجازية خلال القرن الثامن عشر

الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م.

- حسين باسلامة: الشيخ
- تاريخ عمارة المسجد الحرام
- حسن الزركلي:

- شذرات تطوانية. الطبعة الأولى جمعية تطوان أسمير، تطوان ٢٠٠٢م.

- حسين أمين:

- نظرة بعض الرحالة المسلمين وبعض الرحالة الغربيين عند زيارتهم لمنطقة الحجاز مؤتمر مصادر تاريخ الجزيرة لعربية الرياض. ١٩٧٩م.

- حسين مجيب المصري (دكتور).

- معجم الدولة العثمانية الطبعة الأولى الدار الثقافية للنشر القاهرة ٢٠٠٤م.

- حمد الجاسر (علامة الجزيرة).

- ملخص رحلتي االدرعي.

- الرفعي (عبد الرحمن المحامي):

- عصر إسماعيل دار المعارف القاهرة.

- رضا كحالة: الأستاذ.

- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة بيروت.

- الزركلي:

- الأعلام قاموس المشاهير، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٦م.

- سعاد ماهر:

- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٧١م.

- سليم حسن: دكتور.

- مصر القديمة موسوعة نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب في ١٤ جزءًا القاهرة ١٩٩٨م.

- السيد الدقن: (دكتور)
- تاريخ مصر الحديث والمعاصر، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ. القاهرة ١٩٨٦م
- شحاته إسماعيل: دكتور
- القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، ٢٠٠١م.
- صالح العلي (دكتور):
- خطط المدينة

نشر حمد الجاسر، مجلة العرب التي تصدرها دار اليمامة ١٣٩٧م.

- عارف عبد الغني (دكتور).
- تاريخ أمراء مكة المكرمة، دار البشائر. سورية ١٩٩٦م.
- عبد الباسط بن بدر (دكتور):
- التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الطبعة الأولى المدينة المنورة، ١٩٩٥م.
- عبد الرحمن (ابن أحمد البكري)
- من حياة الخليفة عمر بن الخطاب. مكتبة الإرشاد للطباعة والنشر بيروت.
- عبد العزيز الشناوي (دكتور):
- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٨٦م.
- عبد اللطيف الصباغ (الأستاذ).
- صورة المجتمع المكي في كتابات الرحالة في النصف الأول من القرن الرابع عشر، مجلة الدارة العدد ٤ السنة ٣١ الرياض ١٤٢٦هـ.
- الكردي (الشيخ طاهر الخطاط):

• التاريخ القويم في تاريخ البلد الأمين.

- محمد حجي (دكتور):

• الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ١٩٨٨م.

- محمد رمزي (الأستاذ):

• القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م.

- محمد علي الصلابي (دكتور).

• الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار الفجر للتراث القاهرة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- محمد فهيم (دكتور):

• دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني، دار القاهرة، القاهرة ٢٠٠٦م.

- مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، دار القاهرة، القاهرة ٢٠٠١م.

• المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، دار القاهرة، القاهرة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- محمد محمود السرياني (دكتور):

• منازل الحج الشامي في الأردن دراسة في الجغرافيا التاريخية.

مجلة الدارة، ع ١١ لسنة ١٤٢٥هـ.

محمد المنوني (دكتور):

المصادر العربية لتاريخ المغرب الفترة المعاصرة (١٧٩٠ - ١٩٣٠م) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

رابعًا: المراجع الأجنبية المترجمة

- إسماعيل حقي أوزون:
- • أمراء مكة في العهد العثماني: ترجمة مراد خليل مركز دراسات الخليج. العراق ١٩٨٩م.
- أوليا شلبي:
- • الرحلة الحجازية: ترجمة الصفصافي المرسى، دار الآفاق العربية القاهرة، ١٩٩٩م.
- بروكلمان:
- • تاريخ الأدب العربي ترجمة محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.
- بيرتون:
- • الرحلة الحجازية ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- جولدن صاري يلذر (دكتور):
- • الحجر الصحي في الحجاز ١٨٦٥م – ١٩١٤م.

ترجمة عبد الرازق بركات راجعه مسعد الشامان مركز الملك فيصل للبحوث الرياض.

Shaw, Slonford:

الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية

